

المسائل الثقافية

قرآنية. فقهية. فلسفية

محمّد اليزدي

بسم الله الرحمن الرحيم

المسائل الثقافية

يزدي، محمد، ١٣١٠ -
المسائل الثقافيه / تاليف محمد اليزدي. - قم: محمد اليزدي، ١٤٣١ ق.=١٣٨٩.
٢٤٨ ص.
فهرستنويسى براساس اطلاعات فيپا.
عربى.
ISBN:978-964-04-5563-0
كتابنامه به صورت زيرنويس.
١. اسلام - مجموعه‌ها. ٢. فقه جعفرى - قرن ١٤. الف. عنوان.
٤م ٩ى / BP ٤/٦ ٢٩٧/٠٨

المسائل الثقافية

تأليف: آيت الله محمد اليزدي
الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
الكمية: ١٠٠٠ نسخة
المطبعة: الاعتماد
السعر: ٣٠٠٠ تومان

ISBN: 978 - 964 - 04 - 5563 - 0
الناشر: المؤلف
قم - إيران

الفهرس

القسم الثالث: قسم الفلسفي

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه و نشكره على نعمائه و نصلى و نسلّم على خاتم انبيائه و على آله الطيبين الطاهرين و بعد ايها القارى الكريم انک ترى فى هذا السفر الذى بين يديک مسائل متفرقه من آيات القرآن الكريم و فقه العترة الطاهرة و نكات فلسفية كتبناها فى شرائط مختلفة و فرص متفاوتة و بعد ما لاحظها ولدى الفاضل الحاج الشيخ عبدالمجيد اليزدى و جمعها فى مجموعة واحدة، رأى انها لا تخلوطبعها عن الفائدة سيمّا على الطلاب فى الصفوف الاولى فوافقنا النظر لعلّها تقع موقعه و تنفع ليوم لا تنفع فيه مال و لا بنون و نرجوا الغمض عن الخطاء و نستقبل الاشارة الى الصواب.

محمد اليزدى

۸۸/۹/۱۵

القسم الاول

(قسم القرآني)

تفسير سورة العنكبوت

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نزّل الفرقان علىٰ عبده ليكون للعالمين نذيراً.

والصلاة والسلام علىٰ خاتم أنبيائه ورسله الذي أرسله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون.

وعلىٰ أوصيائه الطاهرين المعصومين الذين جعلهم الرسول عدل القرآن وثقل الثاني في قوله ﷺ: «**إنّي تاركٌ فيكُمُ الثّقَلَين كِتابَ اللهِ وَعِتْرَتي ما إنْ تَمَسّكتُمْ بِهِما لَنْ تَضِلّوا**».

أمّا بعد: لا اشكال في ان القرآن كتاب الارشاد والهداية، كتاب التحذير والانذار، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1]، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِي أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[2]، ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[3]، ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[4]، ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[5]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً

---

١. الآية ٢ سورة البقرة (٢).

٢. الآية ١٨٥ سورة البقرة (٢).

٣. الآية ١٣٨ سورة آل عمران (٣).

٤. الآية ٢٠٣ سورة الأعراف (٧).

٥. الآية ٦٤ سورة النحل (١٦).

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[١] وكثير من الآيات الأخرىٰ. ويشتمل علىٰ أوامر ونواهي في الأحكام وعلى القصص وبيان حيوة الأقوام والأمم الماضية وما ابتلى بهم وعلى الاستدلالات في المعارف والمعاني كل ذلك في طريق الغرض والهدف الأصلي وهو الهداية والارشاد.

ولذلك يُخاطب الناس والمؤمنين بلسانهم المتداول بينهم ولا يستحيي أن يضرب لهم مثلاً ما بعوضةً فما فوقها ويهديهم إلىٰ صراط مستقيم من عبادة الله تعالىٰ وحده لا شريك له والايمان والاعتقاد بأنّ الأمور كلّاً بيده والسماوات مطويات في قبضته والكل مستمدة من مدده.

ولابدّ من التوكل والاعتماد عليه إلىٰ أن ينقطع الإنسان إليه تعالىٰ. ويطمئن قلبه بذكره وأنّ الأسباب كلّها جنود له تعالىٰ يعملون بإرادته ولا يعصون عن أوامره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يُسئل عمّا يفعل وهم يسئلون.

ويبيّن نبوة الأنبياء والمرسلين وشرائعهم وتعامل الناس معهم في الايمان بهم أو تكذيبهم وتعذيبهم والله تعالىٰ كتب: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[٢] إلىٰ ارسال خاتم الأنبياء وتمام عدّة المرسلين محمّد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ وبيان الأحكام من الحلال والحرام وتكاليف عديدة الايجابيّة والتحريميّة وغيرها من المواعظ والنصائح وبيان القصص والعِبَر.

ولذلك كلّه لابدّ في الاهتداء من القرآن الكريم والاستضائة عن نوره رعاية أمور والتوجّه إلىٰ مسائل:

١ ـ منها الاهتداء بنفس القرآن وبعين آياته وحِكَمِه من غير سبق نظرٍ واعتقاد وحمله على الآيات. وبعبارة أخرىٰ لابدّ من تخليّة الذهن والفكر من كل نظر واعتقاد قبل الورود في الأبحاث القرآني، ثمّ ملاحظة المستفاد من نفس الآيات والكلمات فانها

---

١. الآية ٨٩ سورة النحل (١٦).

٢. الآية ٢١ سورة المجادلة (٥٨).

أفصح بيان وأبلغ كلام في انارة المقصود واظهار المراد.

٢ ـ ومنها الدقة والتأمل في معنى اللغات ومفاد الكلمات ومفاهيمها الخاصة بها الى تركيب الجملات منها من غير تبديل وتفسير أو تعويض وتغيير وحتى من غير تقدمه وتصوير المستفاد من نفس الآيات بما هي هي.

٣ ـ ومنها الاستمداد من سائر الآيات اذا احتيج إلىٰ مزيد توضيح وبيان في الآيات المبحوث عنها، فان القرآن يفسّر بعضه بعضاً وهذا هو الميزان ولذا سمّي الاستاذ ﵀ تفسيره بالميزان وبعد ذلك يصل النوبة إلى السنّة اذا احتيج إلىٰ مزيد بيان، فانها هي الثقل الثاني الذي لا يفترق عن القرآن في الهداية والبيان كما قال انما يعرف القرآن من خوطب به وقال رسول الله ﷺ: «إنّي تاركٌ فيكُمُ الثّقلَين كِتابَ اللهِ وَعِتْرَتي اهل بيتى، و انّهما لَنْ يَفْتَرِقا حتّىٰ يَرِدا عَلَيّ الْحَوْض و انكم لن تضلوا ما اتبعتموهما و تَمَسَّكْتُمْ بِهِما».[1]

٤ ـ ومنها ان شأن النزول وموارد الآيات التي ذكرت في كتب التفاسير وإن كانت صحيحةً ولكن لا تجعل الآيات مختصّة بها وبمنزلة القضايا في وقايع، فان المورد لا يُخصّص فلابدّ من الحفاظة علىٰ مفاهيم الآيات ومعاني اللغات والجملات حسب طبايعها الكليات إلّا في موارد قد سمّيت الأشخاص معيناً مثل قوله تعالىٰ: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾[2].

وآخرها ان التأويلات المذكورة في كلمات الأئمّة المعصومين ﵈ وكذلك في نظرات المفسّرين.

تطبيقات خاصّة وذكرٌ للمصاديق وليس معنى الآيات علىٰ اطلاقها كما في مثل ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ بالنسبة إلىٰ علي أمير المؤمنين والصدّيقة الطاهرة ﵉ و ﴿ ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ بالنسبة إلىٰ الحسن والحسين ﵉ وما أشبه ذلك

---

١. الامالي للطوسى، ص ٥٤٨.

٢. الآيات ١ - ٥ سورة المسد (١١١).

في ﴿ ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ كما لا يخفىٰ.

وبتوفيق من الله تعالىٰ شرعنا المذاكرة مع بعض الأصدقاء[١] على هذا المنهج من سورة العنكبوت ونستنسخ خلاصتها هنا، لعلّه ينتفع بها ويكون لنا ذخراً ليوم لا ينفع فيها مال ولا بنون، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله.

سـورة العنكبوت

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

① ﴿ الٓم ﴾
② ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾
③ ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَاذِبِينَ ﴾
④ ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٢]

لا إشكال ان الأمور متحقّقة بأسماء الله تعالىٰ، فان له الأسماء الحسنىٰ وكل أمر متحقّق باسم يُناسبه حفظاً لتناسب العلّة والمعلول ومسانختها والرحمة أوسع الأسماء شمولاً، وكل موجود خير ورحمة ودوام ذلك الفيض واستمراره خير الخير والرحمانيّة ليس إلّا ذلك. فان حقيقة الحقايق ليست إلّا الربط بأحق الحقايق المستغني عن افاضة الفيض أي الواجب تعالىٰ وما سواه هو الممكن المحتاج إليه دائماً ما دام افاضة الوجود كان الموجود موجوداً واذا انقطع لم يكن. ومن ذلك كلّ امر ذي بال لم يبدء ببسم الله فهو أبتر ومادام عليه اسم الله فهو الباقي فتوجه.

---

١. الصف هذه قد أسّس في الأيّام الأوّل بعد انتصار الثورة الاسلاميّة في ايران اسبوعياً ثمّ صار شهرياً وتذاكرنا فيه الدستور وبعض السور والأدعية قد طبع بعضها مثل شرح الدستور.

٢. الآيات ١ - ٤ سورة العنكبوت (٢٩).

الحروف المقطّعة

أمّا الحروف المقطّعة فعندنا ليست إلّا رمزاً بين الله تعالىٰ ونبيّه ﷺ لا يعلمه غيره ومعنى الرمز والاشارة هو هذا وما ذكروه الأصحاب من الاشارة إلىٰ عدد الآيات أو الحوادث والوقايع وغير ذلك، فليس إلّا مناسبات ذكروها وظنونٌ حسبوها ولو كان المراد ما ظنوا لكان على الله تعالىٰ التصريح بها لنفهمه أيضاً والكتاب كتاب هداية وبيان الرمز والاشارة لو كان علىٰ حسب نفهم منه شيء لم يكن رمزياً واشارةً كما لا يخفىٰ.

الابتلاء والافتنان

وأمّا ظاهر الآيات الاولىٰ من السورة المباركة تكون بصدد بيان حقيقة في نظام التكوين وخلق الانسان من انه يحسب أن يقول بشيء مثل الايمان بالله ويكتفي بذلك ويترتب علىٰ نفس ذلك القول جميع آثار الايمان من غير امتحان واختبار من درجته وساحة نفوذه وركونه، كلّا انّ هذه الحسبان والظنّ خلاف الواقع والحق لا بالنسبة إلىٰ زمن رسول الاسلام بل الافتنان والابتلاء والامتحان كان من سنن الله تعالىٰ ومناهجه في الهداية والثواب والعقاب وكل انسان حسب النجاح فيه والتوفيق منه يجازي ويثاب الاشخاص والامم كل فرد وجمع يمتحنهم الله بالافتنان في الأمور حتىٰ بنقص من الأموال والأنفس والثمرات وبذلك نعلم ان الذين قالوا آمنّا واتّبعنا الرسول أيّهم هو الصادق في قوله ومن هو الكاذب.

نعم الله تعالى يعلم كل غيب وشهود ولا يخفى عليه شي لا في السماء ولا في الأرض ويعلم ما تخفي الصدور الا انه لابدّ وان ينكشف الحق ويظهر ما كانوا يخفونه على أنفسهم ويعلم كلّ نفس نفسها وقدرها ولم يتوقع بأكثر ممّا يليق بحسب عمله وطاقته الذي أظهره في تغيّر الأحوال الذي يعلم منها جواهر الرجال.

وكذلك ليعلم الذين يعملون السيئات ويجترون على الله ويظنون انهم هم الغالبون،

انهم في خطأ عظيم وغلط جسيم وانهم لا يسيئون إلاّ على أنفسهم، فان نظام الخلقة وقواعد العالم سيّما في روابط للأعمال وآثارها وترتب النتائج على المقدمات وان الحاكم هو هذا النظام ولن تجد لسنّة الله تبديلاً ولن تجد لسنّة الله تحويلا، فلا يسبق على الله وارادته ولا يتقدّم على نظام الخلقة وأثر السيّء يعود إليه نفسه ولن يضر الله شيئاً فظنّه هذا وحكمه كذلك ظن وحكم سيّء وغلط غليظ ساء ما يحكمون.

* * *

⑤ ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

⑥ ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ ﴾

⑦ ﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

قد عرفت من قبل ان لغات القرآن الكريم ليس لها إلّا معانى أنفسها ولا يصح تفسيرها وتغيرها بلغات أخرى ومعانيها تسهيلاً أو تيسيراً للتفسير، وقلنا ان الله تعالى كان يقدر على استعمال لغة واستخدام كلمة يحول إليها هذه اللغة ولم يفعل والله تعالى قادر على ما يشاء ويحكم ما يريد، فلا وجه لاستعمال أي التفسيري.

معنى لقاء الله

وعليه فظاهر قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ ٱللَّهِ ﴾ في موضوع الحكم ليس إلّا الراجي لقاءه تعالى على معناه ولا يتم ما عن الاصفى ان المراد لقاء البعث ويوم القيمة فاين لقاء الله تعالى ولقاء البعث؟

الله تعالى هو خالق الخلق والبعث.

والبعث مرحلة من خلقه وقال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ ٱللَّهِ ﴾ نعم صعوبة تصور معنى ذلك لا يوجب تغيير المعنى والتفسير برأي مع ان لقاء الله تعالى أيضاً ليس بهذه الصعوبة.

قال علي ﷺ: «ما رأيت شيئاً إلّا و رأيت الله قبله وبعده ومعه و فيه»[١] وهو ﷺ كان رآه في هذه الدنيا قبل البعث لدى رؤيته الأشياء بنفس أعينه التي كان يرى الأرض والسماء وما بينهما من الأشياء الحجر والمدر والشوك والحجر.

فانه ﷺ كان يرى الأشياء كما هي من انها موجودات مخلوقات ضعاف ممكنات لم تكن ثم كان وبعد لم يكن واذا كان الانسان رأى الأشياء كذلك يرى معها موجدها وخالقها ومصورها ومقدرها والنظرة هذه هي النظرة النافذة المقدسة التي قد تنتهي إلى أن لا يرى شيئاً الا يرى خالقه.

قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[٢].

فالله تعالىٰ هو الذي يُرى الانسان آياته والانسان هو الذي يراه في آياته ومن آياته خلق السموات والأرض و من آياته منامكم بالليل والنهار ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم ومن ذلك المنطلق كلّ شيء آية من آياته.

وفي كلّ شيء له آيةٌ تدلّ علىٰ انّه واقع

ومن هذا النهج يسهل لقاء الله تعالىٰ في هذه الدنيا فكيف في الآخرة.

مع ان الحكم علىٰ من كان يرجو لقاء الله ان أجل الله لآت وانه هو السميع العليم وذلك لا يناسب البعث والقيمة واتيان الأجل والزمان المعين لو كان المراد زمن الموت وختام الحيوة في الدنيا، فلقائه تعالىٰ فيه أوضح.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[٣].

والله تعالىٰ هو الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ولا يلازم اللقاء الأبصار بالعين، بل درك الحضور في المحضر بالبصيرة وسماع أصوات النظام بالقلب

(١) مسند الامام علي ﷺ، ج ١، ص ١٥١، ح ١٠/٣٩٠.
٢. الآية ٥١ سورة فصلت (٤٣).
٣. الآيات ٨٣ - ٨٥ سورة الواقعة (٥٦).

وهذا اللقاء لا ينحصر بما اذا بلغت الحلقوم الّا انه في الزمان يحسّ الانسان ويدرك أشدّ وأقوىٰ من سائر الأزمان وآخر الآية وهو كونه تعالىٰ سميعاً، عليماً لا يناسب الّا اللقاء ذلك بهذا المعنى.

وكيف كان لا يكون المراد مثل لقائنا الأصدقاء، الآباء والأبناء ولكن يكون لقاء الله دون غيره فلابدّ من حفظ ظاهر الكلام.

الأسفار الأربعة

أضف إلىٰ ذلك ما ذكره العرفاء بالله تعالىٰ في المقام وبيان الأسفار الأربعة والهجرة إليه من النفس إلى الله في مبدأ سفر الأول، سيّما علىٰ مبنىٰ الاستاذ الأعظم العالم العارف الفقيه السائس الخميني ﷺ مؤسّس نظام الجمهورية الاسلامية في ايران من قوله:

السفر الأوّل من الخلق إلى الحق المقيد برفع الحجب التي هي جنبته يلي الخلق ورؤية جمال الحق بظهوره الفعلي الذي هو في الحقيقة ظهور الذات في مراتب الأكوان وهو جنبته يلي الحق. انتهى.

وليس معنىٰ ذلك إلّا ما عرفت من كلام عليّ ﷺ من رؤيته الله تعالىٰ في جميع الأشياء قبلها وبعدها ومعها، فانها هي مراتب الأكوان والوجودات التي هي آيات الله التي تدلّ علىٰ موجدها وخالقها وكذلك قوله ﷺ: «**لو كشف الغطاء ماازددت يقيناً**»[1] وقوله ﷺ: «**ما كنت اعبد ربّاً لم أره**»[2] فان الذي كان يراه لم يكن إلّا الله المتجلّي في وجودات الأشياء بحيث لم يكن يرى الأرض والسماء والشجر والمدر الّا ان يرى خالقها.

ولما كان يرى الامكان والفقر في ذوات الأشياء ومهيّاتها ولما كان يرى انها لم تكن ثم كان ثم لا يكون والذي يكون به كل كائن هو الخالق المتعال المفيض لنور الوجود

---

١. بحارالانوار، ج ٤٠، ص ١٥٣.

٢. بحارالانوار، ج ٤، ص ٤٤.

والكون والتحقّق وذلك هو لقائه تعالىٰ في أوّل مراحله وللراجين بمرحل الاغاثة ان تنعدم في رؤيته ونظره التشخصات والمهيّات حتى لا يرى الا نفس وجودها بمراتبها المتفاوتة وتلك الوجودات المتحققة في مراتب الأكوان هو الفيض من الفياض المطلق الذي لا ينفصل عن نفس الفيض لا يتخلف ولا يختلف رؤيته عن رؤيته.

والحاصل ان معنى من كان يرجوا لقاء الله ليس إلّا لقاء الله الممكن في نفس هذه الحيوة وبعين هذه الأعيان ومن كان راجياً لذلك لا يغفل عن الله تعالىٰ وعن خلقه ونظام مخلوقاته من الافاق والأنفس ومثل ذلك الانسان يعلم ويتيقن بأن أجـل الله لآت وان الله سميع كل همس وكلام وعليم بكل غيب وشهود.

وسياق الآيات أيضاً لا يساعد التفسير بالبعث والقيامة، فان الكلام جاري حول الكفر والايمان وان الله غني عن العالمين لا يحتاج إلى ايمان المؤمنين ولا يضرّه شيء من كفر الكافرين وان من جاهد فانما يجاهد لنفسه والآيات السابقة أيضاً كانت تدلّ علىٰ ان الايمان لا يكون بلقلقة اللسان ولا يحسبن الذين امنوا أن يقولوا امنّا وهم لا يفتنون. والآيات اللاحقة راجعة إلىٰ تـطابق مجـازات الأعـمال مـعها خـيراً أو شراً ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون.

الأجل ومعناه

وأما الأجل فهو الوقت والزمان وحين وقوع الواقعة وحدوث الحادثة واذا نسب إلى الله تعالى فلا معنى له إلّا وقوع حادثة التي لا تقع إلّا بارادته الله وليس لأحد ان يوقعه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي الحادثة الخاصة وان كان كل ما يقع في نطاق الوجود لا يقع الا بارادته وما تشاؤون الا ان يشاء الله ولكن يـصح نـسبة بـعض الحوادث التي يتوسط في وقوعها ارادة الانسان الى الانسـان، امـا التي لا يمكـن أن يتوسط فيها الانسان مثل قيام القيامة وختم نظام الخلقة الماديّة فلا يصح انتسابه إلّا إلى الله.

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1].

فان تلك الأمور مما يختص غلمه بالله تعالىٰ ولا يعلم حتى بواسطة علمه وقد قال: ﴿ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَابِ ﴾[2].

ومن تلك الأمور زمن الموت المعروف بالأجل فيقال بلغ أجله أي وصل إلىٰ حين قد قرّر فيه موته، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[3] بعد قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِي إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ ٱلصَّالِحِينَ ﴾[4].

والأجل قد اطلق علىٰ زمن الموت الذي لا تدري نفس بأي أرض تموت، وما كان لنفس ان تموت إلّا باذن ربها.

محصّل الآية

ومحصل الآية ان من كان يرجو لقاء ربه فليعلم ان أجل الله وزمن موته لآتٍ مؤكداً فلا تنساه.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَاقِيكُمْ ﴾[5].

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[6].

وكيف كان رجاء لقاء الله هو العامل في الاعتقاد بالموت وما يترتب عليه ويوجب

---

١. الآية ٣٤ سورة لقمان (٣١).
٢. الآية ٣٩ سورة الرعد (١٣).
٣. الآية ١١ سورة المنافقون (٦٣).
٤. الآية ١٠ سورة المنافقون (٦٣).
٥. الآية ٨ سورة الجمعة (٦٢).
٦. الآية ٧٨ سورة النساء (٤).

المجاهدة في سبيل الله تعالىٰ والحق والتقوىٰ ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ ﴾[1] إلىٰ آخر الآيات.

ومما يؤيّد ما ذكرنا في معنى لقاء الله تعالىٰ ملاحظة آيات الباب تراها صرحت بلقاء الله في أربعة آيات وبلقاء الربّ في سبعة آيات وبلقائنا أي لقاء الله في أربعة آيات.

ومن المعلوم ان لكل معناه الخاص به لا وجه لارجاع بعضها إلى الآخر وان كان في نهاية الأمر ومحتوى البحث قد يعود إلى أمر واحد وهو الاعتقاد بالله تعالىٰ وخالقيته وبربوبيّته ولزوم عبادته وقبول طاعته والاجتناب عن معاصيه وبالنهاية قبول ما يترتب عليه.

الآيات الراجعة إلى اللقاء

في نهاية نظام الخلقة ويوم البعث والآخرة وها إليك فهرس الآيات:

لقاء الله تعالىٰ

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ ٱللَّهِ... ﴾[2].

﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ ﴾[3].

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ ﴾[4].

لقاء الرّب

﴿ ... لَعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾[5].

---

١. الآية ٦ سورة العنكبوت (٢٩).
٢. الآية ٣١ سورة الانعام (٦) و الآية ٤٥ سورة يونس (١٠).
٣. الآية ٥ سورة العنكبوت (٢٩).
٤. الآية ٢٣ سورة العنكبوت (٢٩).
٥. الآية ١٥٤ سورة الانعام (٦).

﴿... لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[١].

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾[٢].

﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾[٣].

﴿... بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾[٤].

﴿أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ...﴾[٥].

﴿يَاأَيُّهَا ٱلْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾[٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا...﴾[٧].

﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لاَيَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ﴾[٨].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ٱئْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا﴾[٩].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلاَ أُنزِلَ﴾[١٠]

لقاء يوم الآخرة

﴿... فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا﴾[١١].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ ٱلآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾[١٢].

---

١. الآية ٢ سورة الرعد (١٣).
٢. الآية ١١٠ سورة الكهف (١٨).
٣. الآية ٨ سورة الروم (٣٠).
٤. الآية ١٠ سورة السجدة (٣٢).
٥. الآية ١٠٥ سورة الكهف (١٨).
٦. الآية ٦ سورة الانشقاق (٨٤).
٧. الآية ٧ سورة يونس (١٠).
٨. الآية ١١ سورة يونس (١٠).
٩. الآية ١٥ سورة يونس (١٠).
١٠. الآية ٢١ سورة الفرقان (٢٥).
١١. الآية ٥١ سورة الاعراف (٧).
١٢. الآية ١٤٧ سورة الاعراف (٧).

﴿... ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ ٱلْآخِرَةِ﴾[١].
﴿... فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا﴾[٢].
﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا...﴾[٣].

فراجع الآيات وأشباهها وتأمل فيها تجد ما ذكرنا من ارادة كل معناه المستقيم من اللغة من غير ارجاع كل بالآخر.

وأما الجهاد فقد استعمل في كثير من الآيات في معناه المصطلح أي الحـرب مـع أعداء الدين والمقاتلة مع المشركين إلى أن لا يكون فتنة في الأرض وتكون كلمة الله هي العليا.

الجهاد

ولكن هنا بقرينة ذيل الآية نعلم انه استعمل في معناه اللغوي أي العمل والاصرار والمراقبة لاتمامه واكماله الى حد النتيجة في كل خير والتحرز والتجنب عن كل شر ومراقبة النفس لئلا تبتلى بها فتهوي إلى النار. والقرينة قوله تـعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ﴾ وان كل نفس لا تعمل الا لها ان كان خيراً وعليها، ان كان شراً فلا يجاهد إلّا لنفسه مع ان جهاد المصطلح يكون في سبيل الله واعلاء كلمة الله وحـفظ الامة وسلامتها وان كان المجاهد في ميدان الحرب والمقاتلة انّما تعمل لنفسه أيضاً وهو المثاب قاتلاً ومقتولاً ولكن نتيجة العمل في الدنيا ترجع إلى دين الله تعالىٰ وحـفظه واعلاء كلمته.

تكفير السيئات

بل الآية التالية أيضاً قرينة على ما ذكرنا، فان تكفير السيئات وامحائها بالحسنات

١. الآية ٣٣ سورة المؤمنون (٢٣).
٢. الآية ١٤ سورة السجدة (٣٢).
٣. الآية ٣٤ سورة الجاثية (٤٥).

للذين امنوا وعملوا الصالحات يعلن بانّ من يعمل عملاً صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وذلك جهاد اللغوي ومكافحة النفس والهوىٰ لا مع الأعداء والمشركين، فان اعدىٰ عدو الانسان نفسه وذلك في حين ان الآية تخبر وتعلن بلطفٍ وعناية خاصة من الله تعالى على المؤمنين من انه تعالىٰ يكفر عن سيئاتهم ولا يأخذهم بها لما انهم امنوا وعملوا الصالحات.

نعم انما الكلام في السيئات وانها هي المعاصي والمحرمات مطلقاً وان صرف الايمان والاعتقاد بالله واليوم الآخر وما أنزل الله تعالىٰ علىٰ رسله وعلىٰ خاتمهمﷺ والعمل الصالح في الجملة حتى الاتيان باقل الواجبات يوجب تكفيرها ويحبطها أو لا؟ فان السيّئة قبال الحسنة وان كان يصح اطلاق كل من الحسنة والسيّئة علىٰ كل عمل صالح وطالح الا ان مسألة حبط الأعمال وتهاتر الخير والشر والكسر والانكسار وبقاء ما يبقى بعد ذلك بحث كلامي قد فُصِّلَ في محله من امتناع انفكاك اثر كل عمل عنه خيراً أو شراً كما أشير إلىٰ ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[1] كان الضمير راجعاً إلى نفس العمل أو أثره من الثواب والعقاب فلا يتعارضان ليتساقطا ويبقى ما بقي من أحدهما بل يجازي الانسان بما عمل.

الحبط والتكفير

أما تكفير السيئات غير احباط الأعمال وكيف كان آيات الراجعة إلىٰ كل من البحثين ترشد إلى أن المكفر هو ما لا يناسب شأن المؤمن العمل به بعد مسألة الاتيان بالواجبات وترك المحرمات لا كلّ المعاصي.

والأكثر أن يكون المراد الصغائر من الذنوب الغير المصرّ عليها فيرجع الأمر إلىٰ عناية من الله تعالىٰ ولطف خاص في الغمض عن السيئات وتكفيرها بعد ما كان

١. الآيتين ٧ - ٨ سورة الزلزلة (٩٩).

الانسان مؤمناً عاملاً بتكاليفه ووظائفه وفي كلام واحد بعد ما صدق عليه انه امن وعمل صالحاً والايمان والعمل الصالح ليس صرف الاعتقاد والعمل ببعض التكاليف والتكفير راجع إلىٰ قسم مما يرتكبه الانسان بما هو غير معصوم.

فإنّ الله تعالى كما أنّه عالم قادر حيّ يريد بالذات كذلك هو مختار بالذات فعال لما يريد وكما ان علمه وقدرته وحيوته جار وسار ونافذفي كل معلوم ومقدور وذي حيوة كذلك اختياره تعالى واسع شامل لكل شيء في الدنيا والآخرة ولذلك يتم قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ ونحن نشاء بمشيّه الله كما نعمل بقدرة الله ونريد بارادته التي أعطانا فلا ينافي ذلك تلازم آثار الأعمال لها ولا يمتنع انفكاك أثر كل عمل عنها اذا أراد الله تعالىٰ، فانه قال: ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾[1] بعد ما جعل النار حارّاً وخلقها محرقة.

فله أن يكفر سيئات عمل من شاء ويعذب من يشاء.

قال تعالىٰ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُم ﴾[2] وقال: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾[3] وقال: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِن سَيِّآتِكُم وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[4].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[5].

وغيرها من الآيات الدالة علىٰ تكفير السيئات المشيرة إلىٰ صغائر الذنوب كما فصلنا البحث عنه في فقه القرآن.

---

١. الآية ٦٩ سورة الأنبياء (٢١).
٢. الآية ٣١ سورة النساء (٤).
٣. الآية ١١٤ سورة هود (١١).
٤. الآية ٢٧١ سورة البقرة (٢).
٥. الآية ٢٩ سورة الأنفال (٨).

وأما الحبط وبطلان العمل وفساده مسألة أخرىٰ تستفاد من آيات التاب ولا يرتبط بالمقام، فانّ صراحة الآيات ان الكفر والشرك والارتداد وما يقرب ذلك موجب لحبط الأعمال الصالحة وفساد الخيرات، بل عدم ترتب أثر الخير على العمل الصالح لعدم تهيّأ لفضاء والساحة اللازمة من الايمان والاخلاص والتقوى.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1] وقال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[2]. قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾[3] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿... وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ﴾[5] وغير ذلك من الآيات الراجعة إلى الحبط.

ومن المعلوم ان الحبط راجع إلى الأعمال الصالحة والافعال الخير والحسنة فيفسده الكفر والشرك والارتداد وما أشبه ذلك.

والتكفير أيضاً راجع إلى الاعمال الطالحة وأفعال الشرّ والسيئة التي يمكن الغمض عنها والستر عليها يوم الحساب، امتناناً من الله تعالىٰ علىٰ عباده الصالحين.

وبعبارة أخرىٰ، الكفر والشرك وما أشبهها يمنع أن يقع العمل الذي بطبعه صالح صالحاً لاشتراط الايمان في تأثير العمل أثر الخير والصلاح حسب تصريع الآيات بقيد المؤمن (وهو مؤمن) فيقع ضايعاً فاسداً، وإن كان ظاهره خيراً ولا معني بالحبط إلّا ذلك.

---

١. الآية ٢٧ سورة المائدة (٥).

٢. الآية ٩٧ سورة النحل (١٦).

٣. الآية ٥ سورة المائدة (٥).

٤. الآية ٨٨ سورة الانعام (٦).

٥. الآية ٢١٧ سورة البقرة (٢).

التكفير والغفران

دون التكفير فان ما وقع من العمل السيّئ الذي لا يناسب شأن المؤمن أو العصيان والذنب الصغير ولو بغلبة النفس وسلطة الشهوة فهو خلاف أو تخلف وعصيان يورث العذاب الا ان الله تعالىٰ يُكفّر عنه ويستر عليه امتناناً علىٰ عبده الصالح بما انه قد اجتنب عن الكبائر ولم يتجرأ علىٰ مولاه كثيراً.

كما يمكن أن يغفر ذنبه وعصيانه حتى عن الكبيرة اذا تاب ورجع إلى الله واستغفر، فان التائب عن الذنب كمن لا ذنب له.

وأما جزاء الاحسان وثواب العمل الصالح فهو في موضعه تصرّح به الآية مع التأكيد باللام والنون ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] أي ولنجزينهم أحسن الجزاء بعد ما كان عملهم حسناً وان لم يكن أحسن الأعمال.

هذا اجمال ما يمكن أن يقال في المقام.

* * *

﴿٨﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

الاحسان إلى الوالدين

تخبر الآية عن وصيّة الله تعالىٰ الانسان بالحسن إلىٰ والديه؛ أبيه وأمّه بالخير والعمل بما يصدق عليه ذلك العنوان إلىٰ حد لم ينتهي إلىٰ ضلالته وشركه بالله، فان محبّة الوالدين امرٌ فطري يجلب الانسان إلىٰ مراعاتها واطاعتها حتىٰ فيما لا يطيب لنفسه وذلك لا بأس به بل هو مطلوب مرغوب، لكن في دائرة المعاشرة والتعامل العائلي والاجتماعي أما في مسائل الحق والباطل وطريق الخير والشرّ إلى الهداية والضلالة فلا يجب الاطاعة والعمل الحسن في نظرهم بل قد يجب المخالفة من غير انف.

---

١. الآية ٧ سورة العنكبوت (٢٩).

نطاق اطاعة الوالدين

قال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَ كُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُمْ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ * قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللهُ بِأَمْرِهِ وَٱللهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾[١].

صراحة الآيات تحكم بأن ترجيح حبّ الآباء والاخوان والعشيرة علىٰ حب الله ورسوله وجهاد في سبيله يوجب الفسق وان يكون من الظالمين بأنفسهم ولا يهديهم الله وقد فصّل في محلّه الا ان هنا نكتة أخرىٰ علينا أن لا نغفل عنها وقد أشرنا إليها في مبحث أحكام المجتمع وآدابه في فقه القرآن وهي مسألة الحسن والاحسان، فان كثيراً من الآيات الراجعة إلىٰ هذا البحث قد أمر بالاحسان وهنا قد أمر بالحسن أو هل هما واحد أو لا ؟

قال تعالىٰ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلَا تَقُل لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾[٤].

---

١. الآيتين ٢٣ - ٢٤ سورة التوبة (٩).
٢. الآيتين ٢٣ - ٢٤ سورة الاسراء (١٧).
٣. الآية ١٥١ سورة الانعام (٦).
٤. الآيتين ١٤ - ١٥ سورة لقمان (٣١).

وغير ذلك من الآيات، فان الاحسان يقابل الاسائة وكلاهما وصف للفعل والعمل فانه هو الذي قد يتصف بانه احسان وقد توصف بانه اسائه عرفاً.

معنى الاحسان والحُسن

والآيات آمرة بالاحسان إليهما وناهية عن قول الافّ والاسائة وعن اطاعتهما في الشرك بل وفي كل باطل والأُفّ أقلّ قول يُملّ الانسان.

أما آية مورد البحث لم تأمر بالاحسان بل وصّى بالحسن ويقابله القبح وان كان كل من الحسن والقبح أيضاً ممّا يتصف به العمل، فيقال عملٌ حَسَن أو فعل قبيح ولكن حيث لا حقيقة شرعيّة في المقام لا في الحسن والقبح ولا في الاحسان والاسائة وكل ذلك يرجع إلى العرف في صدقه. فالظاهر ان صدق كون الانسان بالنسبة إلى والديه حَسَناً أوسع مفهوماً عن كونه محسناً فانه في معاشرتهما والتعامل معهما قد يفعل فعلا أو يقول قولاً يصدق علىٰ ذلك الفعل أو القول انه أحسن اليهما أو اساء فهو محسن أو مسيىء وكذلك قد يصدق عليه انه قال قولاً معروفاً مع عدم اطاعتهما.

ولكن قد لا يعمل عملاً أو لا يقدر على فعل لكونه غائباً أو على سفر والعُرف لا يرى منه بالنسبة إليهما احساناً أو اسائة الا انه مع لحاظ جميع الأمور يقول ان تعاملة مع والديه حسن وليس بقبيح وقد فصّلنا الكلام في ذلك في فقه القرآن فراجع.

معنى الاحسان في قول الامام عليه السلام

ولنتبرك هناك أيضاً بحديث عن ابن محبوب عن أبي ولّاد الحنّاط قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿وَبِالوالِدَيْنِ إحساناً﴾ ما هذا الاحسان؟ فقال عليه السلام: «**الاحسان أن تُحسن صحبتهما ولا تكلفهما أن يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه وان كانا مستغنين أليس يقول الله: ﴿لَن تَنَالُوا ٱلبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وقال: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلَا تَقُل لَهُمَا أُفٍّ**

وَلاَ تَنْهَرْهُمَا ﴾ قال ان اضجراك فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما ان ضرباك قال ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ قال ان ضرباك فقل لهما غفر الله لكما فذلك منك قول كريم قال: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ قال لا تملأ عينيك من النظر إليهما الّا برحمة ورقّة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يدك فوق أيديهما ولا تقدم قدامهما»[1]. انتهى.

نطاق اطاعتهما

وأمّا مسألة النهي عن اطاعتهما عند ما جاهداك لتشرك بالله الواحد معلوم انّها لا يختصّ بالشرك في الاعتقاد بل يعم كل ما لا يكون مرضيّاً لله تعالىٰ سواء كان في الاعتقاد أو العمل والمذكور مثال كما لا يخفىٰ.

ولما ان المرجع النهائي هو الله تعالىٰ فانا لله وإنّا إليه راجعون. سينبّأ الانسان بما كان يعمل وما كان يعتقد ويتفكر فكيف بما فعل مع والديه من حسن أو قبح ومن احسان أو اطاعة ومن اطاعتهما في الخلاف أو الخلاف من قول كريم أو اف أو غير ذلك، فانه لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

* * *

٩ ﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّالِحِينَ ﴾

كيفية الجزاء

قد عرفت بنفس السياق في الآية الأسبق الآية السابعة البشارة للذين آمنوا وعملوا الصالحات بتكفير سيئاتهم وجزائهم أحسن الجزاء. وكذلك في الآيات الكثيرة، بأن لهم جنّات الفردوس والمأوي ورزق كريم وطوبى لهم وحسن مآب.

---

١. وسائل الشيعة، ج ١٥، باب ٩٢، أبواب أحكام الأولاد، ح١، رقم الحديث ٢٧٦٦٣.

قال تعالىٰ: ﴿... سَيُدْخِلَهُمْ جَنَّات... ﴾ ﴿وَسَنَدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ﴾[١] وأنّ ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾[٢] وأنّ ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ ٱلنَّعِيمِ﴾[٣] وأنّ ﴿فَلَهُمْ جَـنَّاتُ ٱلْـمَأْوَىٰ﴾[٤] وأنّ ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٥] و﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[٦] وغير ذلك ممّا لا يخفىٰ على المراجع.

مع الصالحين

وكل تلك النعم والبشارات غير ما هو المذكور في الآية المبحوث عنها، فانها تخبر بادخال الذين امنوا وعملوا الصالحات مؤكداً لمكان اللام والنون في جمع الصالحين والحشر معهم وكون الانسان مع جمع خاص غير وضعيّة المكان وما هو النزل للضيوف من المأكولات والمشروبات ورزق كريم والتمتع من المعاشرين لا يقاس مع التمتع من وضع المكان والامتعة.

فلابدّ من معرفة تلك المعاشرين وانهم من هم حسب مقامهم ولسان الآية الامتنان وذكر النعمة الزائدة علىٰ سائر النعم وانه لطف عليهم ورحمة زائدة ولم يذكر هناك من توصيف الصالحين أو توصيف مكانهم أو مكانتهم حتى يعلم درجة الانعام وكرامة الله تعالىٰ عليهم فلابدّ من معرفتهم حتى نعلم المراد من الصالحين فان مفهوم الصلاح ذو نطاق واسع لغة فانه يقابل الفساد والطلاح.

فلنسئلن عن القرآن الكريم كما ذكر في صدر المنهج ويجيبنا بسرعة وسهوله انهم هم الأنبياء العظام بمراتبهم ودرجاتهم أولى العزم وصاحب الشريعة والكتاب أو هم

١. الآيتين ٥٧ و ١٢٢ سورة النساء (٤).
٢. الآية ١٠٧ سورة الكهف (١٨).
٣. الآية ٨ سورة لقمان (٣١).
٤. الآيه ١٩ سورة السجدة (٣٢).
٥. الآية ٥٠ سورة الحج (٢٢).
٦. الآية ٢٩ سورة الرعد (١٣).

وغيرهم من الذين أنعم الله عليهم.

قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقاً ﴾[١].

والقرآن الكريم يصرّح بأسمائهم ويعرفهم بمقاماتهم من شيخ الأنبياء ابراهيم علىٰ نبيّنا وآله وعليه السلام إلىٰ نوح ولوط وزكريّا ويحيىٰ وعيسىٰ والياس واسحق ويعقوب عليهم السلام إلىٰ خاتمهم تمام عدّة الرسل محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقد دعا ابراهيم ربه وقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[٢] فاستجاب له ربه وأعطاه سؤله.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ ﴾[٣].

ثمّ بعد ما استجيب دعوته وصار من الصالحين دعا ربه أن يؤتيه صالحاً وطلب من الله تعالىٰ أن يرزقه ولداً صالحاً دون أن يرزقه ولداً أو الولد المؤمن أو المسلم وما شابه ذلك من الأوصاف. قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّالِحِينَ ﴾[٤] فاستجاب له ربه واعطاه سؤله.

قال تعالىٰ: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ ٱلصَّالِحِينَ ﴾[٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾[٦].

ثم الله تعالى وصف نوح النبي ولوطا بأنّهما من الصالحين. قال تعالىٰ: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَةَ نُوحٍ وَٱمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ

---

١. الآية ٦٩ سورة النساء (٤).
٢. الآية ٨٣ سورة الشعراء (٢٦).
٣. الآيات ١٢٠ - ١٢٢ سورة النحل (١٦).
٤. الآية ١٠٠ سورة الصافات (٣٧).
٥. الآيتين ١٠١ و ١١٢ سورة الصافات (٣٧).
٦. الآية ٧٢ سورة الأنبياء (٢١).

﴿فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[١].

وكذلك الله تعالىٰ وصف يحيى بن زكريا عند ما طلب من ربه أن يهب له ذريّة طيّبة واستجيب دعائه ومنّ الله تعالىٰ عليه باعطائه بأنه من الصالحين، قال تعالىٰ: ﴿... أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٢].

وكذلك يونس صاحب الحوت وذاالنون عند ما ذهب عن امّته مغاضباً عليهم لعدم قبولهم دعوته فتركهم وابتلى بما ابتلى ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٣].

واستجاب له ربه و﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِن رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٤].

الأنبياء هم الصالحون

وأجمع الآيات في الباب وبيان ان الصالحين هم الأنبياء العظام ﷺ المذكورين في القرآن الكريم ولم يطلق علىٰ غيرهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلّاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلّاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٥] وأما بالنسبة الى خاتم

---

١. الآية ١٠ سورة التحريم (٦٦).

٢. الآية ٣٩ سورة آل عمران (٣).

٣. الآية ٨٧ سورة الأنبياء (٢١).

٤. الآيتين ٤٩ - ٥٠ سورة القلم (٦٨).

٥. الآيات ٨٣ - ٨٦ سورة الانعام (٦).

الأنبياء وتمام عدة المرسلين محمد المصطفى والتصريح بأنه من الصالحين. قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّالِحِينَ﴾[1].

فان الله تعالى هو الذي يتولى الصالحين وهو الذي نزل الكتاب أي القرآن الكريم.

وهو تعالىٰ وليّ رسول الله ﷺ وليس ذلك قوله فقط، بل قول الله تعالىٰ نقلاً عنه وتصديقاً لقوله فهو أيضاً من الصالحين، الذين صرّح به القرآن وان ابيت عن الدلالة المطابقي فلا كلام في الالتزام فان توصيف الله تعالىٰ بانه يتولى الصالحين واتخاذه اياه وليّاً يستلزم أن يكون منهم والا لم يكن للتوصيف وجه وجيه.

اطلاق الصلاح والفساد

ومحصل الكلام، ان ظاهر تلك الآيات بأجمعها ان الصالحين هم الأنبياء العظام في لسان القرآن الكريم ولم يطلق على غيرهم وان كان المفهوم اللغوي أوسع عنهم ويعمهم وغيرهم ممن صلحت سريرته، فان الصلاح يقابله الفساد والطلاح وهو الاعياء والتعب. والفساد في الرجل يطلق على التجاوز عن الصواب والحكمة.

ويمكن تأييد البحث واختصاص الصالحين بالأنبياء العظام منهم المصرح في القرآن أو الأعم منهم ومن غيرهم غير أولوالعزم أو حتى الأئمّة ونوابهم لا مطلق العباد المؤمنين الصالحين لغةً.

بأن العناوين الفاضلة وطبايعها العالية بحسب الدقة والفلسفة لا تتحقّق الا بحصول الطبيعة بكمالها بحيث تنتفي بوجود خلافٍ ما ممّا في خلافها مثل العدالة والصداقة والأمانة، فانها تنتفي بوقوع ذنب أو كذب أو خيانة وان لم يصح اطلاق الفاسق أو الكاذب أو الخائن عليه على الاطلاق بل يقال كذب في خبر فلان أو خان كذلك.

وعليه فلا يصح اطلاق الصلاح على شخص على الاطلاق الّا أن يكون معصوماً

---

١. الآية ١٩٦ سورة الاعراف (٧).

فاذا قيل فلان من الصالحين أي ممن كمل فيه الطبيعة ولذلك لم يطلق الا على الأنبياء وما وجدنا الاطلاق علىٰ غيرهم.

وحينئذٍ فيتم البشارة والامتنان على الوعد بأن الذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين أي في جمع الأنبياء ومحضرهم ليعاشر معهم يتمتع من زيارتهم، والنعمة هذه أعظم النعم بالنسبة إلى الطعام والشراب وظروف وشرائط المسكن الجنة وانهارها.

معنى مع الصالحين

فليس المراد الحاق الذين امنوا وعملوا الصالحات بهم موضوعاً أو حكماً وان صح الثاني بل الأول بالنسبة الىٰ بعضهم بعد تكفير السيئات مع ان ظاهر الآية الاطلاق وان البشارة لكل الذين امنوا وعملوا الصالحات وان الله تعالىٰ يدخلهم في الصالحين ولكن تناسب الحكم والموضوع يقتضي ان يراد قسماً منهم أو لكلٍ درجات فكما كان المؤمن أنسب واليق بمقام الانبياء والرسل كان أحق بذلك الادخال أو أقرب درجةً.

وهذه البشارة أعز وأعلىٰ من البشارة بتكفير السيئات ودخول الجنات ورزق كريم، فان التمتع من مرافقة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً ألذ اللذائذ رزقنا الله وايّاكم في ضيافة ربّ الأرباب المجالسة مع الأكابر والمقربين علىٰ طعام واحد في محضر رب البيت رب الأرباب.

ولعله كما ذكرنا ذكر المفسرون في ذيل الآية بعد تصريحهم بأن المراد من الصالحين الأنبياء بأن المراد أن يحشر بهم الله معهم[١].

هذا كله على ما استظهرنا من كله من في الآيات انها بيانية لا تبعيضة.

ولكن تجد في كلام الآخرين انه تبعيضية ولا يختص الصالحين بالأنبياء.

قال صاحب روح البيان بعد قوله تعالىٰ ﴿لندخلنهم في الصالحين﴾ أي في زمرة

---

١. تفسير الجلالين.

الراسخين في الصلاح ولنحشرنهم معهم وهم الأنبياء والأولياء وكل من صلحت سريرته مع الله والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مأمول الانبياء والمرسلين.

وقال أيضاً: أي نجعل مدخلهم مقام الأنبياء والأولياء بجذبات العناية تفهم إن شاء الله وتؤمن به[١]. انتهى.

ولا نعلم ان مراده ﷺ من الجذبات في الآخرة أو في الدنيا، فان ظاهر الآية لندخلنهم في الصالحين راجع إلى الآخرة واصطلاح جذبات العناية راجع إلى الدنيا ولذلك قال تفهم إن شاء الله وتؤمن به لا معنى للايمان بها في الآخرة، فان هناك عيان مشكوف لا ستر على شيء.

وفي تفسير الجلالين ذيل الآية قال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقاً﴾[٢]، رفقاء في الجنة بأن يتمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وإن كان تفترقهم في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم.

وكذلك ظاهر ما نقله صاحب الاصفى الفيض الكاشاني ﷺ حيث نقل في ذيل الآية قال: اعينونا بالورع، فانه من لقي الله (عزوجل) منكم بالورع كان له عند الله فرجاً ان الله يقول ومن يطع الله وتلى الآية، ثمّ قال فمنا النبي ومنا الصديق والشهداء والصالحون[٣].

وفي رواية لقد ذكركم الله في كتابه فقال: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية، فرسول الله في الآية النبيون ونحن في هذا الموضع الصديقون والشهداء وأنتم الصالحون فتمسّوا بالصلاح كما سمّاكم. انتهى[٤].

١. تفسير روح البيان: ج٦، ص٤٥٠.
٢. الآية ٦٩ سورة النساء (٤).
٣. الكافي، ج٢، ص٧٨، ح١٢ عن أبي جعفر ﷺ.
٤. الكافي، ج٢، ص٢٥، ح٦، عن أبي عبدالله ﷺ.

نطاق الصالحين

وظاهر تلك الكلمات والروايات ان الصالحين لا يختص بمن ذكرناهم من الأنبياء العظام في الآيات والأكثر كل الأنبياء مع كثرتهم بل يشمل غيرهم.

ولذلك نسلّم عليهم في الصلوات بقولنا السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين، سلام الواجب المتوقف عليه الخروج عنها بعد السلام على النبي ﷺ.

وقال صاحب كنز الدقائق بعد ذكر الآية: والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى أنبياء الله المرسلين أو في مدخلهم وهي الجنة. انتهى.

وكذلك في كثير من التفاسير بعد كلمة الصالحين في الآية: قيل: في جملتهم أو مدخلهم أي الجنة.

نظر الأستاذ في المقام

وقال الأستاذ في الميزان بعد ذكر الآية: بعد الآية السابقة وسياقها دالة على وعدٍ جميل وتطيب للنفس لمن ابتلى من المؤمنين بوالدين مشركين يجاهد انه على الشرك فعصاهما وفارقهما يقول سبحانه ان جاهداه على الشرك فعصاهما وفارقهما لم يكن بذلك بأس فانا سنرزقه خيراً منهما وندخله بايمانه وعمله الصالح في الصالحين وهم العباد المنعّمون في الجنة. قال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِي فِي عِبَادِي * وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴾[1] وأما ارادة المجتمع الصالح في الدنيا فبعيد عن السياق انتهى.

وأنت ترىٰ ان ظاهر كلامهم سيّما كلام الأستاذ ان من تبعيضيّة وعباد الله الصالحين أوسع مفهوماً وأكثر عدداً. فان العباد المنّعمون في الجنة لا ينحصر بالأنبياء قطعاً. فالوعد والبشارة يعود إلىٰ ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يدخلون مدخل الأنبياء أي الجنة مع حفظ الدرجات والمراتب.

---

١. الآيات ٢٧ - ٣٠ الفجر (٨٩).

وظاهر كلام الأستاذ اختصاص الآية بمن ابتلى بالوالدين المشركين بملاحظة الآية السابقة، وفيه ما لا يخفى.

ولكن مع ذلك كلّه، قال صاحب الفرقان: الصالحين هنا بطبيعة الحال هم الأئمّة القمّة في الصلاح حتى يلحق بهم كل الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقاً﴾[1] والصالحين الأولين علمهم كل هؤلاء الأربع وذلك حشرٌ في الحياتين اولئك المؤمنين على درجاتهم مع الصالحين الأولين في السابقين والمقربين وحسن اولئك رفيقا. انتهى.

كلام الآخرين في المقام

وأنت ترىٰ صراحة كلامه فيما قلنا به أولاً من تخصيص الصالحين بالأنبياء وبقوله ﷺ بالأئمّة القمّة في الصلاح والسابقين المقربين الذين أشير إليهم في سورة الواقعة.

نعم في كلامه تسلم سعة المفهوم وعدم الانحصار بالأنبياء وشمول الصالحين لكل القمة منهم ومن السابقين والقمة بين ولذلك جعل درجتهم العليا في مقاماتهم في الجنة حتى يصح الالحاق بهم في قوله تعالىٰ: لندخلنهم في الصالحين، فان الملحق والملحق به في درجتين وجعل في آخر كلامه كل الأربع المذكور في المنعم عليهم من الصالحين الأولين.

وجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات الملحق بهم في قوله تعالىٰ: لندخلنهم فيهم وذلك لهم في الدارين أو في الحياتين.

وكيف كان فتراهم اما ذهبوا إلى اختصاص الصالحين بالأنبياء أو القمة وفسّروا دخول المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات بمدخلهم أو في جمعهم وأما توسعوا

---

١. الآية ٦٩ سورة النساء (٤).

الصالحين حتى يشتمل العباد المنعّمون أو كل من صلحت سريرته وفسروا الدخول مع حفظ المراتب والدرجات. والأقرب عندنا الأول بملاحظة اطلاقات الآيـات في القرآن الكريم كما عرفت. والله أعلم.

وكيف كان نرجوا الله تعالىٰ أن يدخلنا في الصالحين ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾(١).

الابتلاء والفتنة

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي ٱللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ﴾(٢) ظاهر مفاد الآية واضح من شرح حالات بعض المؤمنين أو بعض من يقول آمنا فما لم يبتلي الفتنة والعذاب فهو مؤمن ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ٱبْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾(٣) ويجعل فتنة الناس كعذاب الله وينقلب علىٰ وجهه.

قال الأستاذ في الميزان ان نظير الآية، قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾(٤).

الفرق بين التعبيرين

واشار إلى الفرق بين تعبير الآية من يقول آمنا وبين من يؤمن بالله، فان في الآية اشارة إلىٰ ضعف ايمانه وظنّه بأنه السبب للفتنة والايذاء فينسب إلى الله دون الثاني

١. الآية ١٩٤ سورة آل عمران (٣).

٢. الآيتين ١٠ - ١١ سورة العنكبوت (٢٩).

٣. الآية ١٦ سورة الفجر (٨٩).

٤. الآية ١١ سورة الحج (٢٢).

وان الايذاء في الله غير الايذاء في سبيل الله وان الأول نظير قوله تعالىٰ: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾[١] الآية والثاني نظير قوله تعالىٰ: ﴿... فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾[٢] الآية. فالأول أي الايذاء في الله لقولهم الله ربنا والثاني لسلوكهم الطريق وهو ربي الله.

وذلك كما في آية آخر السورة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٣] فان الجهاد في الله غير هدايته ولو كان بمعنى واحد لم يصح. انتهى ملخصاً.

والبحث لا يخلو من تأمل وكلام لكفاية تعدد المرتبة والدرجة وليس الجهاد في الله الّا الجهاد في سبيل الله والعمل بدين الله وتعلم معالمه واطاعة أوامره والتناهي عن نواهيه وكذلك الحسرة على ما فرط في جنب الله ليس إلّا الحسرة على التفريط في دين الله وهكذا.

نعم يتم ما صرح به الآية ان المراد من العالمين بملاحظة الصدور الجماعات من الانسان أو أولى العقل ولو كان كل المخلوقات لكان المراد من الصدور البواطن وهو بعيد.

ما ذكر في سبب نزول الآية

وفي «لباب النقول في أسباب النزول» للسيوطي: أخرج ابن منذر وابن جرير عن ابن عبّاس قال: كان قوم من أهل مكّة قد أسلموا وكانوا يخفون الاسلام فأخرجهم المشركون يوم بدر فاصيب بعضهم فقال المسلمون هؤلاء كانوا مسلمين فاكرهوا فاستغفروا لهم نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾[٤] الآية. فكتبوا بها إلىٰ من بقي بمكّة منهم وانه لا عذر لهم فخرجوا فَلَحِقَ بهم

١. الآية ٥٦ سورة الزمر (٣٩).
٢. الآية ١٩٥ سورة آل عمران (٣).
٣. الآية ٦٩ سورة العنكبوت (٢٩).
٤. الآية ٩٧ سورة النساء (٤).

المشركون ففتنوهم فنزلت الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا ﴾ الآية، المبحوث عنها فكتب إليهم المسلمون بذلك فتحزنوا، نزلت: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، فكتبوا إليهم بذلك فخرجوا فلحقوهم فنجى من نجى وقتل من قتل. انتهى.

وقريب من ذلك في تفسير أصحابنا من قصة عياش وأضراب امّه عن الطعام واخوته في اعادته وايذائه في الطريق، فراجع.

وقد قلنا مراراً ان المورد لا يخصص وشأن النزول لا يوجب الانحصار وتضييق مفاهيم الكلمات، فالآية باقية على اطلاقها في كل زمان ومكان ونحن نرى في زماننا مصاديق عديدة لها، فان في تغير الأحوال عُلم جواهر الرجال سيّما في الثورة الاسلامية ولاسيّما في الحرب المفروضة أدركناهم بأعينهم ونستجير بالله تعالىٰ من شر الشيطان ومن شرّ النفس أعاذنا الله منه إن شاء الله.

وفي تلك الحوادث والتغييرات يمتاز المؤمن عن المنافق إلىٰ حد معرفة الآخرين بعد ما يعرف الانسان نفسه وكان يعلمه الله من قبل ومن بعد ونسبة العلم بالله تعالىٰ مع التأكيد بعد الحوادث بحيث يتصور ان تلك التغييرات في نظام ليعلّمن الله الذين امنوا وليعلّمن المنافقين مع ان الله تعالىٰ لا يعزب عن علمه مثقال ذرة وان الخلق والبعث لديه أمر واحد وليس علمه الحصولي بل الحضوري الذي لا ينفك عن الوجود والموجود ليتم الحجة على كل منهم في الثواب والعقاب ويعلم كل منهم بنفسه وانه من هو؟ فتوجه.

ثمّ قال تعالىٰ:

١٢ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾

١٣ ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا

١. الآية ١١١ سورة النمل (١٦).

يَفْتَرُونَ ﴾

مفاد ظاهر الآيات واضح فان الكافرين لاسترضاء أنفسهم يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ويتصدون لاغواء المؤمنين واسترجاعهم إلى الكفر يقولون لهم اتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم مع ان عمل الانسان لا ينفك عن الانسان وكل نفس بما كسبت رهينة ولا تزر وازرة وزر أُخرىٰ أي لا يمكن أن يحمل أحد ثقل الآخر فان العمل يتحد مع النفس والنفس ينتقش بصورته فماهم بحاملين من خطايا غيرهم من شيء وانهم لكاذبون.

نعم من سنّ سنة حسنة فله أجر من عمل بها من دون نقص عن أجر العامل وهذا الأجر لعمله ولسنّته كما ان من سنّ سنّة سيّئة فله وزر من عمل بها كذلك أيضاً ولذلك يحملن اثقالاً مع اثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون وعليهم الاجابة مثل سائر أعمالهم وجزاء عملهم هذا الافتراء وغيره.

وقال في الاصفى لما تسبّبوا له بالاضلال والحمل على المعصية من غير أن ينقص من اثقال من تبعهم شيء.

ولا نرى وجهاً لما قيل ان اللام في تلك الأفعال للقسم بل هي للتأكيد أنسب.

ثمّ قال تعالىٰ:

⑭ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾

⑮ ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

الآيتان تحكيان عن قصة نوح النبي في غاية الاختصار من انه مرسل من الرسل وقد طال زمن رسالته تسع مأة وخمسين سنة وحيث لم يؤمن به إلّا قلائل فأخذهم الطوفان وهم ظالمون وقد نجاه الله تعالىٰ اياه وأصحاب السفينة وجعل ذلك السفينة والطوفان آية للعالمين.

وقد حكى قصّته في القرآن في آيات عديدة بمناسبات خاصة وأبسطها في سورة

هود من آية ستة وثلاثين إلىٰ تسع وأربعين.

قال تعالىٰ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ...﴾ فراجع.

تشير إلى الأمر بصنع السفينة والناس يسخرونه إلىٰ زمن الطوفان وفوران الماء من التنور وركوب قليل ممن آمن معه على السفينة ودعوته ابنه المتخلف عنه وقوله سآوي إلىٰ جبل يعصمني من الماء وجوابه له لا عاصم اليوم وكان من المغرقين ومقاولته مع الله تعالىٰ لابنه وأجيب بأنه عمل غير صالح إلىٰ أن قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وسائر الآيات في سورة نوح من بيان ارساله تعالىٰ اياه وتكليفه بانذار القوم وبيان دعوته واستدلالاته وعصيان قومه وقول نوح رب انهم عصوني ودعائه عليهم من قوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾[1] إلىٰ آخر الآيات.

وآيات اخر في شتات السور[2] فراجع.

نعم قصص الأنبياء العظام في القرآن عبرٌ ومواعظ أحسنها قصّة يوسف ولكن لا يخفىٰ ما في قصص غيره سيّما قصة نوح علىٰ نبيّنا وآله وعليهم السلام فانه لابدّ لكل منذرٍ هاد ان يلاحظ شرح احوالهم بتفصيل.

ثمّ قال تعالىٰ:

١٦ ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

١٧ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ

---

١. الآيتين ٢٦ – ٢٧ سورة نوح (٧١).

٢. الآية ٢٣ المؤمنون: (٢٣)، ٢٣ آل عمران: (٣)، ١٠ التحريم:(٦٦)، ٥٢ النجم: (٥٣)، ٤٦ الذاريات: (٥١).

إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

ثم بعد قصّة نوح قد أشار الايتان إلىٰ قصة ابراهيم شيخ الأنبياء على نبيّنا وآله وعليه الصلوة والسلام وانّه دعى قومه إلى التوحيد وعبادة الله وحده وإلىٰ تقواه والتحرز عن الكفر والعصيان وان ذلك خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون وبيان ان ما كانوا يعبدون من الأوثان والأصنام لا يقدرون على شيء ولا يستطيعون أن يحفظوا انفسهم فكيف بأن يفعلون لهم في الرزق والله هو الرزاق ذو القوة المتين، وعليه فقولهم لا نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى افتراء وكذب فالحق ان الله تعالى أحق أن يُعبد ويُتق ويبتغي عنده الرزق والشكر له.

نعم ان قصّة ابراهيم أيضاً مبسوطة منتشرة في سور القرآن ففي سورة البقرة آيات ١٢٤ ـ ١٣٢ تحكي عن ابتلاء ابراهيم بآيات مثل ذبح اسمعيل و اسكان ذريّته بواد غير ذي زرع وتحمله قبال النار وغيرها.

فلما أتمهنّ قال إني جاعلك للناس اماماً فاحبّ ذلك لذريته ودعى لهم فاجيب بالقبول الا انه لا يناله الظالمون منهم ثمّ عهد الله تعالىٰ له ولاسمعيل أن يطهرا البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود واذا دعا الله تعالىٰ أن يجعل الكعبة بلداً امناً ويرزق أهله من الثمرات الذين امنوا منهم فاستجيب له من غير اختصاص بالمؤمنين وفي النهاية دعىٰ ربه أن يجعل النبوة في ذريته ويجعلها مسلمين فاستجيب له.

وقد صرّحت الآية في قوله تعالىٰ: وما كان من المشركين ١٣٥ من سورة البقرة.

واشير إلى احتجاجه مع طاغوت زمانه بأن الله تعالىٰ يحيي ويميت وانه يأتي بالشمس من المشرق ٢٥٨، وإلىٰ قصة احياء الأموات واطمينان قلبه وذبحه أربعة من الطير ٢٦٠ وان ابراهيم ما كان يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ٦٧ آل عمران واتخذ الله ابراهيم خليلاً[١] وفي سورة هود خلال قصص الأنبياء أُشير إلىٰ مجيء رسل الله بالبشرىٰ لاهلاك قوم لوط وما اتى لهم نزُلاً

---

١. الآية ١٢٥ سورة النساء(٤).

من عجل حنيذ الى البشارة باسحق ويعقوب وقول امرأته ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً آية ٦٩.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ ﴾[١].

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً ﴾[٢].

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾[٣] إلىٰ حمده علىٰ نعمة أولاده اسمعيل واسحق ودعائه للغفران له ولوالديه وللمؤمنين (سورة ابراهيم ٣٥ ـ ٤١).

﴿ سَلاَمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ... وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ«٨٣» إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾[٤]، وغير ذلك مما تجد في الآيات فهو الصديق النبي الرشيد ما كان من المشركين بل كان حنيفاً مسلماً حليماً أوّاه وخليلاً لله تعالىٰ.

ومن المعلوم ان بيان قصّة نوح وابراهيم علىٰ وجه الاجمال وللاختصار لرسول الله ﷺ كان تسليةً له ولاطمئنان قلبه وان الأنبياء السلف حتى الأعاظم منهم كانوا مبتلين بأقوامهم الكذائي.

ثمّ قال تعالىٰ:

﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ⑱

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ⑲

في الكشاف والبيضاوي ان ذلك من قصّة ابراهيم وقوله لقومه وكذا الآية التالية.

والقمّي انه خطاب لرسول الله ﷺ كما ذكره الاصفي وقال الوجه ان مساق قصة

---

١. الآية ٥١ سورة الأنبياء (٢١).

٢. الآية ٤١ سورة مريم (١٩).

٣. الآية ٣٧ سورة ابراهيم (١٤).

٤. الآيات ٧٩ - ١١٣ سورة الصافات (٣٧).

ابراهيم لتسلية الرسول والتنفيس عنه بأن أباه خليل الله كان ممنواً بنحو ما مُني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بتشبيه حال ابراهيم في قومه ولذلك توسط مخاطبتهم بين طرفي قصّته. انتهى.[١]

هذا ولكن اذا تلونا الآيات إلىٰ قوله تعالىٰ:

﴿٢٤﴾ ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

نرى ترتب الآيات وحفظ السياق وتقدم قول الكشاف والبيضاوي فانّ لله تعالى قال لابراهيم خليله تسلّية له ان كذبوك فقد كُذب أُمم من قبلك وما على الرسول الّا البلاغ، أما قبول القوم أو تكذيبهم فليس على الرسول وعليه ارشادهم وتنبيههم بانهم ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ إلىٰ آخر الآيات التي تشير إلىٰ قدرة الله تعالىٰ ومشيّته وان القوم اليه يقلبون وبيان ضعفهم وانهم ليسوا بمعجزين ومانعين عن نظام الخلقة لا في الأرض ولا في السماء وليس لهم من دون الله ولي ولا نصير وان الذين كفروا بآيات الله ولقائه يئسوا من رحمته ولهم عذاب أليم.

وكان جوابهم لابراهيم أن يقتلوه أو يحرقوه ولكن الله تعالىٰ نجّاه من النار.

وقد قصّ الله تعالىٰ هذا الفصل من حيوته في سورة الأنبياء آيات ٥١ ـ ٧٠ بعد احتجاجاته معهم في عبادة الأوثان وتهديدهم بقوله: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا

---

١. تفسير الاصفى ذيل الآية المذكورة، ج ٢، ص ٢٤١.

إِبْرَاهِيمَ ﴾[١] إلىٰ قولهم: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴾[٢] فراجع الآيات.

وانتهى كلامنا في موضوع البحث سورة العنكبوت إلىٰ آية ٢٤ بعد ما كان في البين الاشارة إلىٰ مسألة الشكر وبدء الخلق ثم اعادته وان ذلك على الله يسير وانه علىٰ كلّ شيء قدير ومعنى ربط الكفر بآيات لله ولقائه مع اليأس من رحمته. فانك تعلم ان اليأس ضد الرجاء وهما وصفان لنفس الانسان تبتلي بها بعد تواجدها مناشئة ولسنا بصدد بيان صفات الانسان ومبادئها ولكن علىٰ منظر القرآن الرجاء صفة المؤمن بالله تعالىٰ وبآياته ولقائه واليأس صفة الكافر به. فكان الرجاء ملازم للايمان وينشأ منه كما ان اليأس نتاج الكفر والانكار. فان من آمن بالله تعالىٰ واعتقد انه منه واليه كل شيء وإنا لله وإنّا إليه راجعون وهو تعالىٰ نفس الخير والحق المطلق حتى عن قيد الاطلاق وانه هو الرحمن الرحيم وانه هو العفو الغفور وانه هو العزيز العليم وانه هو الرؤوف الرحيم وان له الأسماء الحسنىٰ ونعمه لا تحصىٰ وهكذا فهو يرجو رحمة ربه وعفوه وغفرانه وروحه وريحانه وعندئذ فهو على نشأة وفرح ورضا في كل حال في الشدة والرخاء فالرجاء ينشأ من الايمان.

وهذا علىٰ خلاف من كفر بالله تعالىٰ وأنكر وقال: ان هي الاّ حيوتنا الدنيا نموت ونحيىٰ وما يُهلكنا إلّا الدهر، ثم يرى نفسه قبال حكم الخلقة ونظام العالم مقهوراً لا ولي له ولا نصير وهو غريب وحيد فريد ييأس من كل روح ورحمة ولا يرى لنفسه ملجأ ولا لحيوته مبدء ومنتهى ولا لخلقه غرضاً ونهاية فييأس حتى عن حيوته فهو هالك.

قال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسوا مِنَ

١. الآيات ٥٧ – ٦٢ سورة الأنبياء (٢١).

٢. الآيتين ٦٨ – ٦٩ سورة الأنبياء (٢١).

الآخِرَةِ كَما يَئِسَ الْكُفّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ ﴾[١] فالكفّار مغضوب عليهم وهم عن الآخرة آيسون علىٰ حد يأسهم عن أهل القبور، فانهم لا يرون الموت إلّا هـلاكـاً وتباراً علىٰ ما فسّر في محلّه.

وقال يعقوب لبنيه: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[٢].

فان الايمان هو المنشأ لرجاء يعقوب في تلك الظروف والحكم الكلي بأن الايمـان ينافي اليأس وانّه لا ييأس إلّا الكافر وتمام الكلام في محلّه.

نعود إلىٰ بحثنا عن آيات سورة العنكبوت، ثمّ قال:

٢٥ ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِن دُونِ اللهِ أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُـمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِن نَّاصِرِينَ ﴾

٢٦ ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

٢٧ ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَـيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

وقال ابراهيم لقومه يا قوم ما اتخذتم من الأديان والأصنام معبوداً من دون لله مع انكم تعلمون انها لا ينطقون ولا يقدرون علىٰ شيء وكان ذلك حُبّاً لابائكم ومودّة بينكم تقليداً وتبعاً لهم عن عمىً ولو كانوا في ضلالة واطاعة بعضكم عن بعض عن جهل وبلاهة وتحسبون ان ذلك خير وهذا في الدنيا وحيوتها الماضية وأمّا في الآخرة ويوم القيمة بعد ما انكشف الحقائق كلها وظهر كل أمر باطنه فيتبرء المتبوع عن تابعه والقائد عن مطيعيه فيلعن التابع قائده والمطيع معبوده والابناء آبائهم علىٰ ما مضىٰ ولكن لا ينفع ذلك شيئاً فان ملجأ الجميع ومأوىٰ كلهم النار فان الداعي إلى الباطل

١. الآية ١٣ سورة الممتحنة (٦٠).

٢. الآية ٨٧ سورة يوسف (١٢).

ومن تبعه سيا مع علمه بالبطلان واتباعه حبّاً ومودة بعضهم بعضا لا يناسب الا النار فانهم هم الذين ظلموا أنفسهم وليس الله بظلام للعباد.

وبعد الدعوة وارشاد ابراهيم قومه فآمن له لوط أي آمن بالله واليوم الآخر وقبل التبعية والاطاعة لابراهيم بما هو رسول الله ونبيه وقال اني مهاجر إلىٰ ربّي انه هـو العزيز الحكيم القوي القادر الذي لا يفعل الا لحكمة وخير ومصلحة ويفعل الله مـا يشاء ويحكم ما يريد.

وعند ذلك في اواخر عمر ابراهيم بعد ما مضى منه سنين واشتعل رأسه شيبة وهب له تعالىٰ اسحق ومن بعده يعقوب وجعل في ذرّيته النبوّة والكتاب فكل الأنبياء كما تعلم من ذرية ابراهيم من سبيل اسمعيل واسحق ويعقوب واما الكتاب بعد صـحف ابراهيم فالتوراة والانجيل والزبور والفـرقان القـرآن الكـريم آخـر الكـتب السماوي واجمعها وأكملها ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين.

وأتى الله تعالىٰ أجر ابراهيم في الدنيا بعد نعمه النبوة والكتاب في ذريته حسن الثناء وانه شيخ الأنبياء في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين.

وقد عرفت الكلام فيهم فتأمّل.

ثمّ قال تعالىٰ:

(٢٨) ﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ ﴾

(٢٩) ﴿ أَءِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُم ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ ﴾

(٣٠) ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

انك ترىٰ أدب القرآن الكريم في بيان ارشاد لوط النبي قومه وتحذيرهم عن الذنب القبيح والفاحشة التى ما سبقهم بها أحد من العالمين بصورة السؤال الانكاري وما كان جواب قومه الا قبول ما حذرهم من العذاب فقالوا ائتنا بعذاب الله وعندئذ لا مناص

الا الدعاء والسؤال عن الربّ، فقال ربّ انصرني على القوم المفسدين.

انك ترىٰ قصّة لوط وقومه قد ذكر في القرآن الكريم في موارد عديدة تذكر في كلٍ نكتةً نذكر الآيات بعضها لنعلم جمع النكات وملخص الأمر:

١ ـ ففي سورة الاعراف قال تعالىٰ: ﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ مَاسَبَقَكُمْ بِهَا مِن أَحَدٍ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِن دُونِ ٱلنِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمجْرِمِينَ ﴾[1].

٢ ـ وفي سورة هود قوله تعالىٰ يُصرّح بأن رسل الله الذين كانوا مأمورين لعذاب قوم لوط جائوا أولاً لدى ابراهيم عليه السلام بالبشرىٰ ﴿ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ وبعد بشارتهم اياه باسحق ومن ورائه يعقوب وما ذكرتها امرأته ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ وكانه طلب عنهم رد العذاب قالوا: ﴿ يَاإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾.

ثم جاؤوا لوطاً فضاق بهم ذرعاً ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ قَالَ يَاقَوْمِ هٰؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا ٱللهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ * قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ * قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ * قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ ٱللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِن سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِندَ

---

١. الآيات ٨٠ – ٨٤ سورة الأعراف (٧).

رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾[١].

٣ ـ وفي سورة الحجر عند ما تحكي قصّة ضيف ابراهيم إلىٰ قوله: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۞ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَابِرِينَ ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱللَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۞ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هٰؤُلاَءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ۞ وَجَاءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ قَالَ إِنَّ هٰؤُلاَءِ ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ ۞ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِ ۞ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ ۞ قَالَ هٰؤُلاَءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۞ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۞ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِن سِجِّيلٍ ﴾[٢].

٤ ـ وفي سورة الشعراء قال تعالىٰ: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ إلىٰ قوله لهم: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ ۞ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ۞ قَالُوا لَئِن لَمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ۞ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِنَ ٱلْقَالِينَ ۞ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ۞ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عَجُوزاً فِي ٱلْغَابِرِينَ ۞ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾[٣].

٥ ـ وفي سورة النمل قوله تعالىٰ: ﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۞ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِن دُونِ ٱلنِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۞ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ ٱلْغَابِرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاءَ مَطَرُ

---

١. الآيات ٧٨ – ٨٣ سورة هود (١١).

٢. الآيات ٥١ – ٧٤ سورة الحجر (١٥).

٣. الآيات ١٦٠ – ١٧٣ سورة الشعراء (٢٦).

ٱلْمُنذَرِينَ ﴾[١].

والتوجه إلىٰ مجموع تلك الآيات الكريمة تعطي أولاً ان قوم لوط كانوا يعملون السيئات والفاحشة علنا وكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء وكان ذلك بحيث ما سبقهم بها من أحد من العالمين من حيث جمع تلك السيئات والفواحش واتيان الرجال أو في بعضها مثل قطعهم السبيل وأخذهم الشبان الحديث السنّ واتيانهم بالمنكر في مجلس يقال له نادى وفي المجالس يتضارتون من غير حياء وخجل وهم قوم عادون جاهلون ويهرعون إلىٰ ضيوف الاخرين ويسرعون في ذلك المنكر وهم مسرفون فأرسل إليهم لوط بعد ما آمن بابراهيم علىٰ نبيّنا وآله وعليهما السلام والصلوة فحذّرهم وقال لهم اتقوا الله اني لكم رسول امين وحذّرهم عن عذاب الله تعالىٰ عليهم اذا لم ينتهون عن أعمالهم، فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ثم قالوا لئن لم تنته يا لوط لنكونَنّ من المخرجين فلما لم يأت العذاب وأصرّ لوط على تحذيرهم عن تلك الأعمال قالوا اخرجوا آل لوط انهم اناس يتطهرون وأخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون ولما لم ينتهوا عن أعمالهم الفحشاء فدعا لوط ربه وقال: ربّ نجّني وأهلي ممّا يعملون، ربّ انصرني على القوم المفسدين، فاستجاب له ربه دعائه فأرسل إليهم رسل الله وجائوا أولاً بالبشرىٰ لابراهيم وعند ما سأل عنهم بعد بشارتهم عن أصل خطبهم قالوا انا ارسلنا إلىٰ قوم مجرمين وأما تكلمهم ابراهيم قالوا له يا ابراهيم اعرض عن هذا انهم آتيهم عذاب غير مردود، وعند ما جائوا لوطاً فضاق بهم زرعاً إلىٰ صدره أو طاقته عند ما رأى ان قومه يهرعون إلىٰ بيته ويريدون من ضيوفه السوء فخاطبهم وقال لهم انهم ضيوفي فلا تفضحون ان هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين فقالوا له الرسل لا تخف انهم لن يصلوا الينا فأمروا لوطاً أن يخرج من قريتهم ليلاً بعد مضى قطعة منها وأمروه أن أسر بقطع من الليل بأهلك إلىٰ حيث تؤمرون إلىٰ نقطة امن لا يصيبها ذلك العذاب ولا يلتفت

---

١. الآيات ٥٤ – ٥٨ سورة النمل (٢٧).

منكم أحد الا امرأته كانت عجوزاً في الغابرين انها كانت تعاون القوم في أعمالهم السيّئة وعلى الاقل تخبرهم عن الضيف وفي آية قال الله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَةَ نُوحٍ وَٱمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ٱدْخُلاَ ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ﴾[1] وقالوا له انا ننجوك وأهلك أجمعين إلّا امرأتك انها كانت من الغابرين.

وقالوا له ان هذا العذاب بعد ما خرجت وأهلك وقبل الصبح واقع بهم وان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وأليس الصبح بقريب فخرج لوط وأهله وأنزل عليهم العذاب وجعل الله تعالىٰ القرية عاليها سافلها ودمّرها فصارو جميعاً مع بيوتهم وأشيائهم مقبورين مدفونين وأمطر عليهم مطر السوء بحجارة مسوّمة عند ربّك من سجّيل، الحجارة التي أرسل إلىٰ أصحاب الفيل بأيدي الأبابيل فانها كانت تعمل كالقنابل وكانت تجعلهم كعصف مأكول وفي القوم أمطر عليهم ذلك أولاً ثمّ دمّر وجعل عاليها سافلها ولم يبق منهم أحد فقطع دابرهم أجمعين وفي هذا العذاب لآيات لقوم يفقهون، كعذاب الله النازل علىٰ عاد وثمود وغيرهم وفي ذلك لعبرة لاولى الألباب.

هذا وقد انتهينا في كلامنا في سورة عنكبوت إلىٰ قوله تعالىٰ: وإلىٰ مدين أخاهم شعيباً.

وقد ظهر لك معنى آيات ٣١ ـ ٣٥ من سورة العنكبوت:

٣١ ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾

٣٢ ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَابِرِينَ﴾

٣٣ ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُوا لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَابِرِينَ﴾

---

١. الآية ١٠ سورة التحريم (٦٦).

٣٤ ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ ٱلسَّماءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾
٣٥ ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

وصريح آيات الأخير زائداً على ما عرفت ان الرجز والعذاب كان من السماء كما اشارة إليه الآيات التي عرفت من قوله أنزلنا عليهم مطراً وساء مطر المنذرين وكذلك ان الرجز هو نزول الحجارة من سجّيل ولا ينافي ذلك التدمير وجعل عاليها سافلها بالزلزلة مثلاً فان اثبات شيء لا ينفي الآخر وكلا العذابين مصرح مع ان العذاب ذلك كان لاعمالهم وبما كانوا يفسقون وبعد العذاب وتدمير القرية تركنا ما يكون عبرة وآية بيّنة لقوم يعقلون وصارت بحيث كل من يراها يعلم انها كانت قريةً ذات أهل ونسمة وكانوا ذو قوّة وشرّة وأصيبوا بعذاب ونصب.

وقيل الآية هي منزل لوط بقي سالماً.

ثمّ قال تعالىٰ:

٣٦ ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَاقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱرْجُوا ٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَلاَ تَعْثَوْا فِي ٱلأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾
٣٧ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾

وقد دعى شعيب النبي صلّى الله علىٰ نبيّنا وآله وعليه السلام قومه بما دعى إليه سائر الأنبياء أقوامهم من عبادة الله وتوحيده مع رجائهم الثواب في اليوم الآخرة بعد الاعتقاد به أي إلى المبدء والمعاد ونهاهم عن الفساد في الدنيا في عيشهم وحيوتهم المادي وعن شرة الفساد وعثوه.

فالقوم كذبوه والقوا دعوته وراء ظهورهم فأخذهم بالرجفة والزلزلة وماتوا جميعاً جاثمين لا قاعدين ولا قائمين بل بينهما ولم يمهلهم العذاب لأحدهما وكان ذلك بتكذيبهم.

ثم قال تعالىٰ:

٣٨ ﴿ وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَد تَبَيَّنَ لَكُم مِن مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ

فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾

والآية أيضاً يشير إلىٰ عذاب قوم عاد وثمود وانهم كانوا في مساكنهم العالية وكانوا ذو بصيرة وتفّهم الا ان الشيطان زيّن لهم أعمالهم السيّئة وظنوا انها حسنة فصدوا عن سبيل الحق واشركوا إلى الباطل فاصيبوا بعذاب شديد قد تبين لكم من مساكنهم الخربة المدمّرة وذلك باطاعتهم الشيطان بعد تزيينه أعمالهم وصدهم عن سبيل الحق مع انهم كانوا غافلين.

ثمّ قال تعالىٰ:

٣٩ ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴾

٤٠ ﴿ فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

والآيتان تشيران إلىٰ عذاب قوم موسى عليه السلام وانهم استكبروا، أخذوا أنفسهم كبراء من ادّعاء الالوهيّة لفرعون والاستغناء والتزين لقارون ومعاونه الظلم والخلاف لهامان وزير فرعون ما يشير إلىٰ ذلك آيات اخر فبالنسبة إلىٰ قارون قال تعالىٰ:

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ * وَٱبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلَّا

ٱلصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَن مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾(١).

وبالنسبة إلىٰ فرعون وهامان قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾(٢).

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى ٱلطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ ﴾(٣).

ولقد كان فرعون في استكباره وتجاهله بأن جعل نفسه الهاً للناس واستعبدهم وساعده هامان ومن كان مثله ممن كان يتبعون الهواء ويتجاهلون والأمر ببناء الصرح للاطلاع علىٰ إله موسى كان تحميقاً وتجهيلاً فان النبي ﷺ قد بين الحق وعرف الاله وانه هو الخالق للسموات والأرض وذلك شيمة أكثر المستكبرين من التجاهل والتستر على الحق والكفر به مع ان أنفسهم في أنفسهم كانت تشهد عليهم.

وكيف كان فالآيات من أول السورة المباركة إلىٰ هنا صرح بأن الانسان يحسب أن يقول امنت ولا يفتنون وان الابتلاء والامتحان والافتنان كان من السنة الجارية في الامم الخالية والأنبياء السلف من زمن نوح وابراهيم وهود وصالح وشعيب وموسى لهم ولأقوامهم وان الله تعالى لم يعذبهم إلّا بأعمالهم وذنوبهم وفسقهم وانهم غير معجزين الله تعالىٰ في نظام الخلقة وغير سابقين على ارادته في ذلك وان الانسان رهينة عمله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ولا يتحمل أحد وزر الآخر، فان الكافرين الذين قالوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من شيء انهم لكاذبون.

---

١. الآيات ٧٦ – ٨٢ سورة القصص (٢٨).

٢. الآية ٨ سورة القصص (٢٨).

٣. الآية ٣٨ سورة القصص (٢٨).

في هذه الاجواء وقبال هذا النظام القادر القاهر:

٤١ ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

٤٢ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

٤٣ ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ ﴾

٤٤ ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١)

المثل وهو تشبيه المعقول بالمحسوس لتقريب الذهن له لسان خاص يفهم الذين يعلمون فان البيت تبنى للسكنى والأمن من كل عدو طبيعيّ وغير طبيعي من الجن والانس وكل ذي حيوة بما هو يحبّ حيوته ويعشق وجوده يسعى في حفظ نفسه بجذب منافعه و دفع مضاره في أي مرحلة كان من الحيوة حتى أضعف الحيوانات والعنكبوت كما تعرفونه يبني بيتاً هندسياً مقاوماً قبال الحوادث تتكي بأركان وترتبط بالجدر وفي زوايا خاصّة يطلب من ذلك مع الاستقرار والأمن والاستراحة الصيد والاستطعام بمثل البعوضة والبقّة وما أشبه ذلك وتعلم ان مصالح تلك البناء مركب ممّا له الاستقامة والاستحكام من ماء فمه وتركيبات خاصة ومع ذلك بيت العنكبوت من أوهن البيوت يخربه ريح أو طرف جناح طائر فكيف بغيرها من العواصف والذين يتخذون من دون الله أولياء ويتكلون بغير الله مثلهم كمثل العنكبوت فان غير الله تعالىٰ كائناً ما كان ومن كان ليس له شيء وقدرة لا ينفع ولا يضرّ فان نفسه فقير ممكن متكى على الله والفاقد من ذاته كيف يساعد غيره كما هو ظاهر.

ولو كان الانسان يعلم بجدّان غير الله لا يقدر علىٰ شيء وماله من حول وقوّة ولا حول ولا قوّة إلّا بالله وكل ما في الكون هو جند من جنود الله وسبب من أسباب مسبب الأسباب ما اتخذ غير الله ولياً ومؤثراً، بل يستخدمه سبباً ووسيلةً ويراه نعمةً من الله تعالى علىٰ عباده.

---

١. الآيات ٤١ - ٤٤ سورة العنكبوت (٢٩).

والله تعالىٰ يعلم ويعرف عباده ويرى ما اتخذوه ولياً وهو العزيز القادر الحكيم المتعال ولا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فيضرب للناس مثل بيت العنكبوت وهي أوهن البيوت والبعوضة والذباب. قال تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[١].

فان غير الله تعالىٰ لا يقدر علىٰ خلق ذباب وبقّة وأصغر من ذلك ولا أكبر. فان الايجاد سيمّا اعطاء الحيوة غير ممكن الّا للحيّ القيوم الذي من حيوته كل ذي حيوة حي ومن قدرته كل ذي وجود موجود وبالفعل ذلك أي لا يدرك ولا يحسّ ولا يؤمن بقلبه ذلك الا العالمين بنظام الحيوة والخلقة وكتاب الأمر والخلق الذي يعلمون ان له الخلق والأمر يُدبّر السماء إلى الأرض فان كل ممكن مفتقر إلى واجب وكل ما بالغير لابد وان ينتهي إلىٰ ما بالذات وهو العزيز الحكيم.

والحاصل انّ ما يتخذونه من دون الله أولياءهم ضعفاء مخلوقين لا يقدرون علىٰ شيء والاتكال اليهم كالاتكال إلىٰ بيت العنكبوت وهم بأجمعهم لا يقدرون علىٰ خلق ذباب وما هو الاصغر من ذلك، فكيف ينتفعون لكم وتلك الأمثال يضرب الله تعالىٰ للناس تفهيماً لهم وتحكيماً لايمانهم بالله تعالىٰ وله آيات وعلائم في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق تعليمهم النظر إلى السماء وما فيها والأرض وما بينهما وإلى أنفسهم وليتفكروا في خلق السموات والأرض ليروا آيات الله خلق الله السموات والأرض بالحق والعدل والخير وان في ذلك لآية للمؤمنين كما في آيات كثيرة فان أبين آيات الله السموات والأرض اللاتي يعيش فيها الانسان ويراها كل يوم ولا يمكن أن يغفل من اختلاف الليل والنهار والنور والظلمة وانه يغشى الليل والنهار يطلبه حثيثاً.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي

---

١. الآية ٧٣ سورة الحج (٢٢).

تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(١).

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(٢).

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾(٣).

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾(٤).

وآيات اخر قريب مما سمعت فان اختلاف الليل والنهار وما ذكر من الآيات مما لا يغفل انسان في حيوته ولا حجة له في كفره فالله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما بالحق أحق أن يتخذ ولياً.

٤٥ ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

٤٦ ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

ثم بعد بيان ان الافتنان والامتحان من القوانين الحاكمة علىٰ نظام الخلقة والانسان والهداية وان قدرة الله تعالىٰ هي الحاكمة الفائقة علىٰ كل تدبير وتقدير وتوصية الانسان بالاحسان والعمل الصالح وذكر المصاديق من ابتلاء الأنبياء مع اممهم ثم بيان عذاب النازلة عليهم كلٌ بذنبهم من الطوفان والرجفة والصيحة الى خسف الأرض والاشارة إلىٰ حاصل البحث وان من اتخذ من دون الله ولياً مثله كمثل العنكبوت

---

١. الآية ١٦٤ سورة البقرة (٢).
٢. الآية ١٩٠ سورة آل عمران (٣).
٣. الآية ٦ سورة يونس (١٠).
٤. الآية ٢٢ سورة روم (٣٠).

اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت.

ففي هذه الاجواء خاطب رسوله الكريم وأمره بتلاوة ما أوحىٰ إليه من الكتاب وذلك لأهل الكتاب فان فيه ما كان في التورة والانجيل فيتم الحجّة عليهم لغير ذلك وأقم الصلوة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وبعد الصلوة لذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

فهناك أمور: الأوّل تلاوة الكتاب وما أوحي إليه فانه المعجزة الخالدة الهادية إلى الحق سيّما لأهل الكتاب الذين يجادلونه وينكرونه ولذلك نهى عن الجدال معهم إلّا بالتي هي أحسن والجدال لا يتكي على البرهان بل على المقبولات والمشهورات لدى الخصم فالاشارة إلىٰ ما في كتبهم والجواب عن سئوالاتهم اللاتي أجيب بها في كتبهم بما أوحى إليك يكفي عن هدايتهم أو اتمام الحجّة.

الثاني وأما الصلوة فهي العبادة التي كانت في كل دين الهي وفي الاسلام علىٰ شكل خاص اقامتها بعد الكتاب وتلاوة ما أوحى إليك من العوامل المهمة في نشر الشريعة وترويج الطريقة ونفي الشرك والكفر، فانها بطبعها تنهى عن الفحشاء ومن العجب ما ذكر في الاصفى وكذلك في تفسير الجلالين قيد: مادام في صلاته مع ان الصلوة بل كل عمل صالح مادام الانسان شاغلاً به فهو ناهى عن غيره.

والصلوة مادام المصلّي فيها ناهية عن الفحشاء ولكن هذه الخاصية المحدودة بعد انها لا تنحصر بالصلوة لا يناسب كلمة أو علة لتشريع اقامتها ولا عجب ان صاحب الاصفى ﷺ نقل ذيل ذلك رواية ينافي القيد قال: روى ان فتىً من الأنصار كان يصلّي مع رسول الله ويرتكب الفواحش فوصف ذلك لرسول الله ﷺ فقال: ان صلاته تنهاه يوماً فلم يلبث ان تاب.

وفي المجمع والصافي علىٰ ما ذكره المحشى يوماً ما.

وذلك صريح في ان نهي الصلوة عن الفحشاء والمنكر لا يكون راجعاً إلى مادام فيها بل تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر في طيلة الحيوة وعن ساحة العيش ولذلك يطلق

عليها انها معراج بها يعرج إلى الرقاء والتعالى والى التقوى والهداية.

الثالث ان ذكر الله أكبر مع ان الصلوة بنفسها ذكر الله تعالى ومن ذلك يستظهر ان المراد من ذلك الذكر كما في الحديث ليس سبحان الله والحمد لله والله أكبر بل ذكر الله عند حلاله وحرامه.

بمعنى ان الانسان في أي زمان ومكان عند ما يريد أن يعمل عملاً اذا ذكر الله وأحكامه وحلاله وحرامه فعمل اذا راه حلالاً جائزاً وانتهى اذا راه منهياً فهو ذاكر وذلك الذكر أكبر من كل ذكر يورث توجه الانسان إلى الله تعالىٰ ورعاية رضاه في كل حال قائماً وقاعداً وعلىٰ جنبه.

الرابع: ان الله يعلم ما تصنعون، علم الله تعالىٰ بأعمال الانسان وصنعه كعلمه بكل شيء وعلمه بما في السموات والأرض ولا يعزب عن عمله مثقال ذرة يشير الى بعض الآيات في المقام وحضور الانسان في محضره تعالى وامتناع غيبته عن محضره مثل امتناع غيبة كل شيء مادام هو شئ وذلك العلم لا يكون حصولياً بحضور صورة الشيء المعلوم لدى العالم بل حضوري بمعنى حضور نفس المعلوم لدى العالم، فان المعلوم الذي كونه ووجوده من فيض الموجد وشعاء افاضته لا يمكن غيبته عن المفيض فان نور الشمس لا يغيب عن الشمس وهو نور افاضى فكيف النور الحقيقي الوجود فان النور ما هو ظاهر في نفسه ومظهر لغيره والوجود هكذا بشعاعه ودرجاته الشاملة لكل الممكنات وتحصل الميهات به كما فصل في محله وها اليك بعض الآيات تلاحظها:

١ ـ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

١. الآيتين ٣ - ٤ سورة الحديد (٥٧).

٢ ـ ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[١].

٣ ـ ﴿... يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمٰوٰاتِ وَٱلْأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٢].

٤ ـ ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴾[٣].

٥ ـ ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾[٤].

٦ ـ ﴿ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ﴾[٥].

وكثير من الآيات الاخر.

وعندئذ فعلمه تعالى بما تصنعون هو هذا العلم الحضوري الذي لا يتحقق صنع الانسان وعمله الا بحول الله وقوته وما تشاؤون الا أن يشاء الله.

فالعمل والصنع من مرحلة الارادة والعزم والجزم وقبلها التصور والتصديق إلى الصنع والعمل بقدرة الله وبوجوده وحيوته وحوله وقوته فلا يمكن غيبوبته عنه ومع ذلك الانسان هو المثاب والمعاقب هو المأمور والمنهى فانه هو المختار ذو ارادة وتفصيل البحث في محله وقد أشرنا إليه فيما سبق.

وهناك آيات نشير إليها ما تدلّ علىٰ ذلك وعلى ان الله تعالىٰ أقرب إلى الانسان حتى من نفسه: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[٦].

وحبل الوريد هو حبل الحيوة وعرق الذي ترتبط الحيوة.

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلٰكِن لاَ تُبْصِرُونَ ﴾[٧] وذلك عند حضور الموت واذا

---

١. الآية ٥٩ سورة الأنعام (٦).
٢. الآية ٢٥٥ سورة البقرة (٢).
٣. الآية ١٩ سورة غافر (٤٠).
٤. الآية ٢٨٤ سورة البقرة (٢).
٥. عدّة سور في القرآن الكريم.
٦. الآية ١٦ سورة ق (٥٠).
٧. الآية ٨٥ سورة الواقعة (٥٦).

بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون.

﴿مَا يَكُونُ مِن نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾[١] الآية.

والنجوى ما يتكلم به الانسان قريب اذن الآخر على وجه لا يسمع غيرها من خفاء الصوت واداء الكلمات في نهاية الخفاء ومع ذلك الله تعالىٰ رابعهم وسادسهم وقوله تعالىٰ ولا أدنىٰ أي أقرب من الناجي إلى من يناجيه ولم يقل ولا أقل ولا أكثر اشارة إلىٰ ان بعد انه يسمع نجوا اثنان فاكثر يسمع حديث النفس وما يتكلم الانسان مع نفسه فانه ادنى إليه من متكلم يناجيه.

فهو تعالى معكم أينما كنتم ويسمع ما يتكلمون ويبصر ما تصنعون وقريب من الآيات ترىٰ كثيراً في كلمات المعصومين الأئمة عليهم السلام سيما عن علي عليه السلام ومن ذلك قوله: «مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة»[٢] ونختم بذلك القول الجامع عن علي بن الحسين عليه السلام: «الذي بعد فارتفع فى السماوات العلىٰ وقرب فشهد النجوىٰ».[٣]

بقي من الآيتين الاخيرتين قوله: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٤].

وذلك نهاية مقالة الجدال بالتي هي أحسن من ان الهنا والهكم واحد ونحن نسلم له ولما انزل إلينا وإليكم ليتم الحجة على أهل الكتاب والحمد لله....

ثم قال تعالىٰ:

(٤٧) ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾

---

١. الآية ٧ سورة المجادلة (٥٨).
٢. نهج البلاغه، خطبه ١.
٣. بحار الانوار: ج ٤٥، ص ١٤٨.
٤. الآية ٤٦ سورة العنكبوت (٢٩).

فكما أنزلنا على الأنبياء وعرفت تعامل اممهم معهم انـزلنا إليك القـرآن والذيـن اتيناهم الكتاب من قبل من اليهود والنصارى لما رووا في كتبهم ما يؤيد ذلك الكتاب ورسالتك يؤمنون به ويصدقونك ولكن ليس كلهم كذلك بل منهم ومن هؤلاء الذين يعرفون الحق من يؤمن به تصديقاً لما آمن به من قبل في كتبهم التورة والانجيل ومنهم من يجحد وينكر الحق مع علمه فان الجـحد ليس مطلق الانكار بل الانكار بعد ما ثبت له الحق عناداً وتعصباً وما يجحد باياتنا الا الكافرون والكفر معناه ذلك أي ستر الحق وانكاره مع وضوحه وتبيّنه.

وهناك امرٌ آخر في صدق ايمان البعض وكفر الآخرين وهو انك ما كـنت تـتلوا الكتاب من قبل أي مكتوب وأي كتاب وما كنت تخطه وتكتبه بيمينك ولم يعرف منك انك تلوت مكتوباً أو كتبت كتاباً بل كنت اميّاً وجئت بكـتاب يخـبر بمـا في كـتبهم ويصدقه ما انزل اليهم ولو كنت تتلو من كتاب أو تخطه من خط ومكتوب لارتباب المبطلون وتوهمو انك اقتطفت كتابك من الكتب السابقة وأخذت منها مع انه منزل من الله تعالى كما أنزل الله تعالىٰ غيره وذلك الحاله فيك وفي تاريخ حيوتك بما يقوى دعواك ويؤيد كتابك انك مرسل من عند الله تعالى وان ذلك الكتاب منزل من عنده كسائر الكتب المنزل وهو آيات بينات وعلامات واضحات وحجج وبراهـين محـكمات في صدر الذين اوتوا العلم وفي أنفسهم يعرفونها ويعتقدون بها اعترفوا بها وشهدوا او لم يعترفوا بها وما يجحد بها الا الظالمون فان من علم بشيء وعرفه حق معرفته وجحده لاغراض آخر نفسيّة ودنيوية فهو ممن أظلم على نفسه أولاً وعلى مجـتمعه وزمـانه ونوع الانسان ثانياً كما هو ظاهر وهم في جحدهم وانكارهم يقولون لو لا انزل عليه آيات من ربه مثل ما انزل على بعض الامم الماضية وبعض الآيـات الظـاهر مـثل صيرورة النار برداً وسلاماً علىٰ ابراهيم والطوفان علىٰ نوح وما اتى به موسى عـلىٰ فرعون وعيسى علىٰ امته من احياء الأموات وشفاء المرضىٰ ونزول المائدة وغير ذلك قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين وليس على النذير الا الانذار وعلى الرسول

الا البلاغ وكل آية عند الله ملكوته ومبدئه وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وفي مواقع خاصة وموارد لازمه وضروريات معينة وفي مثل المقام وتلاوتك الكتاب الذي أنزلنا إليك وأكثرهم يعرفه بما في كتبهم السابقة ولكن بعضهم يجحدون لا يناسب الاتيان بمثل تلك الآيات فان ذلك الكتاب بنفسه ابين الآيات مع انك كنت امياً.

٥١ ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

٥٢ ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ ﴾

وفي آخر سورة الرعد: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ ﴾[١].

مما يتوقعون وينتظرون من نزول الآيات الاخرىٰ من ربك لا يكون إلّا كفراً وضلالاً وتستراً علىٰ ما ظهر لهم الأمر من ذلك الكتاب فانه رحمةٌ وذكرى يذكّرهم ما عرفوا من كتبهم التورة والانجيل يذكّرهم ما عندهم من ظهور الحق وتبين الحقيقة الا انهم يكفرون ويجحدون بعد ما تبين لهم الحق والله تعالىٰ هو الشهيد الشاهد على كل الامور ويعلم ما يبدون وما يكتمون فانه تعالىٰ يعلم ما في السموات والأرض.

ومن الواضح ان الخسران والضرر كان للكافرين الذين كفروا واشتروا الحق وهم يعلمون والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون.

إلىٰ هنا ظهر البحث عن الآية ٤٧ وما بعدها إلى آية ٥٢ على الاختصار وترتب الآيات وحفظ السياق وربط البحث وتفصيل الكلام علىٰ أهله في محاله.

٥٣ ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

---

١. الآية ٤٣ سورة الرعد (١٣).

٥٤ ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾
٥٥ ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

ومن عادات الأقوام والأمم مع الهادين والمنذرين انهم اذا لم يقبلوا دعوتهم حتى بعد ما رأوا الآيات وعلائم الصدق كانوا يسئلون عن المنذر أن يأتي بما أنذر من العذاب وسوء العقاب كما ترىٰ في سئوال الامم السالفة عن أنبيائهم.

فيا رسول الله وخاتم النبيّين يسئلونك أن تعجل عليهم بالعذاب وكأنهم بهذا السئوال يردون عليك وينكرون دعوتك ويتصورون ان ما تقول لهم من شمول العذاب وسوء العاقبة للكافرين والمنكرين سيّما أهل الكتاب الذين دعوتهم بآيتك الكبرىٰ القرآن الكريم مع انك ما كنت تتلوا الكتاب ولم تخط بيمينك من قبل فحيث تمت عليهم الحجة وتمنعهم العصبية يستعجلونك بالعذاب فقل لهم ان عذاب الله تعالىٰ له نظم وحساب وشرائط وعلل واذا تمت الشرائط وتجمع اجزاء العلّة في زمانه الخاص وأجله ليأتيانهم ولو لا ذلك لجائهم ولكن لذلك لا يأتيهم حتىٰ يبلغ أجله فاذا جاء ليأتينّهم بغتة وهم لا يشعرون، فان نظام الخلقة وحساب الحيوة في العالم له مقدرات وحدود لا يتغير جُزافاً وان كان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الّا ان ذلك النظم والأجل ممّا أراد وله جنود السموات والأرض.

أضف إلىٰ ذلك انهم يستعجلونك بالعذاب في الدنيا وله أجل وزمان ولعله لم يأت هذا الأجل والزمان لهم ولكن من المعلوم ان جهنّم لمحيطة بالكافرين فالعذاب في الدنيا اذا لم يأتهم عذاب الآخرة محتمٌ ومحيطة بهم فان الانسان اذا كان رهين عمله ولا ينفك عنه أعماله خيراً أو شراً وتكون معه أينما كان فمحصل عمل الكافرين المنكر للحق محيطةٌ بهم وهذه هي الجحيم الذي صنعوه ونتيجة أعمالهم وذلك في نهاية حيوة هذه الدنيا يوم يغشاهم ويشتمل عليهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ليحيط بهم وهم فيه محصور محبوس وحيث انهم يرون ما عملوا وحاصل فعلهم وملخّص

حيوتهم ومحصل أعمالهم فيقول لهم ذوقوا ما كنتم تعملون والقائل نفس هذا النظام عين الخلق والعامل والعمل من الخالق المتعال ان ذلك لم يكن إلّا قبال ما كنتم تعملون فذوقوه وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وليس معنىٰ هذا الكلام الانتقام أو التوبيخ والتحقير بل بيان العدل ونظام الحق أشرف النظام وأحسنه فليس للانسان إلّا ما سعىٰ والانسان رهين لما عمل، أعاذنا الله من شرور أنفسنا.

٥٦ ﴿ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾

٥٧ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾

٥٨ ﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفاًتَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَامِلِينَ ﴾

٥٩ ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

خطاب الآية إلى العباد الذين آمنوا والأخبار بأن الأرض واسعة بنفسه جزءٌ عن حقيقة خارجية وان الأرض واسعة بعد ظهورها في ان المراد من الأرض، الأرض التي نعيش عليها دون أرض الجنة فان هناك لا أرض ولا سماء.

والأخبار بانها واسعة منبسطة لها أقطار وسطوح وان عليها الجبال والاطلال والمراتع والجنان مع العناية إلىٰ ما ترتب عليه من مثال ترتب النتيجة على المقدمة مع حرف فاء والأمر بانحصاره العبادة لله تعالىٰ دون نفس العبادة فانه تعالىٰ قال: فايّاي فاعبدون ولم يقل فاعبدوني أو فاعبدوا رب هذه الأرض وربكم.

فالظاهر من ذلك ان الله تعالىٰ جعل أرضها واسعة منبسطة للعبادة عليها فكأنّ الانسان يعيش على الأرض لعبادته تعالىٰ فكلما تمكن من ذلك فيها وتنعمت واذا لم يتمكن فعليه أن يترك النقطة التي لا يتمكن فيها من عبادة الله وعليه أن يهاجر منها إلىٰ ساحة أخرىٰ يتمكن من ذلك فكأنّ الأمر بعبادته تعالىٰ وحده وانحصاراً أمره بالمهاجرة الىٰ أي نقطة يتمكن من ذلك على بسيط الأرض والا فنفس الاطلاع على ان أرض الله واسعة من غير تكليف مترتب على ذلك لا طائل تحته.

ومما يؤيد ذلك قوله تعالىٰ في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[1] الآية.

فان اعتذار الذين استضعفوا في الأرض وقد ظلموا أنفسهم لتمكنهم من الهجرة أو المقابلة مع المستكبرين وجوابهم بقول الملائكة لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها دليلٌ على انه كان عليهم ذلك وحيث لم يهاجروا وصار مأواهم جهنم وساءت مصيرا.

فالانسان على بسيط الأرض اذا تمكن من عبادة الله تعالى والتدين بدينه فهو والا فعليه الجهاد والسعي في اعداد القضاء اللازم لذلك من قطع أيادي الظلمة ونفي المستكبرين بالكفاح معهم ان أمكن والّا فعليه الهجرة إلىٰ بلدٍ يتمكن من التدين بدين الحق فالهجرة من بلد الكفر الى بلد الاسلام واجب وما ذكر من انّهم افتوا بحرمة السكونة في بلد الكفر يرجع إلىٰ ذلك والأمر اشارة إلى اعتبار الوجوب وأنت تعرف انّ اعتبار حرمة ترك الواجب أمر آخر عقلي فصلناه في محلّه من ان الواجب واجب والحرام حرام ولا يتم حكم آخر من حرمة ترك الواجب أو وجوب ترك الحرام وكيف كان في المقام آيات عديدة تدل على وجوب الهجرة من بلد الكفر إلىٰ بلد الايمان ذكرناه في فقه القرآن آخر بحث الجهاد[2] وأشرنا إلىٰ ان ما ذكره المحقق الأردبيلي ﷺ من صدق الهجرة في موارد كثيرة تأويل وصدق لغوي لا يترتب عليه آثار المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللهِ﴾[3].

فانه قال كل هجرة لغرضٍ دينيٍّ من طلب علم أو حجٍ أو جهاد أو فرار إلىٰ بلد

١. الآية ٩٧ سورة النساء (٤).

٢. فقه القرآن، ج ٢، ص ١١٩.

٣. الآية ١٠٠ سورة النساء (٤).

يراد منه طاعة أو قناعة أو زهدٍ في الدنيا أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة إلى الله ورسوله. انتهى.

فان الظاهر من آيات الهجرة انها من مراتب الجهاد ومصاديقها الأجلى هجرة النبي الأكرم ﷺ من مكّة إلىٰ مدينة بعد الهجرة إلىٰ شعب أبي طالب وهجرة جمع من المسلمين إلىٰ حبشة يطلق عليه الآن (اتيوپي).

ثمّ بعد الأمر إلى الهجرة قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ بمعنى ان آخر امر يمكن أن يحدث عند ترك الانسان بلد الكفر حدوث الموت في طريق بلد الاسلام فلابد وان لا يخاف الانسان من ذلك فان الموت ملاق له أينما كان ولا يمكن الفرار منه فلا يعد مانعاً في طريق الهجرة واكتساب طلب الفضيلة وبلد يمكن فيه الاطاعة وبعد الموت إلى الله ترجعون فانا لله وإنّا إليه راجعون وهو المنتهى والمعاد.

والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً وأيّ عملٍ صالح أصلح من الهجرة إلىٰ مكان يمكن فيه الاطاعة والعبادة وترك المأمن المألوف الذي لا يتمكن فيه ذلك والغرف العمارات والحجرات الفوقاني التي تشرف على ساحة الجنة تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نِعْمَ اجرُ العاملين الذين صبروا وعلىٰ ربّهم يتوكّلون.

صبروا علىٰ مشاق الهجرة ومضائق ترك الوطن المألوف لاطاعة الله تعالىٰ إلىٰ بلد الاسلام الذي يُطاع فيه والتوكل على الله تعالىٰ في مسير الحيوة وطريق المعيشة الطيّبة وتمام الكلام في الصبر والتوكل في محلّه.

(٦٠) ﴿وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾

(٦١) ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾

(٦٢) ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

٦٣ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

ظاهر الآيات الشريفة انها تتصدّىٰ لبيان أمر واحد وهو ان الله تعالىٰ هو الذي يخلق ما يشاء ويرزق لمن يشاء من عباده ويبسط لمن يشاء ويقدر ما يشاء فانه هو الذي خلق السموات والأرض وهو الذي سخر الشمس والقمر وهو الذي أنزل من السماء ماء فاحيا به الأرض بعد موتها فاذا كان كذلك فقل الحمدلله فان الحمد كله في كل نظام الخلقة لله تعالى فاذا كان هو المقدر لا لرزق للانسان فقط بل لمجموع الخلقة والانشاء من السموات والأرض وما بينهما ولذلك كان الحمد لله تعالىٰ فقط. فالتقدير هو المقدرات الكلية والقواعد الحاكمة على العالم المجردات والماديات عالم الخلق والأمر عالم الانشاء والايجاد عالم الملك والملكوت نشأة الاولى والآخرة واذا كان التقدير بهذا المعنى فهل يقابل كلمة يقدر في الآية قوله يبسط حتى يفسر بعبارة يضيق ويقال يبسط ويضيق ثم يكمل بالقول على التعاقب أن يبسط الرزق اولاً لمن يشاء من عباده ثم يضيق عليه عقيب ذلك أو بالعكس يضيق أولاً ثمّ يبسط ويرجع الأمر الى شخص واحد في وقتين ويؤيد ذلك بضمير له فانه راجع إلى الموصول كلمة من؟ أو المراد التوجه إلىٰ جميع العباد والأشخاص في زمن واحد وانه تعالىٰ يبسط لمن يشاء من رزق تعرض لما يقابل البسط من الضيق ويرجع معنى يقدر الى التقدير المطلق الحاكم على كل النظام ومنه الانسان ومنه الرزق لهم ويراد حينئذٍ من الرزق مطلق ما يعدّ حيوته الروحية والجسمية، فان رزق الله تعالى لا ينحصر بما يأكل ويشرب ويلبس بل كل ما يتمتع منه الانسان فهو رزق من الله تعالى من حيوة ودين وخلق الى صديق ورفيق واستاد ومن فضاء واجواً يتنفس فيه من الهواء إلى الشرائط الحاكمة على الاجتماع والامكانات الموجودة المتناسبة للزمان.

فقد يقال بالأول وان للقدرة والتقدير والتضييق معان ثلاث حسب موارد الاستعمال، فاذا اريد بيان ان الله تعالى هو القاهر فوق عباده يقال يدبر الأمر من

السماء إلى الأرض وهو علىٰ كلّ شيء قدير وانه تعالىٰ قادر علىٰ كل شيء أو على كلّ شيء قدير واذا اريد التضييق يقال فظنّ أن لن نقدر عليه فان الظنّ على عدم القدرة الله تعالىٰ بالنسبة إلى ذالنون لا وجه له فانه كان نبيّاً فقد اريد التضييق وهذا الظن من ذي النون له وجه وكيف كان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لكل منهم في زمانٍ واحد أو لكل واحد منهم في زمانين كل ذلك يحتمل، والله أعلم.

وكيف كان لا اشكال في سعة معنى كلمة الرزق وان كل ما يؤثر في حياة الانسان فهو رزق يرزق من يشاء.

والمحصل ان التوجه بنظام الخلقة ومجموع النظام والعالم الذي نعيش فيه وانه من الله تعالىٰ واذا سأل عن الانسان من خلقهن ومن الذي سخر الشمس والقمر ومن الذي يأتي بالليل والنهار ومن الذي يحيي الأرض بعد موتها وينزل من السماء ماء فيقولون هو الله وان الله هو الخالق جواباً طبيعياً حسب الخلقة والفطرة بل باللسان و الكلام الا ان كثيراً منهم لا يعقلون ما في أنفسهم من الاقرار علىٰ ربوبيّة الله تعالىٰ ومع ذلك يعتمدون علىٰ غيره ويتكلون علىٰ غير الله ويتوسلون بالأسباب توصلاً يشعر بالاستقلال والآخرون يستمدون منها الا انها عندهم الأسباب والوسائل من عند الله وجنود له تعالىٰ.

والمحصل من المحصل ان التوجه إلىٰ مجموع الخلقة ونظام الحيوة ان كان بعين رحمة الله وعنايته وان كل ذلك جنود الله والأسباب فيما لا يمكن الا بـالسبب وأبى الله أن يجري الامور إلّا بأسبابها فذلك هو التوحيد الذي يعترف به الانسان فطرتاً ولساناً.

وأما اذا راى بعين الاستقلال والتأثير من قبلها بأنفسها فهى الشرك الخفي الذي أكثرهم لا يعقلونه ولا يتوجهون إليه فكان فيهم وفي عمق أنفسهم التناقض والتضاد من الاعتراف بأن الله تعالىٰ هو المدبر في العالم فقط مع كيفية العمل والا اتكاء بغير الله تعالىٰ واعظام غير الله.

ولكن عبادة المخلصون هم الذين لا يرون شيئاً من العالم الا يرونه فان كل ما في الحيوة وفي العالم مع تأثيره في النظام ليس له الاستقلال والنفسيّة بل هو مخلوق ورحمة

من الله وكلمة منه ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[١].

وهذا النظر هو النظر التوحيدي الخالص رزقنا الله تعالىٰ.

فاذا كان المحصل الظاهر والله العالم ان النظر إلى عالم الخلقة ونظام الوجود والحيوة سياتي سلسلة العلل والمعاليل قد يكون بعين التوحيد وانه لا مؤثر في الوجود الّا الله وكل ما يرى اثر من آثار رحمة الله وكلمة من كلامه دليل عليه.

وقد يكون على وجه الشرك وتأثير الاستقلالي والغفلة عن علّة العلل وأساس الوجود والوجوب في نفس الوجود دون سائر الموجودات الموجودة بالوجود وانها كلها ممكنات لا يقتضي الوجود من قبل نفسها وانما وجدت بعناية الله ورحمته.

فاذا كان هناك نظرتان وأكثر الانسان في غفلة من هذا ولا يعقلون فليعلم وليتوجه الانسان.

(٦٤) ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

فاذا أردنا أن ندرك معنى اللهو واللعب ننظر إلى لعب الأطفال سيّما في جمعهم ولعبهم الاجتماعي ولا سيّما في بعض اشكال اللعوب من التشبّه بالملك والوزير والرئيس والحاكم وقبول بعضهم ذلك والآخرين أن تكونوا رعية ومأموراً أو وزيراً ومعاوناً ومثل لعب البنات بتشبه بعضهن بالامّ والآخر بالبنت أو العمة والخالة فيعملون في مثل التوهمات من الغفلة عن كل شيء حتى من غذائهم أو عشائهم ويتشاغلون ساعات عديدة مع الابتهاج والفرح والنشاط حتى يعرضهم التعب والكسل فيتركون ويتفارقون ويرجعون كل إلى بيتهم أو الأب والأم ويظهرون الجوع والعطش وعليها أن يقض حاجاتهم من الأكل والشرب بل قد ينتهي إلى تعويض ملابسهم وكانوا هم الغافلون عن نهاية الأمر وغاية اللعب وعند الجوع والعطش ينتبهون ويتيقضون عن غفلتهم وقد يخجل عن وضعهم الحاصل في نهاية اللعب لدى الأم أو الأب وعن

---

١. الآية ١٠٩ سورة الكهف (١٨).

الحضور في الجمع بهذه الوضع فيبوّخونهم الأكابر وهم ساكتون ليس لهم الجواب وهم في عين القبول مما عملوا ومما حصل له في نهاية اللعب.

نعم هذه الحيوة الدنيا من مالها ومنالها من مقامها وثرواتها سعة وضيقاً ومن شؤونها من زينة الأموال والأولاد ونعمات التي لا تحصى ان السفيه منها مع الغفلة عن حثيثها وانها هي الوسيلة إلى حيوة الآخرة فليست الا تلك اللهو واللعب والتغافل عن الحقائق مع الابتهاج بالتوهمات وما يشغل الانسان.

وأما ان استعبر منها بعين الحق ونعمة من الله ووسيلة للآخرة وانها مزرعة لها وسبيلٌ إليها فهى بنفسها هي الحيوان وهي الآخرة والأمر ظاهر واضح لا يحتاج إلى مزيد توضيح لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد، الحمد لله رب العالمين.

﴿٦٥﴾ ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾

﴿٦٦﴾ ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

الاتيان حسب مفهومها الظاهري العام يشيران الى طبع الانسان الظلوم الغافل الشاغل بالحيوة الدنيا المتوغل في ما يغشى الأعين من الماديات فيغفل عن الله تعالى وعن خالق الوجود ومعطى الحيوة ومنظم النظام التكوين في هذه النشأة الاولى فيبتهج بها مادام لم يبتل بشيّء فاذا انتهى في تلك النظام إلى أمر لا يدبرها الا خالق النظام وابتلى بما لا يكشفها الا الله القادر المتعال على كل شيء اذا يتوجه إليه بفطره وطبيعته بمعنى انه لا ييأس عن وجود قدرة يتمكن من كشف كربته فيتوسل إليه ويدعو وكلما اشتدت الابتلاء اشتدّ دعوته والتماسه إلى أن يتعاهد على ترك معاصيه وانه لو نجى منها وانكشف عنه الكربة لرجع إلى الخير والايمان وترك الغفلة.

ومن ذلك الابتلاءات في مراحل الحيوة انه لو ركب في الفلك وجرى في البحر فمادام كان البحر على السكون والأمن فلا يتوجه بشيء من آيات ربه أيضاً ويتمتع بنعم الله تعالى من البحر والفلك والأمن والسير إلى مقصده والتمتعات في داخل الفلك وينتهي سفره على غفلته كما في حضرٍ كان لم يكن شيء مذكوراً وقس علىٰ ذلك اذا

ركب الطائرة في عصرنا في الأسفار الكثيرة القصيرة أو الطويلة مسيرة أو مدّة فاذا كان على الأمن والراحة ولم يعترض له بشيء فهو باق على شغله وغفلته ويـأكـل ويتمتع كما في حضره وفي بيته وكذلك في مقياس أصغر اذا ركبوا السيارة الشخصية أو العامة في الأسفار أو الاياب والذهاب في البلاد أو بينها في الطرق والشوارع وكذلك اذا ركبوا القطارات في داخل البلاد على الأرض وتحت الأرض المسمّىٰ بـ(مترو) وبين البلاد النائية البعيدة أو القريبة حتى القطارات المرتبطة بين البلاد والممالك والخطوط المتصلة النقاط المختلفة من الأرض بعضها إلىٰ بعض.

ففي كل تلك الاسفار ووسائل السفر في البر والبحر أو الهواء بل الفضاء اذا ركب الانسان وكان على الأمن والسلامة فهو باق على حاله السابقة من غفلته واشتغاله واما اذا حدث أمر في بعض تلك الوسائل من موج في البحر وخلل في الهواء ونقص في الوسيلة أو خطر في الأرض على سطحها أو داخل الدالانات والطرق المستحدثة تحت الأرض حوادث لا يمكن كشفها الا بمشقة أو حدث أمر لا يمكن علاجها بـيد الانسان مثل أمواج البحر وطوفانها أو تحرك في الهواء وتغييراتها التي ترتبط بـنظم العالم ونظام الخلقة ولا يمكن اصلاحها الا بارادة الله تعالىٰ فحينئذ يتوجه الانسان إلى الله ويدعوه ويتوسل إليه.

الا عباد الله المخلصين فانهم كلّما ركبوا الفلك أو الطائرة أو السيارة أو القطار وما أشبه ذلك فقبل كل شيء يتوجهون إلى الله وخالق الوجود ومعطي الحيوة ومسبب الأسباب فيقولون الحـمد لله الذي سخّر لنا هذا وما كـنا له بمـقرنين وانـا إلىٰ ربـنا لمنقلبون.

فلا يتوجهون إلى الوسيلة فقط والى ما يرون من ظواهر الأمر من النعم بل إلى البواطن الامور وتدبيرها من السماء إلى الأرض فيحمدون الله مـدبرها ويشكـرون ويتوجهون نهاية الأمر وانا إلى ربنا لمنقلبون، فان ربنا رب السموات والأرض، ربنا رب آبائنا الأولين ربنا رب كلّ شيء ورب العالمين.

لا بل هذه الحالة والتوجه لا يختص بما اذ ركبوا في الفلك بل في كل حال اذا ما

اشتغلوا بشغل لا يفتتحون الا ببسم الله الرحمن الرحيم واذا فرغوا يشكرون الله على نعم الحيوة والوجود وحتى اذا ما ناموا يتوجهون إلى ذلك النعمة والآية وقوله تعالىٰ ومن آياته منامكم بالليل والنهار ويذكرون قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾[1] فيتذكرون ان انفسهم في المنام بيد الله تعالى كما في اليقضة الا ان المنام حيث انه أخ الموت يمكن أن يريد خالق النفس أن يمسكها ويحكم عليها بالموت ولم يجيز رجوعها حتى يتيقض الانسان.

فالانسان الغافل يغفل في كل حال الا اذا ابتلى ببلاء لا يكشفها الا الله تعالى فينبه ويتيقض ويتوسل إلى الله الى حد يقول لئن نجّانا الله تعالى من هذه لنكونن من المؤمنين ولما نجّاه الله إلى البرّ وخلص عن الكرب عاد إلىٰ عيشه التغافلي ويشرك ولو ببعض الشرك الخفي ويتمتع باقسام نعم الله من غير توجه إليها ومن غير شكرها ومن المعلوم انه سيعلم عاقبة هذه الأمر عند ما كشف عنه وظهر على الحق وبطل ما كانوا يعملون.

وهم الذين يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام فانهم لا يسمعون أيّ نداء لا من الأنبياء والرسل ولا من نوابهم وائمة الهدى ولا من غيرهم فيقول الله تعالىٰ لرسوله: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[2].

علىٰ خلاف عباد الله المخلصين المتوجهين إلى الحق في كل حال كما تعلم فانهم بعد أن يستمعون نداء الأنبياء والأئمّة ونوابهم ويستمعون نداء الهداة يستمعون نداء نظام الخلقة وقوانين الحيوة حتى هم يستمعون تسبيح السموات والأرض ويفقهون وليسوا مخاطبين بقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[3] بل قد يكون بعض العباد على حدٍ يتّبعهم الآخرين تسبيحهم بعد انهم

١. الآية ٤٢ سورة الزمر (٣٩).
٢. الآية ٣ سورة الحجر (١٥).
٣. الآية ٤٤ سورة الاسراء (١٧).

يستمعون فاذا سبّحوا لله تعالى اطراف الليل واناء النهار أو اناء الليل وأطراف النهار.

اللهمّ ارزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية وصدق النية وعرفان الحرمة واستماع نداء الخلقة.

﴿٦٧﴾ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾

﴿٦٨﴾ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ ﴾

﴿٦٩﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

تمت السورة بهذه الآيات.

تلك الآيات الثلاث آخر آيات السورة تعلن الأول ان بيت الله الحرام قد جعل امنا وحرماً يحرم فيه امور الايذاء لكل ذي حيوة ونفس وظاهر هذا الجعل التشريعي وان من الاحكام وجوب حفظ حرمة الحرم والبيت وحرمة القتل وكان ذلك التشريع فيما كان المشركون يتخطفون الناس والمسلمين ويقتلونهم بما هم اسلموا وقد ورد في أسباب النزول للسيوطي اخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس انهم قالوا يا محمد ما يمنعنا أن ندخل في دينك الا مخافة أن يتخطفنا الناس لتقتلنا والاعراب أكثر منا فتى ما يبلغهم انا قد دخلنا في دينك اختطفنا أكلة رأس فأنزل الله: أولم يروا انا جعلنا حرماً امناً.

والأمن هذه وان كان تشريعاً ولكن الله تعالى أيد المسلمين على وجه كانه كان الأمن تكويناً وفي العمل قد هاجر جمع من المسلمين الذين امنوا برسول الله حينما كان في مكّة ولم يهاجروا مع رسول الله وقد كان يؤذيهم الكفار والمشركين.

فالأمن المجعول بحكم الآية تشريعاً لا اشكال فيه فان الحرم يحرم فيه الايذاء حتى بالحيوان والنباتات بل لا يجوز اخراج المجرم المستحق للجزاء الا بعد أن يخرج بنفسه. أما الأمن التكويني فلا يبعد أن يكون المراد حفظ الحرم والمسجد الحرام وبيت الله

الحرام عن الخراب والزوال وإن كان يعرض له ما يعرض حسب مقتضيات الطبيعة في الجملة مثل الخراب في طول الزمان فأمر ابراهيم واسمعيل أن يرفع قواعده ويدعوا الناس الى حجّه وما أشبه ذلك مع حفظه عن شرّ الابرهة وأصحاب الفيل فجعل الله كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل فجعلهم كعصف مأكول ومثل حفظه عن طوفان نوح كما قيل ولا ينافي ذلك مع ما قد يرتكبه الطاغي من قتل ونهب علىٰ يد أمثال يزيد بن معاوية وحجّاج وأشباههم وأنت ترىٰ طيلة قرون متمادية سيّما من زمن ابراهيم واسمعيل وسنة الحج التي قررت في الشرائع في الاسلام وكلما تمر عليه الزمان توجه إليه الناس أكثر فأكثر لقد جعل الله تعالىٰ حرماً آمناً بجعل تشريعي وتكويني حين ما كان الناس يتخطفون من حوله فلا يتجرء على المؤمنين في الحرم واحد من الكفار والمشركين أن يعارضهم بما هم مؤمنين.

ومع ذلك افبالباطل من الشرك والضلال يؤمنون وبنعمة الله تعالىٰ من الأمن والاسلام يكفرون وذلك حتى في زماننا هذا سيّما للذين يتشرّفون بالحج ويوفقهم الله لمناسكه لهم يرون آيات الله تعالى ومنافع لهم على ما أشرنا إلىٰ ذلك في الفقه القرآن في كتاب الحج فهم مع ذلك كيف يمكن أن يؤمنوا بالباطل من غير الاسلام وبنعمة الله الاسلام يكفرون.

وفي هذه الاجواء من هو أظلم ممن افترى على الله كذبا في معارف الله تعالىٰ من توحيده وصفاته وافعاله الى شريعته واحكامه وحتى الفتوى وبيان الحكم من الله والتصريح بأن هذا حكم الله تعالى في موارد الاختلاف ولا اجتهاد في الضروريات والمسلمات ونحن من الخاطئين الذين يعتقدون ان ما انتهى اليه الفقيه من الفتوى لا يجزم بأنه حكم الله بل يقول هذا ما ادّى إليه ظني وكل ما ادى إليه ظني فهو حجةٌ لي ولمن يقلدني وفي مقام الثبوت يمكن الخطأ فللمصيب اجران وللمخطأ اجرٌ واحد فالافتراء على الله لا ينحصر بما اذا علم بأنه خلاف الواقع وهو الكذب القطعي بل يشمل ما يحتمل الى أن لا يكون وفقاً للواقع ويقول هو نفس الواقع جزماً ومن ذلك

كان كثيراً من علماء العظام مع تبحرهم في العلم وتقدم في الاجـتهاد يجـتنبون عـن الافتاء والرسالة العملية وإن كان لهم رسائل علمية وكيف كان من افترى عـلى الله الكذب بأي مرتبة فهو أظلم الناس وكذلك من جائه الحق وكذّبه فلم يقبل الحق بعد ما ثبت له انه الحق فكذّبه عناداً ولجاجاً وهم غير قليل عند ما تعارض الحق مـع منافعهم العادية والمادية ومن المعلوم ان مثوى الكافر من المكذبين جهنم، أليس في جهنم مثوىً للكافرين؟ نعم فيه مثواهم.

وأما آخر آية السورة النادية بأعلى الأصوات ان من جاهد في الله فهو يهديه إلىٰ سُبله ولابد من التأمّل و الدّقة في طرفى المسألة ان الجهاد في الله المستفاد من كلمة فينا غير الجهاد في سبيل الله أو شريعة الله ودينه أو حقه وحقوقه، فان الجهد في الله ظاهر في طلب الله دون طلب دين الله وأحكامه وشرائعه وان كان يرجع الجهاد في سبيل الله ودينه الى الجهاد في الله ولكن الغاية القصوى ونهاية المأمول قد يكون الله تعالى بما هو الى الحق المتعال وله الخلق والأمر وإليه يرجع الأمر وهو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقد يكون الجهاد في سبيل الله بأي نحو من الأموال والأنفس فراراً عن النار أو طلباً للجنة وما فيها من الحور والقصور والمستفاد من الآية عندنا ان الجهاد في الله معناه طلبه ورضاه فقط كائناً ما كان فان رضوان الله أكبر من الجنة والنار والحـور والقصور وقريب من ذلك ما عرفت ان لله تعالى جنات عدن وجنات النعيم وجنة الخلد وغيرها من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار وكل ذلك مع ما فيها من النعيم والثمار والفواكه والحور والغلمان وما في أيديهم من أكواب وأباريق وكأس من معين، كل ذلك غير جنة الله التي خصها للنفس المطمئنة التي قيل لها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي إلىٰ ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وهناك أيضاً المجاهد في الله غير المجاهدة في سبيله وطريقه وأحكامه وحقوقه كما ذكروه بعض المفسرين رحمهم الله.

وأما في طرفه الآخر أي الهداية إلىٰ سبل الله المترتبة على المجـاهدة في الله أيـضاً

راجع إلىٰ مناهج نفسه وطرق ينتهي إليه تعالى دون ما ينتهي إلى جنته أو الخلاص من ناره وعذابه، فان من جاهد في الله فالله تعالىٰ يهديه إلىٰ سبل لا ينتهي الا إلى الله ولذلك قال لنهدينهم سبلنا، فان الهداية أيضاً من الله تعالىٰ بنفسه والسبل الطرق إلى الله لا الى ما ينتهي إلىٰ نعمة بقائه.

وأنت بالتأمل في السورة المباركة من بدئها وشروعها بقوله تعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾.

وليس الأمر كذلك بل الناس يفتنون بأقسامهم وطوائفهم باقسام الامتحان والاختبار ولقد فتنا الذين من قبلهم إلىٰ ما عرفت من بعض قصص الأنبياء وأقوامهم وقد عرفت ما أشرنا إليه في أوائل السورة في قوله تعالىٰ ان من كان يرجوا لقاء الله فان أجل الله لآت والراد من لقاء الله وفي نهاية السورة يتذكر للانسان بالله تعالى والجهاد فيه وهدايته تعالىٰ طرائقه وسبله ولنختم الكلام بما في ذلك الكلام ان العبودية جوهرة كنهها الربوبية وان القطرة مادام يرى نفسها بحدودها فهي قطرة اما اذا اتصل بالبحر ونسى حدوده فهو البحر فالبحر هو القطرة والقطرة هي البحر وقد سئل همام عن علي عليه السلام وكان رجلاً عابداً فقال له يا أميرالمؤمنين صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم فتثاقل من جوابه ثم قال يا همام اتقّ الله وأحسن فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه فحمد الله وأثنى عليه ثمّ صلّى على النبي صلى الله عليه وآله ثمّ قال:

«أما بعد فان الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم امنا من معصيتهم لأنه لا تضرّه معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه فقسّم بينهم معايشهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم، فالمتقون فيها هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع غضّوا أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم... إلى قوله: قلوبهم محزونة شرورهم مأمونة وأجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة

وأنفسهم عفيفة صبروا أيّاماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة تجارة مربحة يسّرها لهم ربّهم... فصعق همام صعقةً كانت نفسه فيها فقال أميرالمؤمنين عليه السلام أما والله لقد كنت أخافها عليه ثمّ قال أهكذا تصنع المواعظ البالغة باهلها».

فقال له قائل: فما بالك يا أميرالمؤمنين؟

فقال عليه السلام: **ويحك ان لكل أجل وقتا لا يعدوه وسبباً لا يتجاوزه فمهلاً لا تعد لمثلها فانما نفث الشيطان على لسانك»**[١].

نعم هكذا يصنع المواعظ البالغة بأهلها فمن جاهد في الله ولم يطلب الا الله فهو يهديه سبله حتى يلاقي الله.

اللهمّ اجعلنا من عبادك الذين لا يريدون إلّا رضاك ورضوانك بل لا يريدون الا نفسك فتوفّنا مسلمين وألحقنا بالصالحين وافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله وأنت أهل الجود والكرامة وأهل العفو والرحمة وأهل التقوى والمغفرة يا ارحم الراحمين ولك الحمد على أن وفقتنا لاتمام هذا البحث مع اصدقائنا في كل شهر جلسة فطال قريباً من سنتين فارجع تاريخ البدأ ولاحظ الختام.

وآخر دعوانا ان الحمدلله رب العالمين

---

١. نهج البلاغة، خطبة ١٩٣.

الحكومة في القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق السماوات والأرض، باعث الأنبياء والرسل، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله وعلى الأئمّة المعصومين الاثنى عشر من بعده سيّما بقيّة الله في الأرضين، وعلى أمّ الأئمّة بنت رسول الله خيرة نساء العالمين الصدّيقة الطاهرة صلوات الله عليهم أجمعين.

وبعد، الحكومة والسلطة بمعنى القدرة وصاحب الأمر والتمكّن من العمل بعد التصميم والعزم والتدبّر والتفكّر على سبيل حفظ منافع ساحة المحكومين وشعاع ميدان القدرة.

وذلك قسمان: تكوينيٌّ وتشريعيٌّ، إيجاد وتقنين، والأوّل لا يكون إلّا لمن بيده الوجود وفي قدرته الإيجاد والتكوين سواء كان بلا واسطة بحيث إذا أراد أن يكوّن شيئاً يقول له كُن فيكون، بل لا يتوقّف على أن يقول فيكفي الإرادة ويتحقّق المراد بنفس الإرادة .

وقد ورد في كلماتهم تقريباً إلى الذهن وتشبيهاً بعنوان المثال بما يريد الإنسان أن يتصوّره بقوّة الخيال والتصوير. فإذا تصوّر شيئاً يتحقّق المتصوّر في نفسه وينقش على صفحة ذهنه وساحة قوّة خياله وهي موجودة ما دام التوجّه إليه باقية فإذا غفل عنه تنعدم تلك الصورة.

وكذلك في عالم الواقع وساحة الوجود كلّ موجود قائم بـإرادة المـوجِد مـتحقّق بتحقيق الحقّ، مُفاض بفيض الله الفيّاض المتعال، موجودٌ ما دامت الإفاضة موجودة، واقعٌ ما دام الربط واقع، فإنّ وجود الموجودات ليس إلّا فيض الرحمة الواسعة وربط بنفس الوجود الواجب وظلّ لصاحب الظلّ، وينعدم بقبض الفيض وقطع الرحمـة[١] يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهو على كلّ شيء قدير.

والقدرة الحقيقيّة والسلطة الواقعيّة هي هذه السلطة التي بيد القادر المتعال أصل الوجود ونفس الحياة وعين التحقّق، وصاحب هذه القدرة هو الحاكم الحقيقي يليق أن يُقال له حاكم وهو أحكم الحاكمين وحكومته بالإيجاد والإفاضة قبضاً وبسطاً، وهذه هي الحكومة التكوينيّة والولاية الإيجاديّة والسلطة النفس الأمري العيني كما فصّل في محلّه.

أو كان تلك السلطة والقدرة بالأسباب ومع الواسطة بأن كان تحقّق المراد متوقّفاً على شرائط من الأسباب المادّية، وشرائط الزمان والمكان، فـإنّ الله تـعالى أبى أن يجري الأمور إلّا بأسبابها، فإنّ كلّ ما في السماوات والأرض من الأجرام والمواد وما بينهما وما عليها من الحيوان والنبات والإنسان موجود بإيجاده تعالى عن طريق العلل والأسباب، وقد فصّل في محلّه أنّ تمـام العـالم والوجـود والمكـنونات والمـوجودات بالنسبة إلى المبدء الأعلى ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.

وأمّا بالنسبة إلى المخلوق والموجود فهو زماني ومكاني ومحدودٌ بحدود المـاهيّات والماهيّات ليسٌ محض والوجود ايسٌ.

وكيف كان فالكلام في هذه الولاية والحكومة وتلك السلطة والسلطنة المعبّر عنها بالكون والتكوين بعد أنّها بيد الله العزيز المتعال فقط ولا حـول ولا قـوّة إلّا بـالله، الكلام فيها راجع إلى علم الكلام ولا يمكن العلم بكنهها ومـنتهاها إلّا أنّ الإنسـان يراها بآياتها، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾، ونقرأ في القـرآن

---

١. به اندک التفاتی زنده دارد آفرینش را - اگر نازی کند، در هم فرو ریزند قالبها.

كثيراً قوله تعالى: ومن آياته ويذكر اختلاف الليل والنهار إلى نومكم في الليل والنهار[١].

والثاني وهو التشريع والتقنين وجعل القرارات لعموم الناس أو لجمع منهم بأن يكون عليهم العمل على وفقه فيثابوا بالإطاعة ويعاقبون على العصيان، والكلام في ملاك ذلك الحقّ وجعل القرار والقانون ولزوم العمل على وفقه وكون الثواب والعقاب عدلاً وحقّاً وإن كان على تفصيله في محلّه.

إلّا أنّ المشهور في دهرنا هذا وفي أكثر المجالس والمجامع التقنينيّة في مختلف أرجاء العالم الأصوات والآراء من الشعوب والناس على اختلاف أنحاء الانتخاب بعد ما يرون أصل وجود الحاكم لازماً وضروريّاً بالبداهة فينتخبون بعنوان رئيس الجمهوريّة بعد ما كان مقتصراً على العشيرة والقبيلة والبلد والمحلّة. وحيث تختلف الآراء والأصوات ولم يتحقّق الاتّفاق على المصداق تحلّ المسألة بالأكثريّة فكلّ من اكتسب الأكثريّة المطلقة أو النسبيّة فهو رئيس حسب القرار في مدّة معيّنة مضبوطة بسنواتٍ عديدة أو محدودة مع جواز التكرار أو عدم الجواز.

وهذا هو المعمول المشهور، وفي كلّ ذلك لابدّ من التحميل والإجبار على الذين لم يرون ذلك من الأقلّية ويرون ذلك عدلاً وحقّاً على الجميع حتّى في الأقلّ الذي يعتقد الخلاف، ومع أنّ الأكثريّة بما هو ليس له الطريق إلى الحقّ ولا كاشفيّة منها على الواقع وإن كان لذلك في المتخصّصين وأهل النظر. فإنّ تعدّد الأطبّاء في تشخيص المرض وكثرتهم والمهندسين وأصحاب الفنون قد يرشد إلى أنّ النظر أقرب إلى الواقع وما هو الأصلح فيعمل به لدى الضرورة، ومع ذلك ليس بحجّة قاطعة بل لضرورة العمل كما لا يخفى.

---

١. والآيات الدالّة على ذلك: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ الآية ١١٧ سورة البقرة(٢)؛ الآية ٧ سورة ٤٧ آل عمران(٣)؛ الآية ٣٥ سورة مريم(١٩)؛ الآية ٦٨ سورة غافر(٤٠). وقوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ الآية ١٢ سورة فصّلت (٤١).

ولكن الأمر في الشرائع الإلهيّة والآيات السماويّة سيّما في الإسلام على خلاف ذلك والمبنى عندهم أقوى وأصحّ وأبعد من أيّ خطأ وهو أوّلاً أنّ الأصل أن لا حاكميّة لأحد على أحد ولا وجه لأن يحكم أحد على الآخر ويأمره وينهاه على وجه كان عليه الإطاعة ويعاقب على المخالفة. فإنّ الإنسان بما هو خلق حرّاً له أن يعيش كيف يشاء ويتمتّع من حياته كيف يريد ويعمل على صلاح نفسه.

إلّا أنّ لله تعالى خالق الإنسان والعالم بصلاحه وفساده والمهيمن على جميع زوايا الأمور وخفايا الأشياء والوقائع حقّ التشريع، بمعنى أنّه يجب عليه ذلك بما هو حكيمٌ عادل عالم. وعليه أن يرشد الإنسان ويهديه إلى سواء السبيل ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[1]. فإنّه خالق للإنسان وجعله مختاراً مريداً في قسم من الأعمال والأقوال وله الفعل والترك ويترتّب على كلّ أثره القهري وليس كلّه بخير وصلاح، فإن لم يهديه ولم يرشده فقد اقرائه بجهاله وهو خلاف الحكمة والعدالة. فالله تعالى هو الحقّ العالم العادل له السلطة التقنينيّة وقدرةالتشريع بما هو عالم حكيم وبما أنّ تركه إغراء بالجهل ومُحال على ذاته الكامل، وإن كان قد خلق الإنسان عاقلاً فهيماً مدركاً لكثير من الأمور إلّا أنّ العقل الجزئي الفردي لا يتمكّن من ان يرى إلى نهاية الحياة وآخر الخلقة والإنسان ليس له من الولادة إلى الموت بل هو من الولادة إلى الأبديّة. وهذا الملاك لحقّ التقنين وولاية التشريع ليس إلّا لله الخالق المتعال ومن ذلك قد أرسل الرسل وأنزل الكتب ولذلك يقال الأنبياء ﷺ عقول الخارج والعقول أنبياء الداخل.

ومن ذلك يتّضح حكمة النبوّة العامّة ولزوم وجود النبيّ والرسول. وإذا أرسل الرسول ونزّل الكتاب وبلّغ الشرائع والأحكام وكذلك المقرّرات والقوانين العامّة. وهناك من يتخلّف ويعصي الأوامر والأحكام. فإن كان راجعاً إلى نفسه الشخصيّة ومصلحته الفرديّة فيعاقب في الآخرة. وأمّا إذا كان في الأحكام الاجتماعيّة والقرارات

---

١. الآية ٤٢ سورة الانفال(٨).

العامّة المضرّة بالجمع والمجتمع، فلابدّ من وجود سلطة الإجراء وقدرة النظارة والمنع من الخلاف ومجازاة المجرمين الظالمين في حقّ الآخرين، وهناك يتّضح ضرورة الإمامة والامارة ووجود الحاكم الآمر والناهي مع السيف والسوط وأجهزة الزمان لمنع الناس عن الخلاف ونقض حقوق الآخرين ومجازات العصاة والمتخلّفين حسب تناسب الخلاف. وهذه الامارة والقدرة الحاكمة بعد النبوّة تكون لنفس نبيّ الإسلام أوّلاً كما كان يتصدّى رسول اللهﷺ لتلك الأمور في الحرب والسلم.

والله تعالى الحقّ الأوّل للتشريع والتقنين له أن يجعل شخصاً حاكماً وفق ضوابط خاصّة كما جعل نبي الإسلام إماماً وآمراً وحاكماً يجب إطاعته في كلّ أوامره ونواهيه بعد لزوم الإطاعة في أوامر الله تعالى ونواهيه التي ليس عليه إلّا البلاغ، وقد فصّل ذلك في محلّه.

وللرسول أن يجعل بعده إماماً وحاكماً بأمر الله تعالى حيث جعل رسول اللهﷺ عليّاًؑ خليفةً ووزيراً من بعده بنصوص خاصّة من أوّل الأمر في حديث الإطعام والطير والمنزلة إلى الغدير في سفره الأخيرﷺ من الحجّ كما فصّل في محلّه.

وكذلك الأئمّة الاثنى عشر واحداً بعد واحد إلى حجّة الله في أرضه وخليفته في بلاده وليّ العصر وإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وهمؑ قد جعلوا في عصر الغيبة الكبرى الفقهاء العظام الجامعين للشرائط ولاةً وخلائف وأنّ لهم ما للإمام وعلى الناس إطاعتهم. وتفصيل الكلام في مسألة ولاية الفقيه، وقد فصّلنا المسألة في فقه القرآن، فراجع.

أمّا الآيات الراجعة إلى الولاية التقنينيّة والحكوميّة التشريعيّة على الإجمال، فنشير إليها هنا لنبحث عنها في الحلقة التي كنّا نعقدها في كلّ شهر مرّة باستمرار من أوّل انتصار الثورة الإسلاميّة واستقرار نظام الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران وأكثر الأعضاء من الشاغلين في أنحاء الحاكميّة الإسلاميّة طيلة سنين.

وقد فرغنا عن البحث عن دستور الجمهورية الإسلاميّة وقد طبع حاصل

المذاكرات بعنوان شرح القانون الأساسي، وعن المبحث عن سورة الواقعة، وسورة العنكبوت، و دعاء العرفة للإمام الحسين، ومسألة خلقة آدم وقصّة دخوله الجنّة مع زوجته وخروجها عنها، فتذاكروا لتعيين موضوع البحث واتّفقوا على المرور الإجمالي على الآيات التي ترتبط مع الحكم والحكومة وإن كنّا قد فصّلنا الكلام فيها حال البحث في الحوزة العلميّة بقم، وقد طبع بحمد الله في فقه القرآن، فراجع.

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[١].

تأمر الآية أوّلاً بردّ الأمانة إلى أهلها، والأمانة معروف مبيّن في الفقه لغةً واصطلاحاً ما يجعل لدى الغير ليحفظه مدّة ثمّ يردّه إلى مَنْ جعله لديه أمانة، والأكثر يطلق على الأعيان القيّمة، والظاهر أنّه لا تختصّ بالأعيان بل يشمل غيرها حتّى الأسرار والأخبار، وعلى الأمين أن يحفظه ولا يتصرّف فيها إلّا على وجه المجاز من صاحب الأمانة، والأمين الأوّل جبرئيل الأمين ملك الوحي الذي كان ينزل على رسول الله ويبلّغ كلام الله إلى رسوله كاملاً حرفاً بحرف من غير تصرّف وخيانة، وما خان الأمين قطّ ولا في أيّ شيء .

والأمين الثاني محمّد الأمين رسول الله خاتم النبيّين صلوات الله وسلامه عليه، قد بلّغ ما أرسل به إلى عباد الله حتّى آخر ما أُمر بتبليغه وقيل له: ﴿إن لم تفعل فما بلّغت رسالته﴾[٢]، وكان ذلك في حجّة الوداع في مسألة بيان خلافة الإمام عليّ وقد أبلغه في الغدير على التفصيل المضبوط في جميع كتب فرق المسلمين.

والأئمّة أُمناء الرسل وبعدهم الفقهاء أُمناء البلاد، والآية تأمر ثانياً بأنّه: ﴿إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾[٣]، وتقل الجملة على كون الحكم بالعدل، وتدلّ

١. الآية ٥٨ سورة النساء (٤).

٢. الآية ٦٧ سورة المائدة (٥).

٣. الآية ٥٨ سورة النساء (٤).

بالملازمة على جواز نفس الحكم وكأنّ أصل جواز الحكم أمراً مفروغ عنه لا إشكال فيه إلّا أنّه لابدّ أن يكون الحكم بالعدل.

إلّا أنّ الكلام في ذلك الحكم الذي لا إشكال في أصله وأنّه لابدّ من حاكم وحكم هل هو القضاء وفصل الخصومة وأنّ المراد من الحكم الأحكام القضائيّة المتوقّفة على شرائط خاصّة من كشف الحقيقة والتحقيق الكامل من الطرفين ورعاية شرائط القاضي، أو يعمّ الأحكام الحكوميّة الصادرة من الولاة أيضاً كما لا يبعُد.

والحقّ أنّ الحكم بإطلاقه يشمل الأحكام القضائيّة الصادرة من القضاة والأحكام الحكوميّة الصادرة من الولاة، والتكليف برعاية العدالة في الأحكام يشملها فعلى الولاة أيضاً رعاية العدالة، كما أنّ على القضاة ذلك و كلمة بين الناس لعلّها تؤيّد ذلك الشمول والإطلاق، فإنّ أحكام الولاة يكون بين الناس بمعنى المطلق أو التامّ وإن كان يصحّ إطلاق بين الناس على أحكام القضاة أيضاً بملاحظة التعدّد وكثرة الموارد بين المتداعين أو المتخاصمين.

أمّا الواو بين الجملتين ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ﴾ فإن كان مستأنفة وبيان أمرٍ مستقلّ آخر غير مرتبط بالأوّل فهو، وأمّا إذا كان عاطفة وذكر لربط الأمر الثاني بالأوّل فيشير إلى أنّ الحكومة أيضاً بمعناها المطلق من الأمانات ولابدّ وأن يؤتى أهلها فلا يؤتى حكم القضاء بكلّ أحد بل لابدّ وأن يكون أهلاً للقضاء، كما أنّ الولاية وتصدّي أُمور البلاد والمدن من الأمانات لابدّ وأن يؤدّ إلى أهلها كما لا يخفى، والأقرب عندنا الثاني أنّ الواو للعطف بطبعه الأوّلي.

وأمّا العدل فعناه ظاهر وهو وضع الشيء في موضعه ولا يساوي المساواة كما توهّم بعضهم، فإنّ تساوي الناس في كثير من الحقوق غير العدالة بين الناس ومراعاة حقّ كلّ حسب مباني حقوقه وحدوده، فإنّ إجراء الحدود على المتجاوزين والقصاص في النفس والأطراف في موارده عين العدل في الحكم في القضاء، كما أنّ تقدّم شؤون عامّة الناس عند التعارض في الأمر الولائي عين العدل من الولاة وهو

مصرّح في الأُصول وروايات الباب.

وفي القرآن الكريم كثيراً ما استعمل الحكم والحكومة بمعنى الثاني أي الولاية وأحكام الولائي دون القضاء وأحكام القضاة، مثل قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1]. ومثل قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3].

وكذلك الآيات التي تخاطب الرسول أو الأنبياء من قبله. الرسول مثل هذه الآيات: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[4].

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾[5].

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾[6].

والأنبياء مثل هذه الآيات:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾[7].

﴿و لُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾[8].

﴿سُلَيْمَانَ وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾[9].

﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً﴾[10].

﴿آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾[11].

---

١. الآية ٥٧ سورة الأنعام (٦)، الآيتين ٤٠ و ٦٧ سورة يوسف (١٢).
٢. الآية ٦٢ سورة الأنعام (٦).
٣. الآيتين ٧٠ و ٨٨ سورة القصص (٢٨).
٤. الآية ٤٨ سورة الطور (٥٢).
٥. الآية ٤٨ سورة القلم (٦٨).
٦. الآية ٢٤ سورة الإنسان (٧٦).
٧. الآية ٢٢ سورة يوسف (١٢).
٨. الآية ٧٤ سورة الأنبياء (٢١).
٩. الآية ٧٩ سورة الانبياء (٢١).
١٠. الآية ٢١ سورة الشعراء (٢٦).
١١. الآية ١٤ سورة القصص (٢٨).

وغير ذلك ممّا لا يخفى على من يتلو القرآن الكريم ويرى موارد الاستعمال، فإنّ الحكم في تلك الموارد هو الولاية والسلطنة الشاملة.

امّا المعنى الاول اى القضاء فمثل قوله تعالى: ﴿... وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[1].

فإنّ ظاهر الحكم بنفسه يعمّ القضاء وحكم الولائي إلّا أنّ صدر الآية لا يلائم إلّا القضاء فإنّها راجعة إلى أهل الكتاب الذين يسارعون في الكفر سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين أكّالون للسحت، فإن جاؤوك للحكم بينهم فأنت بالخيار فاحكم بينهم أو أعرض عنهم من دون ملاحظة أمر في الإعراض فإنّهم لا يضرّونك شيئاً، وإن أردت الحكم بينهم فاحكم بالقسط، مع أنّ هذا الظهور ليس على حدّ يوجب التنصيص في القضاء فإنّ اختلافهم كان في كثير من مسائل الكتاب التوراة ولابدّ من ملاحظة الآيات اللّاحقة.

والحقّ الأقرب أنّه يعمّ القضاء والولاء وكلمة القسط تؤيّد ذلك كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[2] فإنّ إقامة القسط بين الناس بمعناه المطلق يرتبط بالقضاء والولاء معاً ورعاية العدل والقسط في القضاء وكذا في الأحكام الولائي.

٣ ـ الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾[3].

والآية تصرّح بأنّ حكمة نزول الكتاب إلى رسوله أن يحكم بين الناس أوّلاً وأن يكون حكمه بما أراه الله، فتدلّ على أنّ رسول الله ﷺ هو الحاكم بين الناس أوّلاً ثمّ إنّ

---

١. الآية ٤٢ سورة المائدة (٥).

٢. الآية ٢٥ سورة الحديد (٥٧).

٣. الآية ١٠٥ سورة النساء (٤).

أحكامه لابدّ أن تكون على وفق ما يريه الله تعالى، والحكم هذا أيضاً يعمّ الأحكام القضائيّة والأحكام الولائيّة وإن كان ثقل الآية على كيفيّة الأحكام وأنّ النبيّ الحاكم ليس له أن يحكم بما يشاء على وفق ميله بنفسه بل عليه أن يحكم وفق ما أعلمه الله تعالى في الحكم فكأنّ المستفاد أنّ الحاكم هو أحكام الله وحدوده، والنبيّ ﷺ هو المجري وأنّ بيده قدرة التنفيذ والإجراء، أمّا سلطنة التقنين والتشريع فبيد الله تعالى وهذا هو المحور الأصلي والنقطة الأساسي من الفرق بين حكومة الإسلام وسائر الحكومات من أنّ الحاكم هو الله تعالى وغيره أياديه وأُمنائه في كيفيّة الإجراء وحتّى في المقرّرات الجزئيّة الراجعة إلى تبيين الأحكام الكلّية وتطبيق العناوين على المصاديق لابدّ من رعاية أحكام الله في ذلك الفصل كما هو المقرّر في الدستور من اختيارات شورى المحافظ عن الشرع والدستور.

فالآية أيضاً بعدما تدلّ على أصل الحكومة للرسول وإطلاق الحكومة على الأحكام القضائيّة والولائيّة وأنّ الحاكميّة على الأصل لأحكام الله وحدوده أنّه لابدّ من العدل في الأحكام، فإنّ ما أعلمه الله هو نفس العدل، سواء كان راجعاً إلى القضاء أو الولاء، وكلمة بين الناس أيضاً يشير إلى القسمين كما ذكرنا من قبل.

وممّا تدلّ على النكتة التي أشرنا إليها من أنّ الحاكم هو الله تعالى وحدوده وشرايعه وأنّ النبيّ والأئمّة هم المنفذّون الموظّفون للإجراء، قوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَاكَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[١]، فإنّ الله تعالى بما هو الخالق فاطر السماوات والأرض والخالق الفاطر يعلم ويعرف مخلوقه بما لا يعرف غيره فهو عالم الغيب والشهادة، فهو بما هو كذلك هو الحاكم بين عباده فيما يختلفون فيه المشير إلى أنّ من شرائط الحكم أن يكون الحاكم عالماً بجميع خصوصيّات ما يريد أن يحكم فيه من موارد الاختلاف فلا يصحّ الحكم قبل معرفة الموضوع كما هو حقّه من ظاهره وباطنه وشهوده وغيبه فتدلّ على لزوم

---

١. الآية ٤٦ سورة الزمر (٣٩).

كمال التحقيق والتفتيش على القاضي لاستكشاف الحقّ، بل على الوالي أيضاً.

وممّا يدلّ على أنّ من جملة حِكَم إنزال الكتب وإرسال الرُّسل من الله تعالى الحكومة بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون، قوله تعالى:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[1] الآية، المصرّح بأنّ حكمة إنزال الكتب على الأنبياء عليهم السلام بعد الإنذار والتبشير الحكم في موارد الاختلاف بينهم.

إلّا أن يقال: إنّ مجموع الآية صدراً وذيلاً من الإشارة إلى أنّ الناس كانوا أُمّةً واحدة أي لم يكن بينهم الاختلاف فبعث الله النبيّين، ومن الإشارة ذيلاً إلى قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ الآية، أنّ موارد الاختلاف في الآية وتعيين مرجع حلّ الخلاف الأنبياء العظام والشرائع والكتب ليس هو الاختلافات المتعارفة في الأمور القضائيّة أو الولائيّة، بل راجع إلى الاختلافات العقائديّة في المعارف والأُمور الثقافيّة، والأنبياء عليهم السلام هم الذين يحكمون فيها بالحقّ فيما هم فيه مختلفون، ولذلك قال: ﴿فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ فلا يرتبط البحث بما نحن فيه من الكلام في الأحكام الولائيّة والقضائيّة.

فيُقال نعم لعلّ ظاهر الآية في الجميع ذلك سيّما حسب تناسب الحكم والموضوع وأنّ حكمة بعثة الأنبياء والرسل وإنزال الكتب السماويّة بيان الحقّ أوّلاً في المعارف وبيان الحقّ في المبدء والمعاد وما يرتبط بالأديان، ولكن الاختلاف في تلك الأُمور كثيراً ما يعود إلى الاختلاف في حلّها راجع إلى الولاة والقضاة، مع أنّ سيرة الأنبياء وكيفيّة معاشراتهم مع الناس تدلّ على عدم خروج تلك الموارد عن شعاع وظائفهم.

وكيف كان، لسنا مصرّين على ذلك، بل قلنا بدلالة الآية تأييداً، فتوجّه.

٤ ـ الرابع: قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ

---

١. الآية ٢١٣ سورة البقرة(٢).

وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ﴾[١].

من المعلوم أنّ ثقل الآية الشريفة على أنّ الحكم لابدّ وأن يكون على وفق ما أنزل الله تعالى من الحقائق والأحكام بعد أن قلنا بأنّ الحكم أعمّ من الأحكام الولائيّة والقضائيّة، بل الحكم في المختلفات العقائديّة والثقافيّة، فإنّ ما أنزل الله تعالى لا يختصّ بموارد الاختلاف في الأمور الجزائيّة الشخصيّة التي يكون الحكم فيها قضاء، فإنّ الله تعالى قد أنزل آياته في بيان نظام الخلقة ونظام الشريعة ونظام العدالة الاجتماعيّة، وإن كان الظاهر المنصرف إليه الأحكام القضائيّة.

وعلى الأوّل فالتحذير عن تفتين الناس واتّباع الهوى يرجع إلى التأويلات الراجعة في مباحث المعارف الكلاميّة والفلسفيّة إلى الأبحاث الراجعة إلى المذاهب، وأمّا على الثاني والقول بالانصراف إلى الموارد القضائيّة فالتحذير يرجع إلى مثل الرشاء والإرتشاء أو التسويلات النفسيّة الموجبة لاتّباع الأهواء وحماية الباطل والحكم بغير ما أنزل الله كما لا يخفى، فإنّ مرجع ضمير أهوائهم راجع إلى المراجعين أو الباحثين. وعندنا أنّ الحكم يعمّ أنواعه ويشمل إطلاقه الأقسام ويرشد الحكّام والولاة كما يرشد القضاة، وعلى الحكّام والولاة، بل العلماء والحكماء رعاية الحقّ في إرائة النظر وفي الأحكام الإجرائيّة والقضاة في الأحكام القضائيّة، فتوجّه.

ثمّ إنّ الثلاثة الواردة في سورة المائدة من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ، هم الظَّالِمُونَ، هم الْفَاسِقُونَ﴾[٢] تؤكد ما ذكر من لزوم الحكم بما انزل الله و عموم الحكم فى المسائل الثقافى او الولائى و القضائى.

٥ ـ الخامس: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[٣].

---

١. الآية ٤٩ سورة المائدة(٥).

٢. الآيات ٤٤، ٤٥، ٤٧ سورة المائدة(٥).

٣. الآية ٦٥ سورة النساء (٤).

ظاهر الآية الشريفة كما ترى تنادي بأنّ تحقّق الإيمان الكامل يرتبط بكيفيّة مراجعتهم في المشاجرات وموارد الاختلاف وقبول الحكم من رسول الله ﷺ، وبعدما حكم لهم أو عليهم لا يجدون في أنفسهم حرجاً ممّا قضى، بل يجدوا طيب الخاطر وسلامة القبول وأنّ ما قضى ليس إلّا الحقّ والعدل وما أنزل الله، فإذا أحسّوا هذه الحالة بعد مراجعتهم وطرح دعواهم وقضاء الرسول الأمن والرضى فذلك دليل كمال الإيمان في أنفسهم.

هذا بالنسبة إلى ظاهر البدوي للآية، فكأنّها فارغ عن جواز قضاء الرسول ﷺ في مشاجراتهم وأنّ له ذلك. وظاهر ذلك اللسان ثبوت مقام القضاء لرسول الله ﷺ وإن لم تكن الآية في مقام إثبات ذلك، بل في مقام بيان أمر آخر لا يتمّ إلّا مع الفراغ عن أنّ له ذلك كما هو ظاهر فتدلّ بوجه على ذلك، هذا أوّلاً.

ثمّ تدلّ على أنّ عليهم الرجوع إليه دون غيره، فتدلّ على لزوم المراجعة إلى قضاة العدل وعدم جواز الرجوع إلى قضاة الجور والطغاة والظَلَمة كما هو صريح: ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾، هذا ثانياً.

ثمّ تدلّ على انّ مرجعيّة الرسول ﷺ يكون في مطلق ما شجر بينهم وذلك يعمّ موارد الاختلاف في الموضوعات والأموال ومصاديق القضاء المصطلح في الأراضي والمياه والأشياء والأمتعة أو في الأحكام بل العقائد والعلوم وإن كان صدق ما شجر بينهم ضعيفاً في بعض الأمور، ولكن إطلاق ما شجر بينهم على كلّ ما اختلفوا فيه باقٍ على حاله فهو المرجع الكامل في كلّ ما شجر بينهم من الموضوعات والأحكام والعلوم والمناصب وعزائم أُمور النظام الحاكم في مجتمع المسلمين كما هو ظاهر فلا يختصّ بالقضاء أيضاً، بل يعمّ المسائل الحكوميّة أيضاً.

والمهمّ أن لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضى رسول الله ﷺ ويسلّموا تسليماً فيما حكم كان قضاءً أو حكومةً وحتّى العزل والتنصيب في المناصب والولايات، فإذا لم يجدوا حرجاً في أنفسهم عندما قال في معشر من الناس في واقعة الغدير: مَنْ كنتُ

مولاه فهذا عليٌّ مولاه، فهم مؤمنون حقّاً وإلّا فإنّهم لا يؤمنون بالله ربّ العالمين إيماناً حقّاً على صراحة هذه الآية ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[١] الآية.

فما ترى من إطلاق يحكّموك وشموله لكلّ الأحكام الحكوميّة والولائيّة والقضائيّة، وإطلاق الموصول في ما شجر بينهم من الموضوعات بأنواعها المتشتّتة والأحكام المختلفة القضائيّة والحكوميّة والثقافيّة والعسكريّة وغيرها، وكذلك إطلاق الموصول فيما قضيت وإطلاق القضاء الشامل الأحكام الحكوميّة، بل الإرشادات وبذلك يتعيّن درجة الإيمان كما يتعيّن أصل الإيمان، فتوجّه.

٦ ـ السادس: قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

صراحة الآية تدلّ على أنّ أهل التوراة الذين يجعلونك حَكَماً في أُمورٍ حكمها موجود في التوراة وهي كتابهم وعليهم العمل بها فيتولّون عمّا تحكم لهم ولو حكم التوراة كما هو ظاهر الآية السابقة واللّاحقة بأنّ فيها هدىً ونورٌ يحكم بها النبيّون والأحبار.

فتدلّ أوّلاً على أنّ الرسول ﷺ كان له الحكم إذا رجعوا إليه بمعناه الأعمّ من الأحكام القضائيّة أو الولائيّة من النور والهداية بما يحكم بها النبيّون، فلا يختصّ بالقضاء في الموضوعات الجزئيّة، وثانياً أنّ الذين يتولّون عن أحكامه ما كانوا بالمؤمنين. فإنّ أُولئك الذين يتولّون كانوا من أهل التوراة أو لم يكونوا كان الحكم الذي تولّوا عنه ما كان في التوراة شخصاً أو كان من النور والهداية التي يحكم بها النبيّون والأحبار، فتدلّ على أنّ التولّي عمّا حكم به النبيّ ﷺ خلاف الإيمان ومَن تولّى فهو غير مؤمن فإنّ ترك ما حكم به أو أمر به هو التولّي ولابدّ من ملاحظة

---

١. الآية ٦٩ سورة النساء(٤).

٢. الآية ٤٣ سورة المائدة(٥).

ذلك، والآية من خلال آيات السابقة عليها واللّاحقة بها فتدلّ على ما استظهرنا بصراحة كما لا يخفى.

٧ ـ السابع: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً﴾[١].

الآية الشريفة أيضاً تشير إلى ارتباط درجة الإيمان بل الإيمان بنفسه بمسألة الرجوع إلى الحاكم وقبول الحكم وأنّ من تحاكم إلى الطاغوت وجعل الطغاة حكّاماً ورضي بحكمهم لم يكن بمؤمن وإن زعم أنّه مؤمن فإنّه لو كان مؤمناً لم يجعل الطاغية حاكماً وقد أمروا أن يكفروا به.

فإذاً أمر الله تعالى بالكفر بالطواغيت ولزوم تركهم، فمن جعلهم حكماً أو حاكماً فقد ترك أمر الله تعالى ولم يكن مؤمناً بكلّ الإيمان أو الأقلّ بذلك الأمر فإن كانوا مؤمنين بما أنزل إليك وما أُنزل من قبلك لكانوا يجعلونك حكماً وحاكماً دون الطاغوت، فتدلّ على لزوم الرجوع إلى ما يقابل الطاغوت وهو حكم الله تعالى ومن رجع إلى الطاغوت فقد ضلّ ضلالاً بعيداً.

والتحاكم بإطلاقه يعمّ القضاء وغيره من الأحكام الولائيّة والحكوميّة وحقّ الحاكميّة لما يقابل الطاغوت ولابدّ من الرجوع إليه حتّى يكونوا مؤمنين، فتوجّه.

٨ ـ الثامن: قال تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢].

الآية بصراحتها تدلّ على أنّ الله تعالى قد ابتلى إبراهيمعليه السلام بكلمات أي الحوادث والوقائع العديدة التي تكون في ذاتها الابتلاء والامتحان، مثل ذبح ولده إسماعيل والوقوع في النار التي أرادوا إحراقه بعد قصّة الأصنام وعندما ابتلاه بزوجة لم تحتمل هاجر وابنها إسماعيل وأصرّ على أن يخرجها إلى وادٍ غير ذي زرع.

---

١. الآية ٦٠ سورة النساء (٤).

٢. الآية ١٢٤ سورة البقرة (٢).

وذلك كلّه غير ابتلائه بالأمّة التي كانت تعبد الأصنام ودعوتهم وجهالتهم، وكلّ واحد من تلك الكلمات والأمور كافٍ في ابتلاء عبد في مقام العبوديّة والإطاعة، وقد أتمّهنّ كلّها بأحسن وجه إبراهيم ﷺ، وبعد ذلك قال الله تعالى له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ حتّى يكون على الناس الاقتداء به في الأمور كلّها وذلك لبيان أحكام الله لهم وتبيين شرائعه المعروفة بسنن إبراهيم من أصول الصلاة والصوم والخمس وغيرها، والإمامة هذه هي الولاية والتصدّي للأمور وأن يكون أمامَ القوم يقودهم وهم له مطيعون، وذلك المقام الذي يُقال إنّه أتمّ وأقوى من النبوّة والرسالة بل الخلّة والولاية فإنّه المقام الذي فيه ينجو الناس عن الضلالة وينالوا خير الدُّنيا والآخرة.

وكيف كان قال إبراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أي توقّع أنّ ذلك المقام يكون في ذرّيّته أيضاً، قال الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، فالآية بصراحتها تدلّ على أنّ مقام الإمامة والولاية لا يناله الظالمون، سواءً كانوا من ذريّة إبراهيم أو غيرهم، فلم ينفِ العهد عن الذرّية بل عن الظالمين ولذلك يقال الظَّلَمة ليس لهم الولاية ولا يجوز قبول ولايتهم وصدق ذلك ممّا لا يحتاج إلى تكلّف مثل حكّام الجور الذين لا يراعون أحكام الله وحدوده ويفسدون في الأرض ويهلكون الحرث والنسل عليهم لعنة الله.

٩ ـ التاسع: قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[١].

صراحة الآية تومئ إلى ولاية النبيّ على المؤمنين، فإنّ ظاهر أولويّته على أنفسهم في أمورهم ليس إلّا بولايته عليهم كما فصّلنا في فقه القرآن[٢]، وإطلاق ذلك يفيد إطلاق الولاية في جميع شؤونهم من الأموال والأعراض والنفوس، وعليهم أن يطيعوه في أوامره الولائيّة غير ما يبيّن من أحكام الله تعالى بمقتضى رسالته ونبوّته كما يرشد إليه الآيات الأخرى من قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[٣] والأمر

١. الآية ٦ سورة الأحزاب (٣٣).

٢. فقه القرآن، ج ٢، ص ١٨.

٣. الآية ٨٠ سورة النساء (٤).

بالإطاعة في موارد عديدة ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[١]، وليس معنى الولاية هذه بإطلاقه إلّا الحاكميّة على الأمّة وله الأمر والنهي الحكومي بأقسامها وعليهم الإطاعة.

١٠ ـ العاشر: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً﴾[٢].

الآية في سياق الآية السابقة بلسان آخر من نفي خيار غير الله ورسوله إذا قضيا بشيء، فإنّ الآية السابقة بلسان الإثبات تبيّن أولويّة الرسول من أنفس المؤمنين، وهذه الآية بلسان نفي الخيار عن المؤمنين قبال قضاء الرسول حيال قضاء الله تعالى، وكلاهما يثبت الولاية والحكومة لرسول الله تعالى في أوامره ونواهيه حتّى في قضائه وحكمه في شيء خاصّ به، ولا يراد من ذلك القضاة في المحاكم حيث اختلاف المتداعيين أو المتخاصمين كما مرّ الإشارة إلى ذلك في شأن نزول الآية من خِطْبة رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد وكانت ابنة عمّته وكانت متوقّعة الخطبة لنفسه وإذا نزلت الآية سلّمت لذلك كما في كتب التفاسير وإن كان له القضاء أيضاً فإنّه غصنٌ من شجرة الولاية. فالآية أيضاً تدلّ بإطلاقها على إطلاق ولايته وحقّ حكومته على المؤمنين والمسلمين، فإنّ المؤمنين في زمن الرسول ﷺ هم المسلمين وإن كان بينهم فرق فيما ذكرته الآية الشريفة: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ...﴾[٣] فإنّ أحكام الإسلام غير آثار الإيمان، فإنّ أكثر الأوّل راجع إلى الحياة الاجتماعيّة ومعيشة المجتمع وجميع آثار الإيمان زائداً على ما ذكر راجع إلى الآخرة والقيامة كما فصّل في محلّه.

***

١. في أكثر من عشر مواضع مع تكرار الأمر بالإطاعة وبدونه. مثل الآية ٥٩ سورة النساء (٤).
٢. الآية ٣٦ سورة الأحزاب (٣٣).
٣. الآية ١٤ سورة الحجرات (٤٩).

القرآن في القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على خاتم رسله الذي نزل عليه القرآن تنزيلاً وهو تبيانٌ لكلّ شيء، وعلى آله وأصحابه الذين هم أهل البيت وطهّرهم تطهيراً وهم عدل القرآن وثاني الثقلين الذين تركهما رسول الله ﷺ ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

وبعد، لا يخفى عليك أنّ الكلام في القرآن وإظهار النظر بالنسبة إلى هذا الكتاب الكريم المكنون يشبه بمن هو واقف على ساحل البحر الأطلسي ولا يرى إلّا أمواجاً ظاهراً وماءً طاهراً ولا يطّلع على الأعماق وما فيها من العجائب والغرائب سيما كلّما يقرب إلى العمق وسطح الأرض بل وتحت الأرض بعد المياه المتراكمة من أنواع النبات والحيوانات العظيمة الجثّة وصغيرها والمعادن المختلفة ولكن مع ذلك كلّه **«ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه»**[1]. ولعلّ ذلك هو المراد من روايات الباب في بطون القرآن وأنّ لكلّ بطن بطون. وكيف كان المخاطبون بذلك الكتاب، بل مكلّفون بالعمل بكثير من أحكامه، فعلينا فهم المراد ودرك المقصود، وقبل كلّ شيء، نفس الكتاب أعرف بنفسه وهو أحقّ بتعريفه والقرآن يفسّر بعضه بعضاً وبعده العترة الطاهرة؛ هم المفسّرون فإنّه يعرف القرآن مَن خُوطب به.

---

١. عوالي اللئالي، ج ٤، ص ٢١، ح ٢٠٧.

فالأحقّ الأقرب أن نسأل من القرآن تعريف القرآن ونستفيد من آياته الراجعة إلى بيان حقيقته.

القران في القران

١ ـ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ...﴾[١].

٢ ـ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[٢].

٣ ـ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ...﴾[٣].

٤ ـ ﴿أَ فَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾[٤].

٥ ـ ﴿... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[٥].

٦ ـ ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ...﴾[٦].

٧ ـ ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[٧].

٨ ـ ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٨].

٩ ـ ﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٩].

---

١. الآية ٨٩ سورة البقرة(٢).
٢. الآية ١٧٦ سورة البقرة(٢).
٣. الآية ٧ سورة آل عمران(٣).
٤. الآية ٨٢ سورة النساء(٤).
٥. الآية ١٥ سورة المائدة(٥).
٦. الآية ٩٢ سورة الأنعام(٦).
٧. الآية ١٩٦ سورة الأعراف(٧).
٨. الآية ١ سورة هود(١١).
٩. الآية ١ سورة الرعد(١٣).

١٠ ـ ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[١].

١١ ـ ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[٢].

١٢ ـ ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾[٣].

١٣ ـ ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[٤].

١٤ ـ ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٥].

١٥ ـ ﴿حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٦].

١٦ ـ ﴿حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٧].

وغيرها من الآيات.

الآيات بصراحتها تدلّ وتنادي بأنّ القرآن نُزّل من لدن حكيم خبير: من الله العزيز الحكيم وأنّه من عند الله مصدّق لما معهم من كتبهم السماويّة: التوراة والإنجيل. ولو كان من عند غير الله، لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً كما في كثير من الكتب المتعارفة. وأنّه لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. وأنّ الله تعالى نزّله بالحقّ على قلب رسوله، وأنّ رسوله تلقّى القرآن من لدن حكيم عليم.

فما قد يُقال من الطرحات الأخيرة من أنّ تلك الآيات من رشحات نفس الرسول ﷺ بعد أنّه واضح البطلان علماً كما فصّل في محلّه يكذّبه القرآن ويقول إنّه مُنزّلٌ من الله تعالى. وقد أشرنا إلى معنى التنزيل بأنّه يشبه ما يريد الإنسان إلقائه

١. الآية ٨٨ سورة الإسراء (١٧).
٢. الآية ٦ سورة النمل (٢٧).
٣. الآية ٤٧ سورة العنكبوت (٢٩).
٤. الآية ٢٩ سورة صٓ (٣٨).
٥. الآية ١ سورة الزمر (٣٩).
٦. الآية ٢ سورة الجاثية (٤٥).
٧. الآية ٢ سورة الأحقاف (٤٦).

على المخاطب من بحث علمي أو فقهي أو غيرها فهو في صقع النفس، غير محدود وغير متصوّر مطلق يليق أن يبيّن بأيّ لسانٍ عربي وغير عربي وبأيّ لغة فصيحة أو غير فصيحة معقّداً أو غير معقّد إلى أن يتكلّم الانسان بما يريد أو يكتبه كذلك يتنزّل البحث من حالة الكلّية إلى غالب الألفاظ والكلمات ويُحدّد بحدودها حتّى يتمكّن الغير من نيلها ودركها. ويتفاهم من تلك الألفاظ والكلمات حسب مفادها وحدود معانيها عند استماعها فإنّ المعنى في نفس المتكلّم والمفاد ما يستفيده المخاطب من الكلمات والألفاظ المتلقّاة من المتكلّم. ومن ذلك تتفاوت أفهام المخاطبين من إلقاء خطبة واحدة إلّا في الكلّيات السارية فى جميع الكلمات .

وكيف كان، فالقرآن الكريم قد تنزّل عن علم المطلق الالهي الذي هو عين قدرته التي هي عين حياته التي هي عين إرادته اللآتي لا تكون إلّا حقيقةً واحدة مطلقة عن أيّ قيد وحدّ، حتّى من الوحدة والاطلاق كما فصّل في محلّه عند البحث في صفاته الذاتي التي تكون تعدّدها بلحاظ المتعلّق المراد والمعلوم والحيّ والموجود.

وقد تنزّل القرآن بواسطة أمين الوحي؛ جبرئيل الأمينعليه السلام وما خان الأمين بل أدّى الأمانة في تمام كلماته وحروفه وحركاته ونزّله على قلب رسول اللهصلى الله عليه وآله وخاطبه بقوله: ﴿اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقْ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ الآيات. فتلقّ رسول اللهصلى الله عليه وآله من ربّه وتلى الآيات على المؤمنين سيّما كتّاب الوحي الذين كانوا يكتبون القرآن على نحو ما يستمعون أو يحفظونه حرفاً حرفاً وهو الذي الآن بأيدينا وما بين الدفّتين نقرأه قرآناً عربيّاً، مبين، نورٌ ومبارك، آيات محكمات، فصّلت من لدن حكيم خبير، بلسانٍ عربيٍّ مبين. قال تعالى:

١ ـ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١].

٢ ـ ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنْ الْوَعِيدِ﴾[٢].

---

١. الآية ٢ سورة يوسف (١٢).

٢. الآية ١١٣ سورة طه (٢٠).

٣ ـ ﴿... قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[١].
٤ ـ ﴿... قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٢].
٥ ـ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾[٣].
٦ ـ ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾[٤].
٧ ـ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٥].

والآيات كما ترى تنادي بأعلى صوت أنّ العلم المطلق من صقع الربوبي قد تنزّل بلسانٍ عربيٍّ مبين دون أيّ لسان آخر، فالقرآن عربيّ ولسانه عربيّ وليس لسان العربي الذي تتغيّر بتغيّر الاعراب ثقافتهم وعيشتهم وآرائهم، بل لسان عربيّ مبين واضح فصيح لا يوجد فيه أيّ تعقيد وإبهام، فكلّ ما كان القرآن موضوعاً له هو عربيّ ولابد أن يكون عربيّاً لا يتبدّل بلسان آخر، حتّى في الصلاة وفاتحة الكتاب. وإذا قال: لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب، وهو فاتحة القرآن الكريم وهو سورة الحمد وهي عربي مبين، لا يكفي القرآن بأيّ لسان آخر: أعجمي أو لاتيني أو تركي أو هندي أو آخر، وكذلك تأكيد روايات ثواب قراءة القرآن بالعربي. فإنّ قراءة القرآن لا يصدق إلّا بقراءة ذلك الكتاب العربي المبين دون ترجمته. فإنّ في لسانه الخاصّ الإلهي نكاتٌ وظرائف لا يوجد في غيرها. إنّه كلام الله تعالى عزّ وجلّ، المتكلّم به هو الله تعالى والرسول يحكي كلام الله ولا يقول من عنده.

ولا يتوهّم من ذلك عدم جواز الترجمة والتفسير، بل لابدّ من نشر ذلك الكتاب بأيّ لسانٍ رائج في العالم مع حفظ أصله وأنّه هو المستند. وفي ذلك الكتاب كذا وكذا من المعارف والعلوم والقصص والأحكام والأخلاق وغير ذلك.

---

١. الآية ٢٨ سورة الزمر (٣٩).
٢. الآية ٣ سورة فصّلت (٤١).
٣. الآية ٤٤ سورة فصّلت (٤١).
٤. الآية ٧ سورة النور (٢٤).
٥. الآية ٣ سورة الزخرف (٤٣).

وكما تعلم قد ترجم بتمام الألسنة الرائجة في العالم وهو بنفسه فقط كتاب يعرف أصالته وصحّة صدوره من الله تعالى وعدم تحريفه أو تغيير من أيدي الآخرين، طيلة قرون كما فصّل في محلّه.

القرآن أنزل للهداية

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[١].

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ﴾[٢].

﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً﴾[٣].

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٤].

الآيات. وغيرها تنادي بأنّ القرآن الكريم، كتاب الهداية والإرشاد، كتاب الرحمة والبركة؛ يهدي الناس إلى سبيل الخير والنور وسيّما الهداية للّذين اتّقوا والذين هم محسنون، فإنّه هادي للمتّقين بتقوئهم إلى خصائص عزيزة ومزايا غريزة ولا سيّما للتي هي أقوم في سبيل الله، واشدّ في تحمّل مشاقّ الطريق وسير المسالك إلى الوصول إلى المطلوب، وفّقنا الله وإيّاكم.

القرآن ذكرٌ

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٥].

﴿... وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[٦].

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[٧].

---

١. الآية ٢ سورة البقرة(٢).
٢. الآية ١٨٦ سورة البقرة(٢).
٣. الآية ٨٩ سورة النحل (١٦).
٤. الآية ٩ سورة الإسراء (١٧).
٥. الآية ٨٢ سورة الإسراء (١٧).
٦. الآية ٦٩ سورة يس (٣٦).
٧. الآيات ١٧ و ٢٢ و ٢٣ و ٤٠ سورة القمر (٥٤).

من المعلوم أنّ الذكر مصدرٌ يفيد معنى التذكير والتذكّر وذلك لا يصدق إلّا فيما إذا كان مسبوقاً في النفس، ونسي الإنسان، والمذكّر يؤثّر في توجّهه وتذكّره ما كان نسي وذلك دليل على أنّ فطرة الإنسان على الحقّ والهداية؛ فطرة الله التي فطر الناس عليها من التوحيد والحقّ والعدل. وحيث إنّ الإنسان من النسيان سيّما إذا اشتغل بمشاغل ماديّة وظواهر دنيويّة، ينسى كثيراً ممّا كان في نفسه والقرآن يذكّره ويوجّهه فيستيقظ عن نومته ويرجع ويتوب إلى الله والحقّ والعدل.

القرآن منذر

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾[١].

﴿كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾[٢].

الإنذار، التخويف عمّا سيأتي حتماً ولزوم التهيّؤ للدفع عنه. والكتاب المنير القرآن العظيم بعدما يبشّر المؤمنين بالجنّة وينذر الذين لا يؤمنون بالعذاب والنار وعمّا يترتّب على أعمال الإنسان في الآخرة كما نرى في كثير من الآيات، ترادف الإنذار والتبشير. والنبيّ ﷺ مبشّرٌ ونذير كما فصّلنا في رسالة محمّد في القرآن والقرآن في محمّد ﷺ وقد طبع بحمد الله.

والإنذار كأنّه إتمام للحجّة ليحيى من حيّ عن بيّنة ويهلك من هلك عن بيّنة ولا يقولن ما سمعنا بهذا من الذكر الحكيم.

وقد استفيد في القرآن من كلّ مثل

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾[٣].

---

١. الآية ١٩ سورة المائدة(٦).

٢. الآية ٧ سورة الشورى (٤٢).

٣. الآية ٨٩ سورة الإسراء (١٧).

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾[١].
﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾[٢].
﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾[٣].

الآيات تشير إلى استفادة القرآن من الأمثلة في طريق الهداية والإرشاد، وأنت تعلم الفرق بين المَثَل والمِثال فإنّ الأوّل تشبيه لتقريب الذهن وقد يكون تشبيه المعقول بالمحسوس. والثاني ذكر المصاديق للأمر الذي يضرب فيه المثل. وأنت تعرف من القسم الأوّل ما في كلام الله تعالى في سور عديدة ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾ ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ ﴿مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ وغيرها من الأمثال.

ومن القسم الثاني: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٤].

وقبل الآية قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥].

وكثيراً من الأمثلة المذكورة في كتاب الله كما لا يخفى على مسلم.

القرآن نزل للتدبّر والتفكّر

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً

---

١. الآية ٥٤ سورة الكهف (١٨).
٢. الآية ٥٨ سورة الروم (٣٠).
٣. الآية ٢٧ سورة الزمر (٣٩).
٤. الآية ٧٦ سورة النحل (١٦).
٥. الآية ٧٥ سورة النحل (١٦).

كَثِيراً﴾[١].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٢].

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[٣].

التأمّل في حروف التحذير والسؤال الحقيقي وكذلك الخبر والتعليل بأنّ نزول الكتاب المبارك كان للتدبّر في آياته والتذكّر لأولي الألباب وأنّ الذين لا يتدبّرون في القرآن أو لا يتدبّرون أصلاً في شيء لا في القرآن ولا في أيّ كتاب أو في شيء بل يمرّون على الحياة وكثير من الآيات مرّ الغافل الجاهل فكأنّ على قلوبهم أقفالاً. والقلب إذا جعل عليه القفل كما قالوا ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لا يرى ولا يفهم شيئاً من ظواهر حياته بل حتّى من اختلاف الليل والنهار وتعاقب الأيّام والدحور ومن تطاير الحوادث وهم الذين ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[٤].

وكيف كان، القرآن كتاب التدبّر ويدعو الإنسان إلى التدبّر والتفكّر والتعقّل كما في آيات كثيرة لا ترتبط بالمقال.

هذا كلّه شطرٌ من الآيات التي تتكلّم حول القرآن ومعرفته وتبيين حقيقته باسم القرآن، وبذلك اللّفظ الشريف الكريم وهي تقرب من خمسين آية توصف القرآن وهي أبين البيان و أوضح الطرق إلى معرفة القرآن وماهيّة هذا الكتاب العظيم، وإن كان هناك آيات كثيرة بلفظ الكتاب في هذا المطاف وبيان حقيقة القرآن وأنّه لا ريب فيه، أحكمت آياته وفصّلت من لدن حكيم خبير، نشير إليها في الجملة.

وما لا ينبغي التغافل عنه، أنّ الآيات بصراحتها تدلّ على أنّ القرآن مُنزل في شهر رمضان وليلة القدر وليلة مباركة الظاهر في نزوله في زمان واحد بوصف الجمع وكلّ

---

١. الآية ٨٢ سورة النساء(٤).

٢. الآية ٢٤ سورة محمّد (٤٧).

٣. الآية ٢٩ سورة ص(٣٨).

٤. الآية ١٧٩ سورة الاعراف(٧).

القرآن فإنّ ظاهر قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ أي كلّ القرآن دون بعضه، كما أنّ ظاهر ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أو ﴿لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ أي كلّ القرآن دون بعضه. مع أنّا نقطع بنزوله طيلة عشرين سنة متقطّعة حسب تناسب المطالب والمواضع كما هو صريح كثير من الآيات والروايات الواردة في شأن النزول.

ولذلك ذهب كثيرٌ من المفسّرين إلى تعدّد النزول على الأقلّ مرّتين؛ الأولى بوصف الجمع والكلّ نزل على قلب رسول الله ﷺ. الثانية بوصف التدريج والتقطيع حسب موارد اللّزوم والعمل. واستدلّ على ذلك بآيات، مثل قوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﷺ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[٢].

فإنّه لو لم يكن القرآن نازل عليه ﷺ من قبل لم يكن معنى للنهي عن تحرّك اللسان بالقرآن والعجلة إليه، فإنّ الآيات صريحة في علمه بالقرآن كما في قوله تعالى أيضاً:

﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾[٣] الصريح في تفريق القرآن ونزوله متقطّعاً حسب الافتقار ومواقع العمل، فلا تهافت في المقام قد نُزّل بوصف الجمع في زمان واحد ولكن لم يكن الرسول ﷺ مأموراً بقرائته بل نهي عن التعجيل وأنّ على الله تعالى جمعه وقرآنه فإذا قرأه فعليه الاتّباع في القرآن، ثمّ نزّل في المقاطع بوصف التدريج. وقد يقال بتعدّد الرحلة في النزول وأنّ النزول بوصف الجمع كان في مرحلة من صقع العلم الربوبي إلى عالم الألفاظ والكلمات من كتاب مكنون إلى كتاب محفوظ من الإطلاق الكلّي إلى التعيين المشخّص ولا على قلب

---

١. الآية ١١٤ سورة طه (٢٠).
٢. الآيتين ١٥ـ١٨ سورة القيامة (٧٥).
٣. الآية ١٠٦ سورة الإسراء (١٧).

رسول الله بل في عالم خاصّ من العوالم لا يمسّه إلّا المطهّرون. ثمّ نزل في المرحلة الثانية من ذلك العالم المحفوظ إلى قلب رسول الله ﷺ، والله العالم.

وكيف كان، القرآن بألفاظه وكلماته وحركاته وسكناته وكلّ ما يرتبط به منزل من لدن حكيم خبير و من لدن عزيز عليم ولا يكون له منشأ غير ذات الله تعالى وعلمه وحكمته، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

وأمّا الآيات التي ترجع إلى وصف القرآن وتعريفه بلفظ الكتاب دون كلمة القرآن ولفظه فهي كثيرة تقرب من أربع وثمانين آية، مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ﴿كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ﴿أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

نشير إلى شطر منها؛ وفيها أوصاف وأحكام راجعة إلى القرآن تدلّ على توصيف القرآن بأنّه للتعليم والتذكّر للتذكّر والهداية للشفاء والرحمة ليخرج الناس من الظلمات إلى النور و في النهاية ليحكم بين الناس بالحقّ والعدل والقسط. وهي:

﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ﴾[1].

وفي السورة آيات ٧٩ و٨٥ و٨٩ و١٢١ و١٢٩ و١٥١ و١٥٩ و١٧٤ و١٧٦ و١٧٧ و٢١٣ و٢٣١.

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[2] وفي السورة آيات ٧ و١٩ و١١٩ و١٦٤.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾[3] وفي السورة آيات ١١٣ و١٢٧ و١٣٦ و١٤٠.

---

١. الآية ٢ سورة البقرة(٢).

٢. الآية ٣ سورة آل عمران (٣).

٣. الآية ١٠٥ سورة النساء (٤).

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[1]، وفي السورة آيات ٤٨ و ١١٠.
﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[2]، وفي السورة آيات ٩٢ و ١٥٥.
﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾[3]، وفي السورة آيات ٥٢ و ١٧٠ و ١٩٦.

وهكذا في سور:

الأنفال ٨ / ٧٥، التوبة ٩ / ٣٦، يونس ١٠ / ١، هود ١١ / ١، يوسف ١٢ / ١، الرعد ١٣ / ١ و ٣٩، إبراهيم ١٤ / ١، الحجر ١٥ / ١، النحل ١٦ / ٦٤ و ٨٩، الكهف ١٨ / ١ و ٢٧، مريم ١٩ / ٦ و٤١ و٥١ و٥٤ و٥٦، الشعراء ٢٦ / ٢، النمل ٢٧ / ١، القصص ٢٨ / ٢ و ٨٦، العنكبوت ٢٩ / ٤٥ و٤٧ و ٥١، لقمان ٣١ / ٢، السجدة ٣٢ / ٢، الأحزاب ٣٣ / ٦، فاطر ٣٥ / ٢٥ و٣١، صٓ ٣٨ / ٢٩، الزمر ٣٩/ ١ و٢ و٤١، غافر ٤٠ / ٢، فصّلت ٤١ / ٣ و ٤١، الشورى ٤٢ / ١٧ و٥٢، الزخرف ٤٣ / ٢، الدخان ٤٤ / ٢، الجاثية ٤٥ / ٢، الأحقاف ٤٦ / ٢ و١٢، الواقعة ٥٦ / ٧٨، الحديد ٥٧ / ٢٥، الجمعة ٦٢ / ٢، الزمر ٦٩ / ٢٣.

فإذا أردت أن تعرف القرآن أكثر ممّا ذكرنا من نفس الآيات بلفظ القرآن فراجع تلك الآيات الشريفة بلفظ الكتاب ترى فيها كثيراً من الأوصاف وأهداف النزول وأغراض الإرسال مهامّها أنّه الحقّ من الربّ مصدّق لما بين يديه من التوراة والإنجيل رحمة من الله، ليدبّروا الناس وليتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وليحكم بين الناس بالحقّ والعدل وليقوم الناس بالقسط.

وعندنا، الغاية القصوى إقامة الحقّ والعدل والحكم بين الناس بأحكام الله تعالى وبذلك يتمّ تلاوة الآيات أي معرفة الله تعالى وتوحيده وتزكية الناس وتعليمهم

---

١. الآية ١٥ سورة المائدة (٥).
٢. الآية ٣٨ سورة الأنعام (٦).
٣. الآية ٢ سورة الأعراف (٧).

الكتاب والحكمة، فإنّ العدل الحقيقي هو إقامة دين الله وحاكميّة شريعته من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإنجاز الحدود والديات وسائر أحكام الله تعالى حتّى يقع الإنسان في الطريق الذي خلق له ويصل إلى معرفة الربّ والحقّ والعدل، فراجع وتأمّل الآيات، فإنّ فيها حكمٌ وجواهر لا تنال إلّا بالتأمّل والدقّة. اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل القرآن واحشرنا مع القرآن ولا تفرّق بيننا وبين القرآن والعترة الطاهرة صلوات الله عليهم أجمعين.

وممّا صرّح به القرآن الكريم في آداب تلاوة القرآن أوّلاً: للقارئ أن يفتتح بعد البسملة بالاستعاذة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[1].

ثانياً: أن تكون القراءة ترتيلاً، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[2]، والترتيل كما قيل إسماع سمع القلب حال القراءة مع إسماع سمع الرأس.

وثالثاً: القراءة مع العلاقة ومساعدة الحال، قال تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[3].

وعلى المستمعين السكوت والإصغاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾[4].

وعندنا الأمر للوجوب كما فصّلنا في فقه القرآن.

---

١. الآية ٩٨ سورة النحل (١٦).
٢. الآية ٤ سورة المزمّل (٣٧).
٣. الآية ٢٠ سورة المزمّل (٣٧).
٤. الآية ٢٠٤ سورة الأعراف (٧).

النساء في القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق أبانا آدم وأُمّنا حوّاء وجعلهما زوجين ثمّ جعل نسله نسباً وصهراً وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء وإذا هم بشرٌ ينتشرون.

ثمّ هداهم إلى سواء السبيل بأن أرسل إليهم رسلاً مبشّرين ومنذرين إلى أن جعل فيهم خاتم النبيّين صلوات الله عليهم أجمعين.

والصلاة والسلام عليه وعلى الأئمّة المعصومين الاثنى عشر؛ زوج البتول وأولاد سيّدة نساء فاطمة الزهراء عليها السلام الكوثر التي أعطاها الله تعالى رسوله فاستمرّ بها الدّين وصار المُبغض لشأنه في كلّ عصر وزمان هو الأبتر إلى يوم الدّين.

أمّا بعد فإنّك تعلم أنّ المستفاد من الآيات الراجعة إلى النساء في القرآن الكريم إذا رأيناها في منظر واحد نطّلع على ظرائف ونكت خاصّة لا ينبغي الغفلة عنها، فانتهزنا الفرصة من شهر رمضان وقراءة القرآن لتوضيحها، وخلاصة البيان:

١ ـ قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً﴾[1].

٢ ـ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً﴾[2].

---

١. الآية ١ سورة النساء(٤).

٢. الآية ٧ سورة الأعراف(٧).

٣ ـ ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[١].

صراحة الآيات تخاطب الناس وتناديهم وهم بنو آدم ويأمرهم بالتقوى من ربّهم الذي خلقهم من حقيقة واحدة، فإنّ نفس الشيء حقيقته وجعل من ذلك النفس والحقيقة زوجها وكانت الحكمة في ذلك الجعل السكون إليها والغرض الأعلى بثّ الرجال والنساء ودوام حياة الإنسان على ساحة الأرض.

وعندئذٍ أوّل ما يُسئل عنه أو ينبغي أن يسئل، أنّ ذلك النفس ما هو؟ وهذه الحقيقة الواحدة ما هي ؟

هل هو شخص آدم الذي دلّت الآيات عند بيان خلقه؟ أنّ الله تعالى خلقه من تراب فلمّا صار طيناً لازباً مسنوناً فسوّاه فنفخ فيه من روحه وهذا الروح من عالم الأمر الذي لا يحتاج إلى مادّة ومُدّة وأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كُن فيكون.

وزوجته خلقت من نفس هذا التراب والطين ونفخ فيها أيضاً من نفس هذا الأمر كما يشير إليه بعض روايات الباب، وردّه بعض الآخر من لزوم نكاحه نفسه.

أو النفس الواحدة هي حقيقة الأمر الذي بها صار آدم إنساناً وبشراً حيّاً ذات شعور وإرادة وإحساس وعلم ولله الخلق والأمر أي عالمي المادّة والمعنى.

الأقرب عندنا ثاني المعنيين، فإنّ المراد من تكرار تعبير نفسٍ واحدة وخلق الزوج منها والله يعلم بيان أنّ زوجة آدم كانت من نوع آدم كانت بشراً وإنساناً، وأنّ النساء بما هنّ إنسانٌ وبشرٌ وهما من نوع واحد وإن كان لكلّ من الرجال والنساء ما ليس للآخر فهما بمنزلة الصنفان من نوع واحد.

ولكن كلّ ما يكون على الرجال في نظام التكوين والتشريع يكون للنساء أيضاً على الكلّية ولكلّ منهما أحكام وتكاليف ليس على الآخر وبالعكس، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾[٢].

---

١. الآية ٦ سورة الزمر(٣٩).

٢. الآية ١٢٤ سورة النساء(٤).

وقـــال تـــعالى: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٣).

الآيات كما ترى تنادي بأعلى الأصوات بعدم الفرق بين الذكر والأنثى في ثواب الأعمال وجزاء السيّئة بل بالحياة الطيّبة في الدُّنيا وأنّ ما يترتّب على الأعمال لا فرق فيه بينهما وفي نظام التكوين ظاهر.

أضف إلى ذلك جميع الآيات التي تخاطب الناس بهذا العنوان، فإنّ الناس يعمّ الرجال والنساء ولا يختصّ بأحدهما دون الآخر.

والأصرح من جميع ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾(٤).

فالمغفرة والأجر العظيم من أعظم نِعَم الله تعالى معدّان للرجال والنساء المستحقّين لها من غير فرق بينهما.

ثمّ إنّ قصّة آدم وزوجته حوّاء عليهما السلام وعدوّهما الشيطان قد ذكرناها بتفصيل في مبحث الخلافة المجعولة في الأرض حسب إرادة الله تعالى التي أبداها للملائكة حيث

---

١. الآية ١٩٥ سورة آل عمران(٣).

٢. الآية ٩٧ سورة النحل(١٦).

٣. الآية ٤٠ سورة المؤمن (٤٠).

٤. الآية ٣٥ سورة الأحزاب(٣٣).

قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وبيان أنّ الخليفة، هل هو شخص آدم الذي خلقه من تراب وطين ونفخ فيه من روحه وجعل له من الأمر زوجة وأمرهما بدخول الجنّة ونهاهما من أن يقربا الشجرة فوسوس لهما الشيطان فتقرّبا الشجرة إلى أن قيل لهم اهبطوا إلى الأرض فخرج منها وعاش مع زوجته على ساحتها وبثّ الله تعالى منهما رجالاً ونساءً ثمّ قضى نحبه وتحقّقت إرادة الله تعالى بجعل الخليفة في الأرض زماناً ما؟

أو الخليفة المجعولة في الأرض لم تنحصر به بل هو موجود بعده في طبيعة الإنسان التي توجد بوجود فرد وتنعدم بانعدام جميع الأفراد وإرادة الله تعالى تعلّقت بوجود الخليفة في الأرض ما دامت الأرض أرضاً، ولذلك جعل نسل آدم نسباً وصهراً وخلق الإنسان من ماءٍ مهين ومن النطفة والمنيّ إذا تمنى ولعلّ ذلك كان من أوّل الأمر مقدّراً محتوماً بأن يعصي آدم ربّه فيخرج عن الجنّة تحقيقاً لهذه الإرادة .

نعم، قد قلنا هناك إنّ الجنّة التي دخلها آدم وزوجته كانت على الأرض فلا تتوقّف تحقّق إرادة الله تعالى ببقاء الخلافة في الأرض على عصيان آدم وخروجه من الجنّة وكان الأمر بالدخول والنهي عن تقرب الشجرة لا على حسب تكليف شرعي تعبّدي يُثاب ويعاقب على الإطاعة والعصيان.

وكيف كان، إذا أراد الله تعالى أن يجعل في الأرض خليفة ما دامت الأرض أرضاً، فلابدّ من زوج وزوجة وزواج ونكاح بعد آدم وزوجته حتّى يستمرّ وجود الإنسان على الأرض ووجود خليفة الله عليها.

وعندئذ فمن الواضح أنّ للنساء سهم عظيم في تحقّق هذه الإرادة بل لا يمكن إلّا بوجودهنّ حسب نظام الخلقة والطبيعة، بل وحتى في بعض مراحل الإعجاز سهمها أعظم كما في مثل كلمة الله عيسى روح الله على نبيّنا وآله وعليه السلام ولزوم وجود آدم ومثل مريم، فالنساء هنّ أيضاً ركنٌ ركين في تحقيق خلافة الله في الأرض، ولذلك ترى في الآيات العناية إلى مسألة النكاح والزواج والترغيب فيه، وكذلك التحذير عن

الفحشاء والسفاح حفظاً لطهارة الإنسان ونظافته عن كلّ لوث ودنس في سلسلة الأرحام الطاهرة والأصلاب الطيّبة.

١ ـ قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[١].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٣].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾[٤].

وغيرها من الآيات الكثيرة التي وردت حول مسألة النكاح وشؤونه والطلاق وأحكامه وحرمة السفاح والزنا كما ترى ما في سورة النساء والنور وغيرهما ودار البحث حولها في كتب الفقه وآيات الأحكام على التفصيل بأيدي الأصحاب، وفقهاء العظام كثّر الله أمثالهم ورضي الله عن الماضين منهم ما لا يناسب البحث عنها هنا.

ولنذكر الآيات بأنفسها ونشير إلى شيء ممّا يُناسب المقام، قال تعالى:

٥ ـ ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾[٥].

---

١. الآية ٣ سورة النساء (٤).
٢. الآية ٣٢ سورة النور (٢٤).
٣. الآية ٢٥ سورة النساء (٤).
٤. الآيتين ٢٢ و ٢٣ سورة النساء (٤).
٥. الآية ٢٢١ سورة البقرة (٢).

٦ ـ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾[١].

٧ ـ ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[٢].

٨ ـ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾[٣].

٩ ـ ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾[٤].

١٠ ـ ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ﴾[٥].

١١ ـ ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[٦].

١٢ ـ ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ... إلى قوله تعالى: وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾[٧].

وخلاصة المستفاد من صراحة تلك الآيات، أنّ أوّل شرط جواز النكاح إيمانهنّ فلا يحلّ نكاح غير المؤمن دائماً زوجاً وزوجة ولو كانت من أهل الكتاب كانا في غاية الجمال والإعجاب أو لا.

وبعد ذلك لابدّ من طهارتهنّ عن الحيض، فلا يجوز مباشرتهن في تلك الحال كما لا يجوز في حال الصيام والاعتكاف في المسجد.

---

١. الآية ٢٢٢ سورة البقرة (٢).

٢. الآية ٢٢٣ سورة البقرة(٢).

٣. الآية ١٨٧ سورة البقرة (٢).

٤. الآية ٤ سورة النساء (٤).

٥. الآية ١٨٧ سورة البقرة(٢).

٦. الآية ٥ سورة المائدة(٥).

٧. الآيتين ١٢٨ ـ ١٢٩ سورة النساء(٤).

ولابدّ في النكاح من المهر والصداق وقرار النحلة أو أُجورهنّ في الموقّت[١] وبعد ذلك نسائكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم، وتفصيل الكلام في الفقه سيما فيما إذا كنّ متعدّدات إلى الأربع ورعاية العدالة منهنّ.

فلا يجوز تعليقهنّ وجعلهنّ معطلات وتركهن في أيّام وليال طوال، فإنّ الافتقار إلى ذلك أمرٌ طبيعي يصعب عليهن تركه كما يصعب عليكم وإن كان الحياء من جانب النساء مانعاً من الإظهار والتقدّم، ولعلّ المراد من أنّ السكوت يدلّ على الرضى لا يكون إلّا في مثل المقام، وقد صرّح بذلك روايات الباب كما لا يخفى.

ومن الطبيعي ظهور الخلاف في بعض الأُمور الجزئيّة بين الزوجين في العيش المشترك لابدّ من الهضم والتحمّل أو الصلح والإصلاح حتّى لا ينتهي إلى النشوز والمتاركة بينهما لا من ناحية الرجل ولا من ناحية المرأة، فإنّ أحكامه كان لهما من غير اختصاص بالمرأة.

وقد ينتهي هذا الخلاف إلى حدّ لا يتمكّن من الإصلاح لا هما بأنفسهما ولا غيرهما حكماً من أهله وحَكَماً من أهلها، فتصل النوبة إلى أبغض الحلال التفرّق والفراق، قال تعالى:

١ ـ ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلّاً مِنْ سَعَتِهِ﴾ ولا يتوهّم أحدٌ أنّه ليس له زوجة إلّا هذه أو لا يوجد لها زوج إلّا هذا، فلابدّ أوّلاً من السعي والجهد في سبيل الإصلاح والصلح خيرٌ، فإنّه يوجب الحفظ لكيان الأُسرة سيّما إذا كان لهما ولدٌ صغيراً أو كبيراً، ثمّ يبعث الحكمان لعلّ الله يوفّق بينهما الصلح، وآخر الدواء الكي والطلاق في نهاية الطريق.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

٣ ـ ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ

---

١. و قد عملنا في ذلك رسالةً مستقلة.

٢. الآية ٢٢٧ سورة النساء(٤).

اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحاً﴾(١).

٤ ـ وقال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾(٢).

٥ ـ ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ﴾(٣).

٦ ـ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا﴾(٤).

٧ ـ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾(٥).

٨ ـ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾(٦).

٩ ـ ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾(٧).

١٠ ـ ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾(٨).

المستفاد من ظاهر الآيات أمور:

الأوّل: أنّ الطلاق جائز مشروع وبيد من أخذ بالساق الزوج.

---

١. الآية ٢٢٨ سورة البقرة (٢).
٢. الآية ٢٢٩ سورة البقرة (٢).
٣. الآية ٢٣٠ سورة البقرة (٢).
٤. الآية ٢٣١ سورة البقرة (٢).
٥. الآية ٢٣٢ سورة البقرة (٢).
٦. الآية ٢٣٦ سورة البقرة (٢).
٧. الآية ٢٣٧ سورة البقرة (٢).
٨. الآية ٢٤١ سورة البقرة (٢).

الثاني: أنّ تسريح المرأة وطلاقها لا يوجب الحـرمة الأبديّة وللزوج الرجوع فإنّ بعولتهنّ أحقّ بردّهنّ فإن كان الطلاق رجعيّاً فله الرجوع قبل انقضاء المدّة، وإن كان بائناً فله العقد والنكاح من جديد .

الثالث: أنّ الطلاق مرّتان فإن تكرّر حتّى ثلاث فلا تحلّ له من بعد حتّى تـنكح زوجاً غيره فإن طلّقها هذا الغير فلا جناح عليهما أن يتراجعا ولذلك يـطلق عـليه المحلل.

الرابع: أنّ على المطلّقات العدّة بأن يتربصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء اللآتي تـتحقّق بانقضاء ثلاثة أشهر وعشراً عادةً، وعندئذٍ ليس عليهن أن يكتمن ما خلق الله تعالى في أرحامهنّ فإن كُنّ أولات الأحمال فعليهنّ التربّص إلى أن تضع حملها ولذلك قد تكون العدّة ابعد الأجلين الشهور أو وضع الحمل كما فصّل في الفقه.

الخامس: أنّه لا يجوز الاعتداء عليهنّ بعد انقضاء عدّتهنّ بإمساكهنّ ضراراً، بل لابدّ من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، امّا أن تعطى صداقـها وتـطلّق ويـقع الاختيار على عاتقها أن تتزوّج أو تبقى مجـرّدة، وإمّـا أن تجـدّد العـقد والإمسـاك بالمعروف.

السادس: لزوم أداء حقّهن من الصداق والمهر المسمّى أو المثل إلّا أن تعفون وما بسمع من التضييق عليهن حتّى تعفون مهورهنّ وتحررون أنفسهنّ بالطلاق لا يكون هو العفو المذكور في الآية، ولذلك ذكر لزوم أداء متاع بالمعروف بعد العفو أيضاً فإنّ الغمض عن حقّها من ناحيتها غير ما على الرجال من رعاية الحقّ حقّاً على المتّقين.

السابع: أنّ الطلاق هذه إن كان من قبل أن يتماسّا وقد فرضتم لهنّ فريضة وجعلتم لهنّ مهراً مسمّى فنصف ما فرضتم عليكم أدائه إليها وإن لم تفرضوا فريضة فعليكم أن تمتّعوهنّ متاعاً حسناً على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وذلك هو المناسب المتعارف رعايةً لشأن الإنسان وحـقوق النسـاء، وفي المـقام فـروع ذكـرها الأصحاب في المفصّلات.

وقد كان في سالف الزمان سيّما في بعض الأقوام استخدام تعابير خاصّة عند بروز الخلاف بين الزوجين وإظهار التنفّر من الزوجة وتحريمها على نفسه بالظِّهار، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ.....، الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا... إلى قوله: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾[1].

الآية راجعة إلى تحريم الإنسان زوجته على نفسه بالقول بأنّ ظهرك كظهر أُمّي فتحرم عليه بذلك وإن عاد ورجع عليه الكفّارة، وليست الحرمة أبديّة كحرمة الأمّ، إن أُمّهاتهم إلّا اللآتي ولدنهم وأداء الكفّارة لابدّ وأن يكون من قبل أن يتماسّا على التفصيل في الفقه.

وأيضاً في بروز الخلاف بين الزوجين لابدّ من رعاية المراتب، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ... إلى قوله: وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً... إلى قوله تعالى: وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾[2].

الآيات بعد بيان حقيقة ظاهرة تبتني على نظام الخلقة وطبيعة الإنسان في الرجال والنساء إنّ قوام حياة الأُسرة بل المجتمع دائر حول الرجال المتحمّلين أشدّ مشاقّ الحياة والعيش وعلى عاتقهم كثيراً من الأمور تُعلِنُ أنّ عليهم وعظ اللآتي تخافون نشوزهن ثمّ هجرهن في المضاجع العوامل العاطفي الروحي، والضرب إن كان في المضاجع أو خارجها من دون أن يترتّب عليه الدية العامل الجسمي الذي يؤثّر فيهنّ

---

١. الآية ٤ سورة المجادلة (٥٨).

٢. الآيتين ٣٤ ـ ٣٥ سورة النساء (٤).

بأكثر من ناحية المعنوي لإحساس كسر الشخصيّة والمقام فينتهي وترجع وتصلح وبعد ذلك الرجوع إلى الحكم.

***

ثمّ بعد المسائل الراجعة إلى حياة العائلي والنكاح والزواج يتحصّل منها الولد ويصير كلّ منها والد ووالدة أب وأمّ لكلّ منها ولأولادهما شؤون وأحكام إشارت إليها الآيات.

١ ـ قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾[١].

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً﴾[٢].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[٣].

ترشد الآيات إلى أنّ الوالدات إن أردن أن يرضعن أولادهن كاملاً وتماماً فعليهنّ الرضاعة حولين كاملين فلا يجب عليهن ذلك قهراً عليهن، بل لهنّ ذلك ولهن طلب الأجرة بعد أن كان على المولود له أي الأب رزق الوالدات وكسوتهنّ بما أنّهن زوجات أوّلاً ثمّ بما أنّهن والدات. إلّا أن يقال: إنّ الشرط راجع إلى كمال الإرضاع دون نفسه وبيان أنّ تمام الإرضاع حولين وعامين. أمّا بالنسبة إلى أصل الإرضاع فلا تدلّ على شيء كما لا يبعد إمّا أنّ عليهنّ ذلك بالأمومة أو ليس عليهنّ مجّاناً لاحترام كلّ عمل عن كلّ إنسان، فكلّ محتمل. وعندنا أنّ نظام الخلقة والتكوين الذي هيّأ

---

١. الآية ٢٣٣ سورة البقرة (٢).

٢. الآية ١٥ سورة الأحقاف (٤٦).

٣. الآية ١٤ سورة لقمان (٣٠).

اللّبن في ثدي الأمّ والناظم يحكم أنّ عليهن ذلك سواءٌ تقبّل الأب أن يؤتي الأُجرة أو لا، سيّما مع بقاء الزوجيّة وأنّ عليه رزقهنّ وكسوتهنّ، فتأمّل. كما ذهب الى ذلك في اللّباء اكثر الفقهاء رضى الله عنهم.

ثمّ إنّ الفصال إذا كان في عامين والحمل والفصال ثلاثون شهراً فأقلّ الحمل ستّة أشهر ويترتّب على ذلك فروع الحمل والفصل ولحوق الولد بالقرائن مع محاسبة هذا الأصل.

***

ثمّ بعد النكاح والزواج وتوالدهما وأحكام الولد ينتهي الأمر إلى الفوت وأحكامه والإرث والسهام.

١ ـ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾[١].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

الآيتان تدلّان على أنّ النساء اللآتي يتوفّى عنهن أزواجهن عليهن العدّة بأكثر من ثلاثة قروء، بل أربعة أشهر وعشراً عدّة الوفاة احتراماً للزوج المتوفّى وعليهن أن لا يخرجن من شرائط زمن حياة الزوج بسرعة، كما أنّ على الرجال الوصيّة لهن متاعاً إلى الحول حتّى تتمكّن من البقاء وحفظ الاحترام فإن خرجن مع ذلك وتبرجن وأردن الزواج فلا جُناح عليكم ولا بأس فإنّ كثيراً ما سيّما إذا كانت شابةً يصعب عليها الصبر كما هو الظاهر. ولا جناح في خطبتهنّ وهن على الشرائط ظاهراً أو مكنوناً ولكن لا تواعدوهنّ سرّاً كما صرّح بذلك في الآية اللّاحقة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

١. الآية ٢٣٤ سورة البقرة(٢).

٢. الآية ٢٤٠ سورة البقرة(٢).

فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ...﴾[١] الآية.

***

الميراث بعد الموت وأحكامه

١ ـ قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾[٢].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾[٣].

٣ ـ وقبلها قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾[٤].

والآيات كما ترى تشير أوّلاً إلى أنّ نصيب الرجال والنساء من تركة الوالدان والأقربون مفروضٌ معيّن كلّ غير الآخر بمقتضى التكرار.

ونصيب الزوجة من زوجها نصف نصيب الزوج من زوجته الربع أو الثمن قبال النصف أو الربع في صورتي وجود الولد وعدمه.

ونصيب الأمّ نصف نصيب الأب من الثلث أو السدس وفي الأولاد للذكر مثل حظّ الأنثيين.

---

١. الآية ٢٣٥ سورة البقرة(٢).

٢. الآية ١٢ سورة النساء(٤).

٣. الآية ١١ سورة النساء (٤).

٤. الآية ٧ سورة النساء(٤).

ولا يبعد أن يكون أمر ذلك أنّ النساء بعد أنّ لهن ما لهن من الأموال إرثاً أو اكتساباً وتجارة ليس عليهنّ مخارج العيش العائلي فإنّها على الزوج من المسكن والملبس والمركب وكلّ ما يحتاج إليه في المأكولات والمشروبات حسب شؤونها، وأمّا الرجال فعليهم تأمين كلّ ما تحتاج إليه العائلة من جميع شؤون الحياة فيجب عليه نفقتهم. فالحاصل من الأموال لهن أكثر ممّا للرجال سيّما بعد أن كلّ منها لهم ما اكتسبوا، قال تعالى:

﴿... لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[1] وقلنا في رسالتنا حقوق النساء إنّ لهنّ ما للرّجال في المتجر والمكسب ما لم يزاحم حقّ الزوج، فراجع. وعليه فتنصيف سهامهن في الإرث كان على العدل الحقّ مع رعاية سائر الشؤون وثقل الحياة العائلي والاجتماعي على الأزواج والرجال وإن كان ثقل الحمل والوضع للأولاد عليهن أثقل، فالله هو الحكيم الخبير.

***

ثمّ تصل النوبة إلى مسألة الجزاء والتعزير بعد ثبوت الجرم في المحكمة وحياة الاجتماعي بعد العيش العائلي وأحكام الأسرة .

١ ـ قال تعالى: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾[2].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[3].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾[4].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿... فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنْ

---

١. الآية ٣٢ سورة النساء(٤).

٢. الآية ١٥ سورة النساء(٤).

٣. الآية ٢ سورة النور(٢٤).

٤. الآية ٣٨ سورة المائدة(٥).

الْعَذَابِ﴾[١].

ظاهر الآيات وسياقها تصرّح بحكم الزنا والسرقة وأنّه لا فرق بين الرجل والمرأة فكلّ منهما يُجلد مائة جلدة ويقطع يدهما مع شرائطها، ولعلّ المراد من الفاحشة التي يأتين بها هي التي تقع بين النساء المساحقة فإنّها غير الزنى وحكمه غير الحبس والإمساك في البيت، ولعلّ المراد من أن يجعل الله لهنّ سبيلاً هو الزواج والنكاح، وظاهر شهادة أربعة شهادات تضييق الأمر في مقام الإثبات.

وكلّ ذلك في الأحرار، أمّا المماليك والإماء، فإن أتين بفاحشة من زنى وغيره فعليهنّ نصف ما على المحصنات من النساء، وقد فصّل في الفقه والمفصّلات.

أمّا الرّمي ونسبة الفحشاء إليهنّ فهو ذنبٌ كبير وليس سهلٌ يسير، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

وأمّا إذا كان الرمي والنسبة بالنسبة إلى الزوجة فالأمر أشكل زائداً على اللّعن والعذاب عليها الملاعنة حتّى يثبت الأمر في الظاهر ويعاقب أحدهما، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٣].

والملاعنة هذه تمنع كلّ منهما عن الكذب، فإنّ قبول لعن الإلهي أو غضب الله عسير حتّى على الذين لا يبالون بما يقولون وما يُقال فيهم ومع ذلك كلّه لو رمى رجلٌ زوجته ثمّ لا عنها ولا عنت يدرء عنهما العذاب بلا إشكال وهما زوجان.

---

١. الآية ٢٥ سورة النساء(٤).

٢. الآية ٢٣ سورة النور (٢٤).

٣. الآيات ٦ ـ ٩ سورة النور (٢٤).

اختلاف الطبيعة

نعم هناك آيات ترشد إلى اختلاف طبيعة النساء والرجال في وضعها الجسميّة حسب ما جعل على عاتقها في نظام الخلقة ومنظّمة الحياة البشري فهي التي تحمل حملاً خفيفاً ثمّ إذا أثقلت تدعو الله تعالى.. وهي التي تتكامل النطفة في رحمها وتغذّيها بغذاء يناسب تلك المراحل وتهيّئ اللبن وهي أنسب الغذاء.

ولذلك تختلف بعض الأحكام لكلّ منها في العبادات وغيرها، قال تعالى:

١ ـ ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ   فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾[١].

ومن المعلوم أنّ نذرها كان لتحرير ما في بطنها ليكون خادماً للحرم والمسجد، والأنثى لها حالات وعادات لا يجوز لها أن تقف في المسجد، بل يسقط عنها الصوم والصلاة تقضي بعضه ولا قضاء للبعض، وهذا الاختلاف راجع إلى نظام خلق جسمها أحسن النظام، ومن ذلك أيضاً زمن الحمل وأيّامه كما ترى في إعجاب زكريا حيث دعا ربّه أن يعطيه ذرّية طيّبة فإذا بُشّر بيحيىٰ قال: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[٢].

وفي هذا الباب الراجع إلى ما تحمل كلّ أنثى وما تغيض الأرحام وما يخلق الله تعالى من ذكرٍ أو أنثى آيات كثيرة غير راجعة إلى النساء فقط، قال تعالى:

١ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[٣] الآية.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ

---

١. الآيتين ٣٥ و ٣٦ سورة آل عمران (٣).

٢. الآية ٤٠ سورة آل عمران (٣).

٣. الآيات ٦ ـ ٨ سورة الانفطار (٨٢).

ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً﴾[١].

فسبحان الله الخالق البارع المصوّر له الأسماء الحسنى، والحمد لله والله أكبر.

***

المحرمات من النساء

وممّا يترتّب على هذا النظام الطبيعي المقتضي للحمل والوضع وما يلزم من نظافة النُطَف وطهارة المولد والحفاظ على الخصائص الروحيّة والجسميّة في نظام التوارث التكويني ومسألة الأبوّة والبنوّة وكذلك الأمومة والأُسرة ودفع الفساد والفحشاء حرمة وحلّية آخرين، قال تعالى:

١ ـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾[٢] الآية.

وقبلها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ...﴾ الآية.

الحجاب للنساء

ومن ذلك لزوم الحجاب وآياته تحفّظاً على ذلك ودفعاً للفساد، قال تعالى:

١ ـ ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾[٣].

---

١. الآيتين ٤٩ ـ ٥٠ سورة الشورى (٤٢).

٢. الآية ٢٣ سورة النساء (٤).

٣. الآية ٣١ سورة النور (٢٤).

وقد فصّلنا الكلام فيها في فقه القرآن وفُصِّلَ في المفصّلات سيّما حول الآية الراجعة إلى حدود الحجاب، وقوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنْ النِّسَاءِ اللاَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحُ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾[١] التي تخيّل بعض أنّها استثناء من الحجاب وليس كذلك، وهناك معركة الآراء، فراجع.

ونشير إليها هنا بالاختصار موضوعاً وحكماً، أمّا موضوعاً ففي الكشّاف: القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها.

وفي المجمع: اللآتي قعدن عن التزويج، لأنّه لا يرغب في تزويجهنّ، وقيل هنّ اللآتي ارتفع حيضهن ولا يطمع نكاحهن.

وفي المسالك: هي العجائز التي قعدن عن الحيض والحمل. وقريب منهم ما عن غيرهم.

وفي رواية الصفّار... قال: ذكر الحسين أنّه كتب إليه يسأله عن حدّ القواعد من النساء التي إذا بلغن جاز لها أن تكشف رأسها وذراعها، فكتبﷺ: «**من قعدن عن النكاح**»[٢].

وقال صاحب المسالك ؛ بقي الكلام في شيء وهو أنّه تعالى جعل ذلك مباحاً لمَن لا يرجى منهنّ النكاح وذلك الحدّ غير معلوم، فإنّ الرجال والنساء متفاوت فيه كثيراً باعتبار ازدياد الشهوة.

هذا بالنسبة إلى النساء ومعنى قعودهنّ. وأمّا الثياب التي لا جناح أن يضعنها:

ففي الكشّاف: والمراد بالثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار.

وفي المجمع: يعني الجلباب فوق الخمار، وقيل يعني الخمار والرداء، وقيل ما فوق الخمار من المقانع وغيرها.

وفي الزبدة أُبيح لهنّ القعود بين يدي الأجانب في ثياب أبدانهن مكشوفة الوجه

---

١. الآية ٦٠ سورة النور (٢٢).

٢. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ١٤٧، كتاب النكاح، ابواب مقدماته و آدابه، باب ١١٠، ح ٥.

واليد، فالمراد بالثياب ما ذكرنا لا كلّ الثياب.

وفي مسالك الافهام: أي الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار.

وفي روايات الباب[١] محمّد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام: **«ما الذي يصلح لهنّ أن يضعن من ثيابهن؟ قال: «الجلباب» وفي الآخر الخِمار والجلباب وفي الثالث تضع الجلباب وحده وفي الرابع الجلباب إلّا أن تكون أمة.»**

وما هو الجلباب الذي يصلح أن يضعن؟

ففي المعجم الوسيط: الجلباب القميص والثوب المشتمل على الجسد كلّه والخمار، وما يلبس فوق الثياب كالملحفة والملاة تشتمل بها المرأة جمع جلابيب.

أقول: مقتضى جمع ذلك كلّه أنّ المقطوع من الثياب الذي يجوز وضعها لهن الجلباب فلا يجوز كشف الرأس والشعر قطعاً سيّما مع التوجّه إلى ذيل الآية: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

وفي الزبدة عن الكشّاف: غير مظهرات بزينة يريد الزينة الخفيّة التي أرادها في قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾... والاستعفاف من الوضع خيرٌ لهنّ.

قال: وفيه تأمّل والظاهر من سوق هذه الآية أنّ القاعدات من النساء مستثنيات من الحكم السابق الذي هو وجوب التستّر، و تحريم كشف الزينة الباطنة و مواضعها المتقدمة فلا يحرم عليهنّ كشف مواضع الزينة الباطنة المحرم على غيرهن ولكن بشرط ان لا تتبرج بزينة اى لا يقصد اظهارها[٣].

وأنت تعلم أنّ لمثل تلك الفتوى يقال له المحقّق الأردبيلي مع أنّه رحمه الله في العمل معروف بالمقدّس.

ولكن مع ذلك كلّه قال صاحب مسالك الافهام: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ غير قاصدات بوضع ثيابهن وإظهار زينتهن التي أمر الله تعالى بإخفائها في قوله: ﴿وَلَا

---

١. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ١٤٧، كتاب النكاح، ابواب مقدماته و آدابه، باب ١١٠، ح ١.

٢. الآية ٦٠ سورة النور (٢٤).

٣. الزبدة البيان، ص ٥٥٣.

يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ بل مجرّد التخفيف عن أنفسهن، فإظهار الزينة في القواعد وغيرهن محظور.

هذا كلّه ولكن بالتأمّل في كلمات الفقهاء والمفسّرين ترى أنّهم في طرفي النقيض، فمن المفسّرين فقال الشيخ في التبيان: ومع ذلك لا يجوز للعجوز أن تُبدي عورة لغير محرم كالسّاق والشعر والذراع.

وقال الأُستاذ في الميزان: والآية في معنى الاستثناء من عموم حكم الحجاب، والمعنى الكبائر المُسنّة من النساء فلا بأس عليهن أن لا يحتجبنّ.

ومن الفقهاء قال المحقّق الأردبيلي؅ في الزبدة بعد نقل أقوال المفسّرين: فإظهار الزينة في القواعد وغيرهن محظور، وأمّا الشابّات فإنّهن يمنعن من وضع الحجاب أو الخمار ويؤمرن بلبس أكثف الجلابيب.

وقال في آخر كلامه: والظاهر من سَوْق هذه الآية أنّ القاعدات من النساء مُستثنيات من الحكم السابق الذي هو وجوب التستّر فلا يحرم عليها كشف مواضع الزينة.

ومنشأ هذا الاختلاف الفاحش تعابير روايات الباب وتفاسير الثياب.

والحقّ الأقرب أنّ تخصيص أدلّة الحجاب مشكل والثياب الجلباب وهو ما يلبس فوق الخمار.

وقال صاحب الوسائل؅: أقول عدم وجوب الستر لا يلزم جواز النظر عمداً بالنسبة إلى الوجه والكفّين.

والاستعفاف بالحجاب خير ولا ينافي الاحتجاب مع جواز وضع ثياب الفوق مثل الجلباب فافهم.

النساء مسؤولات بأنفسهن

وممّا يدلّ على أنّ النساء مسؤولات بأنفسهنّ عمّا يعملن في الدُّنيا والآخرة وما هو

في طبيعتهن من الزواج وأعمق الروابط أي الزوجيّة وما عرفت من أحكامها والتكاليف الراجعة إليهن من طرفهن لا ينافي كونهن مكلّفات ومسؤولات بأنفسهن ولا يُغنينهنّ كونهن زوجةً لصالح العباد أو الطالح منهم.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[١].

فالآيات كما ترى لا تحتاج إلى شرح وتوضيح فإنّها بصراحتها تمثّل الكفر والإيمان فيهن متعاكساً امرأتين خائنتين تحت عبدين صالحين ونبيّين مرسلين تصرّح بقوله: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً﴾.

وقد ورد في آيات أُخر امرأة لوط أنّها كانت عجوزاً من الغابرين واستثنيت عن نجاة لوط وأهله بقوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[٢] وخيانتها أنّها كانت تخبر قوم لوط بضيوفٍ له كما فصّل في آيات الراجعة إلى قصّة لوط وقومه.

وأمّا المؤمنات فمقامهنّ ظاهر، فإنّ امرأة فرعون كانت آمنت بالله تعالى واليوم الآخر وتعبد الله تعالى وتُناجيه وتدعو بقولها: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾[٣] وهو كان يدّعي الإلوهيّة والربوبيّة. وقصّة مريم عليها و على ابنها السلام واضحة طاهرة فُصّل في آيات الباب.

---

١. الآيات ١٠ ـ ١٢ سورة التحريم (٦٦).
٢. الآية ٣٣ سورة العنكبوت (٢٨).
٣. الآية ١١ سورة التحريم(٦٦).

فصل آخر

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١].

الحكم المذكور في الآية لا يختصّ بالمهاجرات المؤمنات زمن صدر الإسلام والهجرة الأُولى من مكّة إلى المدينة فقط، بل في زماننا هذا إذا هاجرن من بلاد الكفر إلى الإسلام وإلى بلاد المسلمين ولو كانوا من أقلّيات في البلد، فكيف إذا هاجرن إلى عشّ آل محمّد عليهم السلام وإلى كهف بلاد الإسلام الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران بصفته البلد الذي يحكم فيه القرآن والعترة وسلطاته الثلاثة المقنّنة والإجرائيّة والقضائيّة لا تكون إلّا على الإسلام وأحكامه وعندما تكون شورى الناظر المراقب للشرع والقانون الأساسي الدستور المركّب من الفقهاء الستّة وعلماء الحقوق الستّة أيضاً.

فإذا هاجرن المؤمنات إلى البلد لابدّ من امتحانهن، فإن كُنَّ صادقات في إيمانهنّ وكُنَّ زوجات للكفّار من قبل فالإسلام والإيمان يقطع الزوجيّة ولا يؤخذ بعصم الكوافر إلى آخر ما في الآية من الأحكام. وتفصيل الكلام فيها ذكرناه في مجهودنا فقه القرآن في كتاب النكاح، فراجع.

وأمّا الآية الثانية عشر من السورة فهي وإن كانت راجعة إلى النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وقبوله بيعة النساء المؤمنات إذا جئن محضره ليُبايعن معه على ترك الذنوب وإطاعته، قال تعالى: ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢].

---

١. الآية ١٠ سورة الممتحنة (٦٠).

٢. الآية ١٢ سورة الممتحنة (٦٠).

ولكن عندنا الخطابات إلى رسول الله ﷺ قد يكون بعنوان شخصه الخاصّ بقرائن معيّنة، مثل الخطاب بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[١] الآيات، ومثل قوله تعالى: ﴿... وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، ومثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾[٣]. كما أنّ الخطاب إلى نساء النبيّ بذلك العنوان يختصّ بهنّ موضوعاً وحكماً، مثل قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾[٤].

ومثل: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنْ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾[٥].

وإسراء الحكم منهنّ إلى غيرهنّ بالأولويّة أو اشتراك التكليف، و قد يكون خطاباً إليه ﷺ بما هو وليّ الأمر وأولى بالمؤمنين من أنفسهم، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾[٦].

وكثير من الخطابات الراجعة إلى المسائل الحكومي التي ذكرناها في رسالتنا (محمّد ﷺ في القرآن والقرآن في محمّد ﷺ) فلا يختصّ به وإن كان ظاهر الخطاب نفسه

---

١. الآيتين ١ و ٢ سورة المزمّل (٧٣).
٢. الآية ٥٠ سورة الأحزاب (٣٣).
٣. الآية ٢٨ سورة الأحزاب (٣٣).
٤. الآية ٣٠ سورة الأحزاب (٣٣).
٥. الآيات ٣١ ـ ٣٤ سورة الأحزاب (٣٣).
٦. الآية ٣٧ سورة الأحزاب (٣٣).

الشريفة إلّا أنّه بشخصيّته الحقوقي النبوي أو الوليّ فما كان مصداقاً لعنوان الثاني يشمل كلّ وليّ وأمير للمسلمين إذا كان بحقّ.

وعليه فالأمر في قوله تعالى: ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ﴾ وإن كان الخطاب إلى نفسه الشريفة ولكن يشمل زماننا هذا، ونحن بحمد الله في نظام الحاكم الجمهوريّة الإسلاميّة المؤسَّسة بيد الإمام الراحل الأستاذ الأعظم المرحوم آية الله العظمى الخميني والمستدام بيد القائد الأقوم آية الله الخامنئي (أدام الله ظلّه الوارف) الفقيه الجليل المدير الهادي هذا النظام إلى التقدّم والشرف والفضيلة طيلة أكثر من عشرين سنة بأحسن التدبير سيّما في نشر معارف الإسلام وسعة نفوذ القرآن وسنن الله تعالى ورسوله والأئمّة الميامين عليهم السلام.

فإذا أردن النساء البيعة وتبعيّة النظام وجئن بمحضره لذلك فله أن يبايعهنّ وأن يستغفر لهنّ الله إنّ الله غفورٌ رحيم، مع ملاحظة جميع شرائط الزمان وأحكام الإسلام كما فصّلنا ذلك في مبحث الولاية من فقه القرآن، فراجع[١].

***

هذه خلاصة ما سوّدناه بعنوان النساء في القرآن، ولعلّ البحث يكون أبسط من هذا فهو على الذين يجدون الفرصة والمناسبة كثّر الله أمثالهم، والحمد لله أوّلاً وآخراً.

---

١. فقه القرآن، ج ٢، ص ١٦ إلى ٥٠.

خليفة الله في الارض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان من تراب وطين ثم جعل نسله من ماء مهين، ثم سوّاه وقدّره بأحسن تقويم، ثم الصلاة والسلام علىٰ خاتم النبيّين وسيّد المرسلين وعلىٰ آله الطاهرين الهداة المهديّين سيّما خاتمهم الإمام الغائب المنتظر لإقامة العدل والدين.

أما بعد: فإنك تعلم أن قصّة خلق آدم وزوجته حواء مع أنها من القصص والحكايات القرآنية، فهي تُعدّ من المعارف الهامّة وفيها الآيات الكبرىٰ، أُشير إليها في مواطن عديدة لابد من ملاحظتها جميعاً حتّىٰ نستخرج منها المستفاد والمتيقن.

نستمد في بحثنا هذا من الآيات في كثير من زواياها، وقد جمعناها اجمالاً فبلغت ٤٥ آية وهي الآيات المصرّحة في الباب مع الغمض عن سائر الآيات المشيرة إلى الأمر.

١ ـ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

٢ ـ ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ

---

١. الآية ٣٠ سورة البقرة (٢).

إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا ءَادَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[١].

٣ ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ... ﴾[٢].

٤ ـ ﴿وَقُلْنَا يَاءَادَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[٣].

٥ ـ ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ[٤] ﴾.

٦ ـ ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٥].

٧ ـ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[٦].

٨ ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ

---

١. الآيات ٣١ ـ ٣٣ سورة البقرة (٢).

٢. الآية ٣٤ سورة البقرة (٢).

٣. الآيتين ٣٥ ـ ٣٦ سورة البقرة (٢).

٤. الآية ٤٧ سورة آل عمران (٣).

٥. الآية ٤٩ سورة آل عمران (٣).

٦. الآية ٥٩ سورة آل عمران (٣).

ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[١].

٩ ـ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾[٢].

١٠ ـ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ ٱسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّاجِدِينَ ﴾[٣].

١١ ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً... ﴾[٤].

١٢ ـ ﴿ وَيَا آدَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾[٥].

١٣ ـ ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّاصِحِينَ * فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ * قَالَ ٱهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[٦].

١٤ ـ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[٧].

١٥ ـ ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم

---

١. الآية ١ سورة النساء (٤).
٢. الآية ٩٨ سورة الأنعام (٦).
٣. الآية ١١ سورة الأعراف (٧).
٤. الآية ١٩٨ سورة الأعراف (٧).
٥. الآية ١٩ سورة الأعراف (٧).
٦. الآيات ٢٠ ـ ٢٤ سورة الأعراف (٧).
٧. الآية ٢٦ سورة الحجر (١٥).

بَنِينَ وَحَفَدَةً... ﴾[١].

١٦ ـ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾[٢].

١٧ ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ... ﴾[٣].

١٨ ـ ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ * فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾[٤].

١٩ ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً... ﴾[٥].

٢٠ ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٦].

٢١ ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾[٧].

٢٢ ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذٰلِكَ

١. الآية ٧٢ سورة النحل (١٦).
٢. الآية ٦٥ سورة الإسراء (١٧).
٣. الآية ٥٠ سورة الكهف (١٨).
٤. الآيتين ١١٥ ـ ١١٦ سورة طه (٢٠).
٥. الآية ٥ سورة الحج (٢٢).
٦. الآيات ١٢ ـ ١٤ سورة المؤمنون (٢٣).
٧. الآية ٥٤ سورة الفرقان (٢٥).

لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١].

٢٣ ـ ﴿ ٱلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾[٢].

٢٤ ـ ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِن مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[٣].

٢٥ ـ ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً ﴾[٤].

٢٦ ـ ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾[٥].

٢٧ ـ ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٦].

٢٨ ـ ﴿ خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[٧].

٢٩ ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنكُم مَن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى

١. الآيتين ٢٠ ـ ٢١ سورة الروم (٣٠).

٢. الآية ٧ سورة السجدة (٣٢).

٣. الآيتين ٨ ـ ٩ سورة السجدة (٣٢).

٤. الآية ١١ سورة فاطر (٣٥).

٥. الآية ١١ سورة الصافات (٣٧).

٦. الآيات ٧١ ـ ٨٥ سورة ص (٣٨).

٧. الآية ٦ سورة الزمر (٣٩).

وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[١].

٣٠ ـ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً... ﴾[٢].

٣١ ـ ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا... ﴾[٣].

٣٢ ـ ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ * مِن نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾[٤].

٣٣ ـ ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ ٱلْجَانَّ مِن مَارِجٍ مِن نَارٍ ﴾[٥].

٣٤ ـ ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ * ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَالِقُونَ ﴾[٦].

٣٥ ـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾[٧].

٣٦ ـ ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾[٨].

٣٧ ـ ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾[٩].

٣٨ ـ ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِن مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَادِرُونَ ﴾[١٠].

---

١. الآية ٦٧ سورة غافر (٤٠).

٢. الآية ١٥ سورة الأحقاف (٤٦).

٣. الآية ١٣ سورة الحجرات (٤٩).

٤. الآيتين ٤٥ ـ ٤٦ سورة النجم (٥٣).

٥. الآيتين ١٤ و ١٥ سورة الرحمن (٥٥).

٦. الآيتين ٥٨ ـ ٥٩ سورة الواقعة (٥٦).

٧. الآية ٢٣ سورة الملك (٦٧).

٨. الآيات ٣٧ ـ ٣٩ سورة القيامة (٧٥).

٩. الآية ٢ سورة الانسان (٧٦).

١٠. الآيات ٢٠ ـ ٢٣ سورة المرسلات (٧٧).

٣٩ ـ ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً ﴾[١].

٤٠ ـ ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾[٢].

٤١ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾[٣].

٤٢ ـ ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَائِبِ ﴾[٤].

٤٣ ـ ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ ﴾[٥].

٤٤ ـ ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[٦].

٤٥ ـ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾[٧].

الناظر إلىٰ هذه الآيات المستظهر من ظواهرها، يعلم أن الله تعالىٰ أراد أن يجعل في الأرض خليفة لنفسه أي مظهراً لقدرته وحياته وعلمه وإرادته، وفي كلام واحد: آيةً لوجوب وجوده المطلق.

كما أنّ ظاهر هذه الآيات أن هذا الخليفة يكون في الأرض مادامت الأرض أرضاً تتبعها السموات في نظام وجودها، فإنه تعالى لم يذكر مدة لهذا الجعل، حتى يكون في زمن معيّن ولذلك نسأل هل المجعول خليفة هو آدم (أبو البشر) أو الإنسان مطلقاً (أي أبناؤه وبناته) أو هما معاً وهي الطبيعة التي توجد بوجود فرد وتنعدم بانعدام جميع أفراده؟ ولابد لمعرفة الجواب من الاستظهار من الآيات كما سيأتي.

---

١. الآية ٨ سورة النبأ (٧٨).

٢. الآيات ١٧ ـ ٢٠ سورة عبس (٨٠).

٣. الآيات ٦ ـ ٨ سورة الانفطار (٨١).

٤. الآيات ٥ ـ ٧ سورة الطارق (٨٦).

٥. الآيتين ٨ ـ ٩ سورة البلد (٩٠).

٦. الآية ٤ سورة التين (٩٥).

٧. الآيتين ١ - ٢ سورة العلق (٩٦).

وكيف كان: فإن الله تعالى قد أظهر الإرادة للملائكة وقال لهم: إني جاعل في الأرض خليفة، فانبثق لهم السؤال عن الغرض النهائي فقالوا: نحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك، أما الخليفة في الأرض ـ بمقتضى كونه أرضيّاً أو لما كانوا قد رأوا مثله سابقاً في الأرض ـ فيفسد فيها ويسفك الدماء، وذلك ينافي الخلافة؟ فأجابهم الله تعالىٰ: إني أعلم ما لا تعلمون.

ولئن كان الجواب كليّاً لم يفهم الملائكة منه شيئاً، إلا أن في ذلك الجعل رمزاً وحِكمة لا يعلمها إلا الله تعالىٰ.

ثم بعد الإرادة أخذ الله تعالى بيد قدرته قبضة من التراب، ومعنى ذلك أن قبضة التراب أُخذت من هذه الأرض، التي نعيش عليها وإن لم يُعلم من أيّ نقطة كانت، هل من الأرض السهلة أو السبخة، إلا أن من المسلّم أنها كانت من تراب الأرض دون الحجر والمدر. ومعنى التراب ظاهر، ذو أجزاء غير متماسكة ينتشر بسهولة ويفترق بهبوب الريح الخفيفة، ولذلك صبّ الله عليه الماء حتى صار طيناً. ولا نعرف أيضاً هل كان ذلك الماء من العذب الفرات أو الملح الأجاج، إلا أن الثابت أنه كان ماءً جعل أجزاء التراب متماسكة واختلط على حدّ لا تتمكن الريح الخفيفة من تفريق أجزائه وإن أمكنه الجفاف. ثم الطين هذا صار لازباً شديد التماسك بحيث كان يفتقر إلى يد القدرة ليأخذ سلالةً وخلاصةً أو قسماً منه حتى يجعل في طرف وقسمه الآخر في الطرف الآخر.

ثم تُرِك هذا الطين اللازب على الأرض تطلع عليه الشمس وتغرب ويدور عليه الليل والنهار طيلة سنين إلى أن صار مسنوناً وما يصدق عليه أنّه طين لازب مسنون قد أثّرت عليه العوامل من النور والظلمة فتصلّب دون الحدث الجديد. ثم إن هذا الطين المسنون المطبوخ بحرارة الشمس ونور القمر وملاحظة مدارات النجوم طال عمره إلى أن صار جافاً صلصالاً كالفخّار. ثمّ سوّاه الله تعالىٰ وجعله سويّاً متناسب الأجزاء والأعضاء ذا شكل وصورة كالتمثال المجسم، واستعدّ لقبول روح وحياة

تناسبه وتخرجه عن كونه جسماً فقط وتجعله بشراً سويّاً. فنفخ الله تعالىٰ فيه من روحه فصار إنساناً حيّاً يدرك ويبصر ويسمع وينطق ويمشي على الأرض برجليه. والروح هذه من أمر الربّ تعالىٰ، وأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وبأمره جعل له عينين ولساناً وشفتين و هداه النجدين، كما جعل له السمع والبصر والفؤاد وكلّ اولئك كان عنه مسؤولاً.

وعندئذٍ أي عند ما صار بشراً سويّاً يقول ويسمع ويبصر ويرى ويفهم ويعلم، أمر الله تعالى الملائكة أن يقعوا ساجدين له ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1]. ومن المعلوم أن هذا الأمر لم يكن جزافاً بلا مصلحة، بل كان مثل جميع أوامر الله تعالى ونواهيه ذا حكمة ومصلحة لا أقل من إعلام الملائكة سرّ جعل الخليفة وتوضيح قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2] وما هو الأمر الذي يعلمه الله تعالىٰ وهو لا يعلمونه؟

ولعل هذا هو الروح الإلهي الذي نفخ فيه، فإنه من عالم الأمر الذي لا يحتاج إلى مادة ومدّة وهو غير التراب والطين، الذي يحتاج إليهما.

وبعد ولوج الروح التي عرفت، صار التمثال المجسم آدمياً وإنساناً بأمر الله تعالىٰ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * قَالَ يَا ءَادَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[3].

وظاهر ذلك التكليف بأن يُعظّموه ويوقّروه لم يكن لكونه خُلق من تراب وطين، بل لما اشتمل على روح الله وأمره وهو الحقيقة التي بها يكون كل إنسان إنساناً، وتلك

---

١. الآية ٧٢ سورة ص (٣٨).

٢. الآية ٣٠ سورة البقرة (٢).

٣. الآيات ٣١ ـ ٣٣ سورة البقرة (٢).

الحقيقة هي التي تستحقّ التكريم والتعظيم، ولذلك سجد الملائكة كلّهم أجمعون إلا إبليس أبىٰ واستكبر وكان من الكافرين، فقيل له: أستكبرت أم كنت من العالين؟ قال: أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين. أأسجد لمن خلقت طيناً؟ فاستدلّ على استعلائه واستكباره بأن النار أنور من الطين وليس يليق تواضع النور للظُّلمة، مع غفلته عما نُفخ فيه من أمر الربّ وروحه وهو أنور من كلّ نور، فآدم صاحب نور أشدّ ضوءاً من كلّ نار، فكيف من مارج منها!

وتمّ القول بأن الملائكة سجدوا كلهم، وأما إبليس فكان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه، فقال له ربّه: إنك رجيم وإن عليك لعنتي إلىٰ يوم الدين. قال (إبليس): ربّ فأنظرني إلىٰ يوم يبعثون. قال (الله تعالى): فإنّك من المنظَرين إلىٰ يوم الوقت المعلوم. قال (إبليس): فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلَصين، كما في الآيات.

وصريح الآيات أن ابليس كان من الجن خُلق من مارج من نار وكان يعيش على الأرض التي خلق منها آدم وعصى ربّه، لذلك استكبر عليه وصار بذلك رجيماً ملعوناً مبعداً عن رحمة ربّه، فكره آدمَ وصار له عدوّاً مبيناً، ولذلك استنظر ربّه وطلب الفرصة للانتقام وإغواء آدم وبنيه، وأقسم بعزّة الله تعالى أن يغويه وبنيه، وأُجيب بالحق: لأملأنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين.

ثمّ الله تعالىٰ بعد ما خلق آدم على الأرض ونفخ فيه من روحه، جعل له من ذلك النفس الواحد زوجها ليسكن إليها: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾، وهي حوّاء زوجة آدم. وكان إبليس عدواً لهما، ولذلك قال الله تعالىٰ عند ما أمر آدم أن يسكن وزوجه الجنّة: ﴿ يَاآدَمُ إِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾.

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّاصِحِينَ * فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا

يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ * قَالَ ٱهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[١].

وظاهر الآيات كما ترىٰ أن القصّة وقعت على سطح الأرض التي نعيش عليها نحن أبناء آدم وبناته، وأنّ الجنّة التي أمر الله تعالىٰ أن يسكن آدم وزوجته كانت على الأرض هذه، والشجرة التي نهاهما عن التقرب منها كانت قد نبتت من الأرض في تلك الجنة بعد الأمر بأكلهما من هذه الجنة ما اشتهيا من فواكهها وثمارها ومائها حيث شاء.

والشيطان الذي دلّاهما بغرور وقاسمهما كذباً كان هو إبليس الذي استكبر وأبىٰ أن يسجد لآدم وصار مرجوماً ملعوناً وأقسم بعزة ربه أن يغوي آدم وبنيه، وكان من الجن ساكناً في الأرض هذه فدخل الجنة التي أُسكن فيها آدم وحوّاء، والجن يسهل له أن يرد أو يخرج ـ حسب طبع خلقته اللطيفة الناريّة ـ فيما يصعب على آدم وبنيه.

والخروج لم يكن الّا عن هذه الجنة بعد ما عصى آدم ربه بإغواء الشيطان وإن كان قد عُبّر عنه بالهبوط الظاهر في كونه من النقطة العالية علىٰ هذه الأرض التي كانت الجنة عليها دون غيرها من السموات أو أرض أخرىٰ.

وقد عرفت أن الطين لا يتصف باللزوب وكونه مسنوناً إلّا بعد مضيّ السنوات عليه، وذلك لا يتحقق إلا بمضي الشهور والأسابيع والأيام والليالي، وذلك كله لا يتحقّق إلّا علىٰ ساحة الأرض.

وكذلك تسوية الطين وأخذ سلالة منه إلىٰ أن يستعدّ لقبول نفخ الروح فيه من أمر الربّ، كلّ ذلك كان على الأرض، ولم يدلّ دليل على رفع آدم منها قبل حلول الروح ولا بعده وإن ارتفع مقامه ودرجته بهذه الروح التي صار بها التمثال المجسم آدمَ

---

١. الآيات ٢٠ ـ ٢٤ سورة الأعراف (٧).

وخُلقت منها زوجته حوّاء[1] وبذلك الروح صحّ تكليفهما وأن يسكنا الجنة ولا يقربا هذه الشجرة، وصحّ مكالمة الشيطان معهما وقسمه لهما حتّىٰ غويا وتقرّبا من الشجرة.

هذا ولم يذكر الله تعالىٰ لهذه الجنة وصفاً خاصاً وهل هي جنّة الخلد أم جنّة النعيم أم جنّة الفردوس أو غير ذلك، بل ذكر الجنّة مطلقاً. وظاهر ذلك أنها كانت من جنّات الأرض التي نرىٰ مثلها في نقاط مرتفعة من غير دخل للإنسان في إحداثها وغرس أشجارها وجري أنهارها كما في رؤوس الجبال إلى بطون الأودية.

نعم إنهما عند ما دخلا هذه الجنة كانا مستوري السوأة والعورة، ولعله كان بجلد البشرة الشاملة تمام هيكلهما (كما قد يتفق في أبنائهما في هذا الزمان).

ولا نعلم ما هي الشجرة الممنوعة وماذا كانت ثمرتها، ولكننا نعلم أنها كانت شجرة ولا يصدق على مثل البرّ والشعير أنه شجرة.

والمتيقّن من الحادثة أن ثمرة هذه الشجرة كانت على وجه إذا أكلا منها تحركت فيهما الشهوة الجنسيّة على وجه ارتفعت وزالت السترة المرخاة على الآلة فبدت سوءاتهما واشتدت علاقة كلّ منهما بالآخر، زائداً على الاستيناس ورفع الوحشة الناشئة عن التفرّد والخلوة، ولذلك تغشّاها فحملت حملاً خفيفاً وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة، مع أنه لم يكن هناك ناظر محترم غيرهما بل الحياء والعفة كلّفهما ودفعهما إلى كسب الستر.

ولعل ذلك كان من أول الأمر مقدّراً محتوماً حتى يتحقق استقرار الخليفة في الأرض ودوامه، ولذلك دخل الشيطان في الجنة ولم يُمنع ـ كما مُنع الجن من استراق السمع من السماوات ـ فوسوس لهما وقاسمهما كذباً كما سمعت، فأكلا من الشجرة،

---

١. وهذا هو الروح هو الذي أُجيب لمريم عليها السلام عند ما قالت: ﴿ربِّ أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر؟ قال: كذلك الله يخلق ما يشاء، إذا قضىٰ أمراً فإنّما يقول له كن فيكون وهو﴾ الأمر الذي قال عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله﴾ (آل عمران الآية ٤٩) بل هو أمر نفس عيسى عليه السلام: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون﴾ (آل عمران، الآية ٤٩).

وعندئذٍ قيل لهما وللشيطان اهبطوا جميعاً واخرجوا من الجنّة وظاهر الهبط كما قلنا: أن الجنة كانت على نقطة مرتفعة من الأرض ثم قيل لهم: لكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين. وذلك لا يدلّ على أن الجنة كانت في السماء وأنّ الخروج والهبوط كان من السماء إلى الأرض، فإن الواقعة في جميع مراحلها كانت على الأرض. ولم يدلّ دليل على أن الهبوط من السماء. والجنة مطلقة، فتصدق على جنان الأرض كما لا يخفى.

ثمّ جعل الله نسل آدم نسباً وصهراً ومن ماء مهين. فإن آدم لما تغشّى حوّاء ﴿ حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَعَوَا ٱللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ ﴾[١].

إلى أن وضعت حملها، وهكذا ذكراناً وإناثاً، تكاثر أولادهما ودار بينهم الزواج فإذا هم بشر ينتشرون.

يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً ﴾[٢].

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَائِبِ ﴾[٣].

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِن مَاءٍ مَهِينٍ ۞ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾[٤].

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾[٥].

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾[٦].

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً

---

١. الآية ١٨٩ سورة الأعراف (٧).

٢. الآية ٥٤ سورة الفرقان (٢٥).

٣. الآيات ٥ ـ ٧ سورة الطارق (٨٦).

٤. الآيات ٢٠ ـ ٢٢ سورة المرسلات (٧٧).

٥. الآية ٢ سورة الانسان (٧٦).

٦. الآيات ٣٧ ـ ٣٩ سورة القيامة (٧٥).

فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ... ﴾[١].

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ﴾[٢].

ثم إنك تعلم أن نظام حياة الإنسان بعد ذلك قام على المصاهرة والتناسل وتزايد انتشار أبناء آدم على سطح الأرض بعد خروج كلّ منهم طفلاً، فنهم من يبلغ الأشدّ والشباب، ومنهم من يتوفى، ومنهم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً، كما عبّرت الآيات الكريمة.

فقد تبيّن لك مما تقدّم أمورٌ:

الأوّل: أن آدم أبا البشر خُلق من تراب وماء وطين لازب وصلصال كالفخار، وجعل تمثالاً مجسّماً منتخباً وسلالة من ذلك الطين، ثم نفخ فيه من روح الله من عالم أمر الله الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وبذلك الروح صار بشراً سوياً يملك عينين ولساناً وشفتين وسمعاً وبصراً وفؤاداً، وكلّ اولئك كان عنه مسؤولاً، أي أصبح ذا إرادة واختيار، فصحّ تكليفه، لدخوله الجنّة.

الثاني: أن حوّاء زوجة آدم خُلقت من نفس واحدة، فجسمها من جسمه وروحها من روحه، فهي من نوع آدم ولها ما له وعليها ما عليه.

الثالث: أن آدم وزوجته أُمرا أن يدخلا الجنّة وأن لا يقرّبا الشجرة، فلمّا دخلا وسوس لهما الشيطان وقاسمهما أنّه لهما لمن الناصحين، ودلّاهما بغرور، فعصى آدم ربه وكذلك زوجته وأكلا من الشجرة.

الرابع: أن الجنّة المذكورة كانت علىٰ وجه هذه الأرض ومن جنّاتها، ويستظهر من كلمة الهبوط أنها كانت في نقطة مرتفعة، وبعد إغواء الشيطان واقترابهما من الشجرة قيل لهم اهبطوا جميعاً فأُخرجوا منها.

---

١. الآيتين ١٣ ـ ١٤ سورة المؤمنون (٢٣).

٢. الآية ٥ سورة الحج (٢٢).

الخامس: بعد اقترابهما من الشجرة وبدو سواتهما وظهور آلاتهما، تغشّىٰ آدم زوجته فحملت، وكان ذلك في الجنة أو بعد خروجهما أي خارج الجنة على الأرض وبعد وضعها الحمل وتكرار ذلك وتزايد الأبناء والبنات دار بينهم (أي بين أبنائهما) الزواج وجرىٰ نظام التوالد والتناسل وإذا هم بشر منتشرون على سطح الأرض.

السادس: أن إرادة الله تعالىٰ قد تعلّقت بأن يجعل في الأرض خليفة، وقلنا إن ظاهر ذلك مادامت الأرض أرضاً، فلابد أن يكون الخليفة المجعول من طبيعة آدم وحواء أبوي نوع البشر، وهذه الطبيعة قد وُجدت بوجود آدم وحواء ودامت بوجود أبنائهما، ومادام على الأرض إنسان فالخليفة موجود.

السابع: أن هذه الطبيعة التي توجد بوجود فرد وتنعدم بانعدام جميع الأفراد، هي طبيعة ذات عرض عريض، من الأنبياء والأولياء والعلماء والشهداء وعباد الله الصالحين، إلى الأشرار والطغاة والظلمة والفسّاق والفجّار، فإنهم كلهم بشر أبوهم آدم وأمّهم حوّاء.

الثامن: إذا كان لابد أن تتحقق هذه الإرادة الإلهية بأن يكون على الأرض خليفة والخليفة لا يكون إلا من كان مظهراً لصفاته بل عاملاً بأعماله وقادراً على معاونته بقدرته المعطاة له، ولا يوجد ذلك في الطغاة والظلمة قطعاً، فلابدّ أن يكون من بين الصلحاء وعباد الله المخلصين، الذين لا ولن تنالهم يد الشيطان.

التاسع: إنّ القصّة أدلّ دليل علىٰ أن خليفة الله ووليه موجود على الأرض وبين الناس مادامت الأرض أرضاً ومادامت السموات تبعاً ومادام البشر موجوداً.

العاشر: فنتيجة البحث بعد حلّ مشاكل سطحية قبال الإيمان بالقدرة المطلقة وعالم الأمر وأن الروح كان من ذلك الأمر في خلق آدم ونسله وأبنائه وبناته، اتّضح أنّ خليفة الله هو أفضل الأفراد منهم الواجد طبيعة البشر والإنسان من ناحية وكذلك هو واجد لما هو مقتضى الخلافة وكونه مظهراً لإرادة الله تعالىٰ وقدرته وحياته وعلمه وجميع كمالاته.

وهذا هو الذي نعتقد بوجوده وحضوره بين الناس من أبناء خير البشر وإن كان غائباً عن نظرهم ومعرفتهم فهو يراهم وهم لا يرونه. وعلىٰ ذلك لا يمكن خلوّ الأرض منه وإلّا لم تتحقّق إرادة الله تعالىٰ التي قالها للملائكة ﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾ ولم يكن المراد في زمن محدود مثل حياة فرد من الإنسان وإن كان أبا البشر. فمقتضى الآية وتحقّق إرادة الله تعالىٰ وجود خليفة لله علىٰ سطح الأرض وساحتها مادامت الأرض، وهو في زماننا الإمام الثاني عشر عجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف.

والحمد لله أوّلاً وآخراً علىٰ ما هدانا، وما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا الله.

وهناك رواياتٌ في الباب تصرّح بمفاد الآيات وتدلّ علىٰ أنّ الجنّة كانت في الأرض نشير الى بعضها:

١ ـ قال ابن بشّار عن الصادق عليه السلام سألته عن جنة آدم فقال: **«جنة من جنان الدنيا يطلع عليها الشمس و القمر و لو كانت من جنان الخلد ما خرج منها ابدا».**[١]

٢ ـ ابى رفعه قال سئل الصادق عليه السلام عن جنة آدم امن جنان الدنيا كانت ام من جنان الآخرة؟ قال: **«كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس و القمر و لو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها ابداً».**[٢]

قال المجلسى تبيان اختلف فى جنة آدم عليه السلام هل كانت فى الارض ام فى السماء و ذكر لكل من القولين ادلة و اجوبة ثم قال فالجزم باحد المذاهب لا يخلو من اشكال و الله تعالى يعلم.[٣]

اقول لا اشكال فى الجزم على انها كانت فى الدنيا مستدلاً بظاهر الآيات و صريح الروايات و لا ينافى ظهور الهبوط كما اشرنا من قبل و استعمل الهبوط فى الوروده كما فى قوله تعالى اهبطوا مصراً.

---

١. بحارالأنوار، ج ١١، ص ١٤٣، ح ١٢ عن علل الشرايع.

٢. بحارالأنوار، ج ١١، ص ١٤٣، ح ١٣.

٣. بحارالأنوار، ج ١١، ص ١٤٤، ح ١٤.

۳ ـ و بالاسناد عن ابن ابی عمیر عن هشام بن سالم عن الصادقؑ... **و قال فی قوله تعالی فبدت سؤاتهما کانت سئواتهما لاتری فصارت تری بـارزة و قـال الشجرة التی نهی عنها آدم هی السنبله.**[۱]

۴ ـ داود السرحان العطار قال: **کنتُ عـنه ابـی عـبداللـهؑ فـدعا بـالخوان فتغدینا ثم جائو بالطشت و الدست شویه، فقلت جعلت فداک قوله و علّم آدم الاسماء کلّها الطشت و الدست شویه، فیه فقال الفجاج و الاودیة و اهوی بیده کذا و کذا.**[۲]

۵ ـ عن ابی عبداللهؑ **فی قول الله تعالی فبدت لهما سؤاتـهما قـال کـانت سؤاتهما لا تبدو لهما فبدت یعنی کانت من داخل.**[۳]

۶ ـ فی خبر ابن سلام انه سأل النبیﷺ عن آدم لم سمی آدم؟ **قال لانه خلق من طین الارض و ادیمها قال فادم خلق من الطین کله او من طین واحد؟ قـال بـل خلق من الطین کلّه الحدیث.**[۴]

و غیرها من الروایات المشیرة الی جهات اخری من القصة[۵]

و انت تری تصریح الرسولﷺ و الامامؑ بان آدم خلق مـن ادیم الارض الی تراب سطحها و اقسام التراب و ان الجنة کانت من جنان الدنیا مستدلاً بانها لو کانت من الآخرة ماخرج منها ابداً و ان سئواتهما ای عوراتهما و آلتی الذکورة و الانوثة کانتا فی داخل بدنهما مستورة لاتری فبدت و صارتا بارزة و طفقا یخصفان علیهما من ورق الجنة حیاءً و اوراق جنة الدنیا مما یمکن التستر بها و لنختم البحث بکلام عن الاعلام

---

۱. بحارالأنوار، ص ۱۴۵.
۲. بحارالأنوار، ص۱۴۷ الفجاج جمع الفج الطریق الواسع الواضح بین الجبلین.
۳. بحارالأنوار، ص۱۸۹.
۴. بحارالأنوار، ج۷۷، ص۲۳۹ و ج۱۱، ص۱۰۱.
۵. مثل ما عن العلل. فی سئوال نفرین من الیهود عن رسول اللهﷺ مـسائل کـان فـیها عـلة تـوضوء الجـوارح الاربعة، بحارالأنوار، ج۷۷، ص۲۲۹.

الطوسى فى التبيان و اساتذتنا الطبائى فى الميزان و الخمينى فى اسرار الصلوة.

قال فى التبيان: ان النهى كان على وجه التنزيه و الاولى ان يكون على وجه الندب دون نهى الحضر و التحريم لان الحرام لا يكون الا قبيحاً و الأنبياء لا يجوز عليهم القبايح لاكبيرها و لا صغيرها لا يقع الا سهواً قال يوم وقع خطاءه نهى عن جنس الشجرة فظن انّه نهى عن شجرة معينة.[1]

و قال صاحب تفسير الميزان؛ الغيّ خلاف الرشد بمعنى اصابة الواقع و هو غير الضلال الذى هو الخروج عن الطريق.[2]

و قال الامام الراحل مؤسس جمهورية الاسلامية فى ايران الاستاذ الاعظم الخمينى؛ فى اسرار الصلوة:

«خطيه‌ى آدم؛ با آن‌كه از قبيل خطيئات ديگران نبوده بلكه شايد خطيه‌ى طبيعيّه بوده يا خطيه‌ى توجه به كثرت كه شجره‌ى طبيعت است بوده يا توجه به كثرت اَسمائى پس از جاذبه فناى ذاتى بوده. لكن از مثل آدم، كه صفى الله است و بخصوص بر قرب و فناى ذاتى است متوقع نبوده لهذا بمقتضاى غيرت حُبّى ذات مقدس حق اعلان عصيان و غوايت او را در همه‌ى عوالم و در لسان همه‌ى انبياء؛ فرموده با اين وصف كه اين همه تطهير و تنزيه لازم است براى خود و ذريه‌اش كه در صلب او مستكن بودند و در خطيئه شركت داشتند، بلكه پس از خروج از صلب نيز شركت نمودند. پس خطيه‌ى آدم و آدم زادگان را چنان‌چه مراتب و مظاهرى است، چنان‌چه اول مرتبه آن توجه به كثرت اَسمائيّه و آخر مظهر آن اكل از شجره منهيه است كه صورت ملكوتى آن درختى است كه در آن انواع اثمار و فواكه است و صورت مُلكى آن طبيعت و شئون آن است و حب دنيا و نفس كه اكنون در اين ذريه است از شئون همان ميل به شجره و اكل آن است.

١. ذيل آية ١١٦ من سورة طه (٢٠).

٢. ذيل قوله تعالى: ﴿فعصىٰ آدم ربه فغوى﴾.

از این بیان معلوم شد که جمیع انواع معاصی قالبی ابن آدم از شئون اکل شجره است و تطهیر آن به طوری است، و جمیع انواع معاصی قلبیه آن‌ها نیز از شئون آن شجره است و تطهیر آن به طوری است، و جمیع انواع معاصی روحیه از آن و تطهیر آن به طوری است. انتهی».

اقول: من المعلوم ان آدم ابوالبشر خلق من جسمٍ ترابی و روح امری الهی قال تعالی: ﴿ان مثل عیسی عندالله کمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له کن فیکون﴾[1] و نفخ الروح فی جسمه امره تعالی کن و مقتضی کل من الأمرین امر لا یخفی و مقتضاها جواز التکلیف و امکان الاطاعة و العصیان الا ان الأمر کلما کان قریباً من الله تعالی یکون الاطاعة و العصیان بالنسبة الیه کما تعلم حسنات الابرار سیّئات المقربین فالتکلیف بالدخول مع روجته الجنة و النهی عن التقرب الی الشجرة فکیف الأکل منها بالنسبة الی آدم صفی الله غیر التکلیف بابنائه و بناته الذین تولد منه و من حوّاء بمراتبهم فظاهر الآیات یعطی شیئاً و باطنها امراً آخراً سیما ما ذکره الاستاذ الاعظمﷺ من معنی العصیان بالتوجه الی کثرة الاسمائیة و غیرة حب الذات فی الله تعالی المنشاء الاعلام العصیان. و الله العالم بحقائق الأمور.

محمّد الیزدي
۶/آبان/۱۳۸۲
۲/رمضان/۱۴۲۴

---

۱. الآیة سورة آل عمران (۳).

مالک او ملک

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم رسله محمّد وآله الطاهرين، وبعد.

قد يتّفق الوضع عن مسألة فقهيّة بمناسبة عارضة ويذكر فيها المباحث المفيدة وينسى بترك كتابتها مع أنّها مفيدة على الأقل للصف الأوّل من الطلّاب والمحصّلين، فعزمتُ على ضبطها في هذه المجموعة.

ومن ذلك ما رأينا من رسالة الفقيه الحكيم ملّا إسماعيل الخاجوئي الأصفهاني حول مسألة قراءة مالك يوم الدّين أو ملك يوم الدّين في الصلاة، وقد ذكر أنّه أفتى بعض في دهره بعدم جواز قراءة ملك وحكم بإعادة الصلاة فأجابه برسالةٍ أنيقة علميّة عالية وقال في آخرها: وغرضنا من نقل هذا الكلام في هذا المقام هو الإشارة إلى أنّ أهل دهرنا هذا لا يراعون شرائط الإفتاء والاستفتاء ولا يخافون من مؤاخذة جبّار الأرض والسماء فيستفتون وهم ضالّون ويفتون وهم ظالمون. وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون.

أقول: وفي دهرنا هذا أيضاً سنة ثمانية وعشرين وأربعمائة بعد الألف من الهجرة نسمع ونرى في الحوزة المقدّسة بقم يفتون بما لم يفت أحد من الفقهاء طيلة قرون من مساواة دية الرجل والمرأة. أعاذنا الله من شرور أنفسنا.

وكيف كان حيث لم نجد حكم الفرع المذكور واشتغل ذهني القاصر بما لم يتعرّض

الفقيه صاحب الرسالة فراجعنا وانتهينا إلى، ترى محصّله مكتوباً بدويّاً لعلّه كان ينفع لطرح البحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إشكال في أنّ القرآن الذي نزّل الله على قلب رسول الله ﷺ وقد أبلغه إلى أُمّته بتلاوته عليهم وإسماعهم واستماعهم من شفتيه، وكتبه كتّاب الوحي لم يكن إلّا بحرف واحد بقراءة واحدة في الآيات والكلمات واللّغات والحركات و... وقد صرّح بذلك رواية فضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ الناس يقولون إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف، فقال: **«كذبوا أعداء الله ولكنّه نزل على حرف واحد من عند الواحد»**[١].

وفي رواية أُخرى: **«ولكن الاختلاف يجيئ من قبل الرواة»**[٢]، ويؤيّد ذلك الاعتبار فإنّ ما صدر عن العلم المطلق الإلهي وتنزّل حتّى سيق في حروف وكلمات وآيات وسور عندما سيق فيها حتّى يتمكّن الرسول من أخذه وقبوله وحفظه وأدائه وبيانه للناس ونقله على عباد الله تعالى لم يكن ولا يمكن إلّا بحرف واحد في سياق واحد. ثمّ بعدما أوحى إلى النبيّ ﷺ وتلى رسول الله ﷺ على الناس لم يكن ولا يمكن إلّا بحرف واحد في تلاوة واحدة وقراءة الأوّل مرّة واحدة، فصدر من بين شفتيه بذلك الحرف الواحد إلّا أن يثبت تكرّر قرائته وتلاوته كلّ بحرف غير تلاوته الأوّل كما قد يستظهر من تواتر القرآءات السبعة من القرّاء وإثبات ذلك دونه خرط القتاد. ثمّ انتقل إلى قلوب المسلمين وأذهانهم من ناحية القرّاء والكتّاب بخطوطهم المختلفة المتشابهة في كثير من الكلمات وألحانهم المتغايرة سيما في الكيفيّات من المدّ والسكون والحركة مع التوجّه إلى الشروط والظروف في تلك الأزمان بالأخصّ حول الرسول ﷺ والحواريّين من العلم والكتابة و وسائل التعليم والتخطيط وأجهزة تلك العصور

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٦٣٠، نقل عن رسالة الفقه ملّا إسماعيل، ج ٣ نصوص و رسائل.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٦٣٠، نقل عن رسالة الفقه ملّا اسماعيل، ج ٣ نصوص و رسائل.

والقرون، ولكن كان الرسولﷺ يوصي بالكتابة والحفظ والمراقبة على حدّ كان يجب على كثير منهم ذلك وكان يجب على المسلمين الحفاظ عليه، وكان من أعرف الكتّاب الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام وبذلك استمعوا وانتقل من جيل إلى جيل، وقصّة جمع القرآن في زمن عثمان وكتابته على خطوط أربع وإرسال كلّ نسخة إلى بلد عظيم من مكّة والمدينة والكوفة والشام معروفة.

فإذا سمعنا الاختلاف في بنية كلمة أو حركتها مثل «مالك وملك»، عدّل وعَدَل، يطهرن ويطّهرن وغير ذلك فلا إشكال في أنّها حصلت في مرحلة النقل والكتب والخط ومن ناحية الرواة والكتّاب عندما انتقل من الصحابة إلى التابعين ومنهم إلى الباقين فاشتهر منهم سبعة وادّعى التواتر في قرائتهم وهم: نافع بن أبي نعيم المدني، عبد الله بن كثير المكّي، أبو عمرو بن علاء البصري، عبد الله بن عامر الدمشقي، عاصم بن أبي النجود، حمزة بن حبيب الزيّات، وعلي بن حمزة النحوي[1]، ولم يثبت التواتر في قرّاء الآخرين، وعندئذٍ يجوز القراءة بإحدى القرآءات السبعة المتواترة الظاهرة في أنّها قرآن في الصلاة وفي غيرها ويجوز الاستدلال بها على الأحكام دون سائر القرآءات الشاذّة كما ذكره الأصحاب، ولولا التواتر لما جاز قرائتها في الصلاة ولا في غيرها ولم يتمّ الاستدلال بها في استظهار الأحكام لعدم الحجّية .

وأمّا احتمال أنّ القرآن بعدما نزل على حرف واحد على قلب رسول اللهﷺ نزل جبرئيل وأمره أن يقرء بأحرف آخر إلى سبعة أحرف سيّما على كيفيّة ما روى من إظهار رسول اللهﷺ أنّ أُمّته لا يطيق على حرف واحد كما نقله الحكيم ملّا إسماعيل الخاجوئي في رسالته[2] فلا وقع له سنداً ودلالة.

إذا عرفت ذلك و إذا كان كلّ من «مالك وملك» متواترين فيصحّ قراءة كلّ منهما في الصلاة كما يصحّ الاستدلال بكلّ من يطهرن ويطّهرن وإن كان يستمد من الأصل في

---

١. كذلك في مستمسك العروة الوثقى، ج ٦، ص ٢٤٢.

٢. نصوص و رسائل، ج ٣، ص ٧٤.

المقام لجواز المباشرة قبل الغسل إلّا أنّ الغرض هنا بيان فرع لم نجده في كلمات الأصحاب صراحةً وهو أنّه بعد جواز قراءة كلّ من «ملك ومالك» في الصلاة هل يجوز أن يقرء في ركعة «مالك» وفي ركعة أُخرى «ملك»، مع أنّ القرآن المنزل في نفس الأمر كان أحدهما وبحرف واحد فيعلم إجمالاً بترك آية من فاتحة الكتاب في إحدى ركعتي صلاته وكلّ صلاة لم يقرء فيها فاتحة الكتاب فهي خداج.

فقيل بالجواز مستدلاً بأنّه عندما يقرء «مالك» يجوز له لأنّه هو القرآن بـاستناد التواتر وكذلك عندما يقرء «ملك» ولا يضرّه العلم الحاصل بعد الفراغ كما في تقريب جواز ارتكاب أطراف العلم الإجمالي عند الشكّ في الطهارة أو الحلّية وفيه ما لا يخفى، فإنّه عندما يشرع في القراءة في الركعة الثانية يشكّ في تحقّق قراءة الفاتحة وعليه تحصيل العلم بالفراغ بعد العلم بالاشتغال ولعلّه لذلك قال الحكيم في المستمسك والمنسوب إلى أكثر علمائنا وجوب القراءة بإحدى السبع الظاهر في عدم جواز الأخذ ببعضه في بعض الصلاة وبالآخر في أُخرتها وسيأتي نقل كلامه[1].

قال في العروة مسألة ٥٠: الأحوط القراءة بإحدى القراءات السبعة وإن كان الأقوى عدم وجوبها بل يكفي القراءة على منهج العربي وإن كانت مخالفة لهم في حركة بُنيةٍ أو إعراب.

وقال في مسألة ٥٧ : يجوز قراءة مالك وملك يوم الدّين ويجوز في الصراط بالصاد والسين وظاهر ذلك جواز قراءة إحداهما في إحدى الركعتين والآخر في الأُخرى إلّا أن يدّعي الانصراف عن مثل الفرض.

وقال الأُستاذ في التحرير: قد ذكر الفقهاء رضوان الله عليهم في كتاب الصلاة في فضل القراءة يجوز قراءة مالك يوم الدّين وملك يوم الدّين ولا يبعد أن يكون الأوّل أرجح وكذا في الصراط أن يقرء بالصاد والسين[2]، انتهى.

---

١. مستمسك العروة الوثقى، ج ٦، ص ٢٤٢.

٢. التحرير، ج ١، ص ١٥٢، مسألة ١٥.

وظاهر ذلك أيضاً جواز قراءة إحداهما في إحدى الركعتين والآخر في الأُخرى إلّا أن يدّعى الانصراف و أنّ المراد جواز كلّ منهما في الصلاة والأخذ بإحدى القراءات السبع اختياراً يكون في البدء وفي الاستمرار، مع أنّ ما ذكرنا من الفرع لا يخلو من الشبهة، كما أنّ التكرار في الركعة الواحدة بذكرهما لا يخلو من إشكال لاحتمال أن يكون إحداهما كلام الآدمي ويوجب البطلان. ومعنى ذلك أنّ أحدهما كلام الآدمي في نفس الأمر .

وقال الحكيم في المستمسك بعد ذكر المباحث المذكورة: والذي تقتضيه القاعدة أنّ ما كان راجعاً إلى الاختلاف في الأداء من الفصل والوصل والمدّ والقصر ونحو ذلك لا تجب الموافقة لإحدى القراءات فضلاً عن القراءات السبع وما كان راجعاً إلى الاختلاف في المؤدّى يرجع فيه إلى القواعد المعوّل عليها في المتباينين أو الأقلّ والأكثر أو التعيين والتخيير على اختلاف مواردها لكن يجب الخروج عن ذلك بالإجماع المتقدّم عن التبيان والمجمع البيان المعتضد بالسيرة القطعيّة في عصر المعصومين عليهم السلام على القراءة بالقراءة المعروفة المتداولة في الصلاة وغيرها من غير تعرّض منهم للإنكار أو لبيان ما يجب قرائته بالخصوص الموجب لرضاهم عليهم السلام بذلك كما هو ظاهر[1]. فكأنّه رحمه الله تسلّم على أنّ القرآن منزل على حرف واحد وفي موارد الاختلاف مثل ملك ومالك لابدّ من العمل بالقواعد للخروج عن التكليف ولا يجوز التكرار لأنّ إحداهما غير القرآن وكلام الآدمي، وعليه فلا يجوز قراءة إحداهما في إحدى الركعتين والآخر في الآخر وإن لم يتعرّض للمسألة، فراجع.

وقال الفقيه الخوانساري في مداركه: لا يخفى أنّ مقتضى القاعدة لزوم الاقتصار على ما هو المنزل بخصوصيّاته، فإنّه مع التغيير لا يصدق الحكاية، ألا ترى أنّه لو حكى أحدٌ شعراً من قصيدة مع تغيير ما يتعرّض عليه بل يغلط وأنّ المستفاد من الأخبار كون القرآن المنزل على نحو واحد. فدعوى كون القرآن على أنحاء لا وجه لها

---

۱. مستمسك العروة الوثقى، ج ٦، ص ٢٤٥.

فلا مجال لدعوى التواتر وكون القرآن على أنحاء مختلفة. ولازم ما ذكر الاحتياط، ولكن المستفاد من الأخبار، جواز القراءة كما يقرء الناس مثل خبر سالم بن أبي سلمة قال: قرء رجل على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرء الناس، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **«كف عن هذه القراءة اقرئوا كما يقرء الناس حتّى يقوم القائم»**[١] الحديث.

إلى قوله بعد نقل ما عن الطبرسي رحمه الله من جواز القراءة بما اختلف فيه القرآن. استشكل عليه بأمرين، الأوّل: لزوم الانحصار بالقرّاء السبع مع أنّ غيرها أيضاً من قراءة الناس. الثاني: أنّ الأخذ بكلّ قراءة منها هل هو بنحو الموضوعيّة أو الطريقيّة، وعلى الثاني لا يجوز بعد الأخذ بقراءة، الأخذ بالأُخرى للزوم المخالفة القطعيّة. لا يخفى أنّه لا يستفاد من ذكر الموضوعيّة وجواز القراءة كما يقرء الناس أعمّ. انتهى[٢].

هذا وأنت ترى في كلام الفقيهين الآخرين التعرّض للمسألة بالكناية في كلام الحكيم وبالصراحة في كلام الخوانساري رحمه الله، فالجمع بين «مالك» و «ملك» في صلاة واحدة في ركعة أو ركعتين لا يخلو عن إشكال لحصول العلم الإجمالي، بأنّ أحدهما غير القرآن وإن كان يجوز اختيار كلّ منهما وقرائته دائماً كما لعلّه مقتضى القاعدة التي أشار إليها من التخيير في المقام إلّا أنّه بدوي دون الاستمراري. وأمّا الخروج عن المسألة بقبول تعدّد القرآن النازل مستنداً بروايات الباب لا يخلو من خلل، فإنّ ظاهر ما رواه العيّاشي في تفسيره عن محمّدبن علي الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه كان يقرء في صلاته مالك يوم الدّين ويقرء اهدنا الصراط المستقيم. وعن داود بن فرقد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقرء ما لا أحصي ملك يوم الدّين. ومقتضى ذلك جواز قراءة كلّ منهما بعنوان القرآن وإن لم يصرّح في رواية. وأورد أنّه كان ذلك في الصلاة ولعلّه كان خارجها، وإذا ثبت قرائته عن الإمام المعصوم فلابدّ من قبول كونهما قرآناً.

---

١. وسائل الشيعه، ج ٤، ص ٨٢١، كتاب الصلاة، ابواب القراءة فى الصلاة، ح ١ و ٢.

٢. جامع المدارك، ج ١، ص ٢٣٥.

وفي التقريب ما لا يخفى فإنّ قراءة «ملك» وإن استمع منه ﷺ ما لا أحصى إلّا أنّه لا نعلم انّه كان في الصلاة ولو كان فيها لصرّح أوّلاً، ثمّ إنّه ﷺ كان يقرء ذلك لعلّه لتعليم قراءة الناس دون إثبات أنّه قرآن. وأمّا قراءة «مالك» كان مستمرّاً دائماً كما هو مقتضى كلمة كان في الصلاة أو كان في صلاته فهو قرآن قطعاً ومن فاتحة الكتاب ولعلّه لذلك أفتى الأُستاذ في التحرير بأنّه الأرجح[1].

والحاصل: أنّ القرآن منزل على حرف واحد أيّ قراءة واحدة والاختلاف جاء من قبل الكتّاب والقُرّاء، وتواتر القراءات السبع لا يثبت شيئاً فإنّ كثيراً منهم لم يكونوا زمن رسول الله ﷺ ولم يثبت ذلك في زمن الرسول ﷺ فلابدّ من الرجوع إلى القواعد لدى الاختلاف في مثل «مالك» و «ملك» والاحتياط ولزوم الفراغ عن تكليف قراءة فاتحة الكتاب، يوجب العلم بقرائته في الصلاة، وقد أمرونا الأئمّة ﷺ أن

---

١. وقال الأُستاذ في كتاب أبواب الصلاة ما ملخّصه: إنّ كثيراً من القرّاء قرء مَلِك بفتح الميم وكسر اللّام وإن ذكر لكلّ من الوجهين ترجيحات. بل آلّف بعض الأعاظم رسالة خاصّة في ترجيح الملك على مالك، ولكن لا يورث الاطمئنان والغنى من شيء. ونقل عن شيخه وأُستاذه المرحوم (آية الله الحائري اليزدي ﷺ مؤسّس الحوزة) إذ كان يحتاط بتوصية بعض معاصريه بذكر الملك أيضاً مع أنّه خلاف الاحتياط. وردّ على ما قيل من تشابه الملك والمالك في خط الكوفي واعتمد على أنّ تلك الاحتمالات والأبحاث وإن كان قد يمكن في سائر السور والموارد وأمّا في مثل فاتحة الكتاب التي كان على طريق الاستماع الكثيرين من المسلمين عن النبيّ ﷺ وعن الصحابة في الصلاة والأمر بقوله ﷺ: «صلّوا كما رأيتموني أُصلّي» وأنّ استماع الكثيرين من الكثيرين جيلاً بعد جيل مع التوجّه إلى أمر الأئمّة ﷺ بالقراءة كما يقرء الناس يقتضي الاكتفاء بمالك فإنّه قرآن إجماعاً والملك وإن سمع من القرّاء ولكن غير ما يقرئه الناس وكذلك نُسخ القرآن الكريم ومثل ذلك الأمر في كلمة كفواً بضمّ الفاء ونصب الواو ولابد من رعاية ذلك في الصلاة.

- ثمّ صرّح بأنّ المراد من الأمر بالقراءة كما يقرء الناس، التكليف بذلك دون الاختيار بين القرآءات وأحدها ما يقرء الناس على ذلك فخلاف قراءة الناس غلط فحاصل الكلام في المقام، لزوم قراءة مالك وعدم جواز قراءة الملك.

وقال ﷺ في تفسيره لسورة الحمد في مقام بيان ترجيح المالك على ملك بمقالة فلسفي يليق بالقراءة، بداية كلامه هكذا: قد انكشف لسرّ قلبك وبصيرة عقلك أنّ الموجودات بجملتها من سموات عوالم العقول والأرواح وأراضي سكنة الأجساد والأشباح من حضرة الرحموت التي وسعت كلّ شيء.. إلى آخر ما ذكر. وانتهى إلى قوله: ولابد من يوم ينجلي الربّ بالعظمة والمالكيّة... فراجع تعرف ما أراد. (نقل من تفسير و الشواهد القرآني فى آثار الامام الخمينى، ص ١٥٨).

نقرء القرآن كما يقرء الناس فيجوز أخذ إحداهما ابتداءً في الصلاة والإتيان بكليهما في صلاة واحدة تكراراً أو في كلّ ركعة لا يخلو من إشكال، بل لابدّ من الحكم بالاحتياط بترك ذلك وأنّ الاختيار بدوي، دون الاستمراري.

وهو الله الملك الحقّ المبين يعطي الملك من يشاء، وصحّة إطلاق كلّ منهما على الله تعالى أو جزئيّة المالك في فاتحة والملك في الناس غير جزئيّة الملك في الفاتحة أيضاً كما لا يخفى، فتأمّل.

الميزان في الدنيا والآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالىٰ:

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

لا اشكال ان الوزن مصدر التوزين، بمعنى عمل يفعل لتبيين مقدار الشيء وتعيين قيمته من جهة الثقل والخفّة أو الاعتبار والقيمة أو الحجم أو العرض والطول أو غير ذلك، مثل درجة الحرارة والبرودة في الانسان أو في الهواء وغيره، مثل مقدار نزولات السماء أو العروج وتبخير الماء.

كما لا اشكال في ان ما يوزن به تلك الأشياء بل الأمور التي لا يطلق عليها شيء، مثل درجة تحصيل العلم للطلاب والطالبات في الحوزات أو الكليات والجامعات إلىٰ توزين ظرفيّة الأشخاص وتحملهم لدى الشدائد والمشكلات أو الصفات والكمالات إلى السيّئات والحسنات، هو الميزان فالميزان ما يوزن به كان الموزون ما كان فلا يختص بماله اللسان والكفّان.

ثمّ ان تبيين الوزن والمقدار أو القيمة والدرجة أو الشأن والاعتبار مرتبط بصحّة ذلك الميزان وسلامة ما يوزن به وعدله وحقه فلو كان فيه خلل أو ضعف لم يكن

---

١. الآية ٨ سورة الأعراف (٧).

لتبيّنه واعلامه اعتبار وقيمة.

فلابدّ أولاً من الاعتماد والاطمئنان علىٰ صحّة الميزان وسلامته وعدله علىٰ حد لم يكن فيه ريب.

ثمّ لابدّ من الاطمئنان بسلامة من يوزن بالميزان وانه بعد ما يعلن علامة الميزان برقه وتصويره علىٰ صفحة المعلنة فالذي بيده هذه الآلة والوسيلة يبرز نفس ما أعلنه الميزان من غير نقص وزيادة.

هذا كلّه في الدنيا وما يوزن به الأشياء والأمور فقد ورد التكليف والأمر برعاية الحق والعدل والنهي عن التجاوز والطغيان.

قال تعالىٰ: ﴿ وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ ﴾[١].

﴿ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾.[٢]

﴿ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾[٣].

ومن المعلوم ان ذلك لا يخصص بتوزين الأمتعة والأغذية ولا الأشياء التي أشرنا إليها، بل يشمل كل ما يوزن بالشيء أو أمراً من الأمور كائناً ما كان.

هذا كله في الدنيا وما يرتبط بالمعاش والحيوة فيها وما يرتبط بتعاملات الانسان مع الآخرين في المجتمع في مبادلاتهم.

وأما في الآخرة وميزان الأعمال وثقل الموازين وخفتها كما ورد في الآيات الكثيرة.

فلا اشكال في أصل وجود الوزن والميزان، وان ما يوزن هو الأعمال الصادرة من كل انسان أو الأعمال مع العُمّال، بمعنى توزين الانسان مع عمله لعدم انفكاك العمل عن العامل في الآخرة، بل لتشكل العامل بشكل عمله وحشره معه وتصوّره بصورته وتجسّمه بحقيقة الأعمال.

---

١. الآية ٩ سورة الواقعة (٥٦).

٢. الآية ١٨٢ سورة الشعراء (٢٦).

٣. الآية ٣٥ سورة الاسراء (١٧).

وما يوزن به الانسان لابـد وان يكـون مـناسباً للـموزون والأنسب لذلك هـو الانسان الأكمل تمام الكمال في نوعه. فان لكل نوع فرد هو أكمل ما يمكن ان يتحقق و لكل فرد منه ان يتكامل حتى يصل الى الأكمل الذي لا يمكن الأكمل منه لئلّا يلزم البخل في المبدأ. وأكمل الافراد في الانسان وأفضلهم الأنبياء ﵈ وأكملهم خاتمهم عليه الصلوة والسلام. فهم الميزان الذين يوزن بهم الانسان. كلّما كان أقرب خلقاً وروحاً وعملاً فهو أثقل. وكلّما كان أبعد عنهم فاخف وزناً فبينها الانسان التالي تلو الأنبياء. مثل الأئمّة ﵈ والتالين تلوهم إلى الانسان الكافر الأبعد عنهم آخر البُعد متوسطات. وبعد ما تعيّن درجة ذلك فيجازى أو يثاب حسب الدرجة عدلاً من الجنة والنار.

وعلىٰ ذلك فلا يحتاج الوزن هذه والتوزين وتبيّن الحق والعدل الى زمان طويل. بل يكون يُحاسب حساباً يسيراً وسريعاً.

فكل انسان عند ما يظهر علىٰ نفسه ما هو كان عليه اذا انكشف الغطاء وارتـفع الستر وظهر الأمر فيرى الانسان نفسه وعمل بنفسه ويرى ما صنعت ويرى ماله وما عليه بنفس العدل والحق من غير الظلم والجور والخلاف وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

وكل ذلك لا ينافي العفو والجود والرحمة خارجاً عن هذا النظام الحق والعـدل و الحساب والكتاب.

كما لا ينافي الشفاعة والوساطة بعد تبيُّن ما لابد وان يكون لكل انسان أو عليه حسب ما صنعه في الدنيا وتسيفه فيها نسفا.

وممّا ذكرنا يعرف ظاهر كثير من الآيات في الباب والروايات ما الوزن يومئذ الحق لا ريب في أصله بمعنى تحقق التوزين بالميزان وإن لم يكن هـناك مـيزان له اللسـان والكفّان وما ورد في روايات الباب تقريب وتشبيه.

ومحصل الكلام، ان الأنبياء هم الميزان لامتهم ونبيّنا ﷺ والأئمّة المعصومون ﵈ هم الميزان لنا يوم القيمة كما هو مصرح في قولهم نحن الميزان يوم القيمة.

وهذا الميزان يعلن الحق والعدل وذلك وصف الوزن والتوزين وليس الحق قبال الباطل حتى يتصور ان الحق هو الميزان حتى يتوقف على ميزان آخر يوزن به الحق والباطل فتأمل.

ولنختم البحث بذكر كلام من خير امام علي عليه السلام: **«اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها».**[1]

وفي الصحيفة عن علي بن الحسين عليه السلام عند ما ذكر القرآن الكريم قال: **«وجعلته ميزان قسط لا يحيف»**[2].

فلنجعل أنفسنا قبال القرآن ومن نزّلَ عليه ولنحاسب أعمالنا قبل أن يحاسب في يوم الحساب ولنصلح ما أوجب خفتها حتى يثقل.

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾[3].

نعوذ بالله منها ونستعين بالله في عيشة راضية.

والحمد لله أولاً وآخراً

---

١. نهج البلاغه، رساله ٣١.

٢. صحيفة السجادية، الدعاء ٤٢.

٣. الآيات ٦ - ٩ سورة القارعة (١٠١).

القسم الثانى

(قسم الفقهى)

رسالة في التمتع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أحلّ الزواج والنكاح وحرّم الزنا والسفاح، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿... وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[2].

والصلاة والسلام على خاتم رسله الذي جعل النكاح والمتعة من سننه على حدّ قال: «مَن رغب عن سنّتي فليس منّي»[3].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنّة من رسول الله صلى الله عليه وآله»[4].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «وأحلّ رسول الله صلى الله عليه وآله المتعة. ولم يحرّمها حتّى قبض[5]». وروايات أُخرى كثيرة في الباب.

---

١. الآية ٣٢ سورة النور (٢٤).

٢. الآية ٢٤ سورة النساء (٤).

٣. عوالي اللئالي، ج ٣، ص ٢٨٣.

٤. وسائل الشيعه، ج ١٤، ص ٤٣٧، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١، ح ٥.

٥. وسائل الشيعه، ج ١٤، ص ٤٣٨، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١، ح ١٢.

وعلى آله الطيّبين الذين بيّنوا أحكامه وحدوده ومَن يتعدّ حدوده فقد ظلم نفسه.

وبعد، فإنّ النكاح كان اسماً للوطئ والتقاء الختانان من الرجل والمرأة المحلّل بالعقد الخاصّ مع شرائطه، أو كان اسماً لذلك العقد الموجب لحلّية الركوب والوطئ من باب إطلاق الاسم السبب على المسبّب أو بالعكس.

وليس حقيقته اللغويّة والشرعيّة والعرفيّة المتشرّعة إلّا المباشرة والوقاع بينهما بالدخول، وأمّا سائر التمتّعات والالتذاذات المتقدّمة عليه أو المقارنة معه أو المتأخّرة عنه من النظر والمطايبة والملاعبة والملامسة والتقبيل وغيرها ليست نكاحاً بل أُمور مستقلّة ممّا يترتّب حلّيتها وحرمتها على حكم النكاح.

وأمّا الشرائط المذكورة في العقد وأوليائه في كلٍّ من الناكح والمنكوح العامّة منها كالبلوغ والعقل والإرادة وغيرها، أو الخاصّة الراجعة إلى كلّ منهم زماناً ومكاناً وحالةً، وكذلك الأحكام المترتّب على كلّ من العقد والوطىء، فهي مذكورة على تفصيلها في محالّها وخارجة عن محلّ البحث والتحقيق الذي نحن بصدده الآن، وقد تعرّضنا لها في فقه القرآن على حدّ آيات الأحكام، فراجع.

***

ثمّ إنّ من أقسام النكاح المتعة المعبّر عنها بالموقّت لما يلزم في تحقّقها ذكر الوقت وتحديد الزمان وألا يتبدّل دائماً كما سيأتي إن شاء الله.

وهي تختلف عن النكاح الدائم في كثيرٍ من الأحكام والشرائط، بل في حقيقتها اللغويّة والشرعيّة، فنقول: هي عقدٌ يباح به الاستمتاع من المرأة في المدّة المذكورة في ذلك العقد قبال الأُجرة المعيّنة المصرّح بها مع التراضي كائناً ما كان ولو بشربة من الماء أو قرصٍ من الطعام أو غير ذلك ممّا يتملّك ولا يترتّب عليه ما يترتّب على عقد النكاح من الصداق والنفقة والولد والإرث وغير ذلك .

١ ـ لا إشكال في أصل مشروعيّتها كتاباً وسنّةً القوليّة والعمليّة.

٢ ـ وأنّها سنّة حسنة لا ينبغي تركها؛ سيّما على الذين لا يجدون نكاحاً.

٣ ـ ويكره على الذين يجدون نكاحاً من الزوجات الأحرار الصالحات.

٤ ـ وكان ذلك ردّاً على من نفاها.

٥ ـ ولا يُقيّد بعدد الأربعة كما في الدائم.

٦ ـ وهي بمنزلة الإماء ليس من الأربع إنّما هي إجارة.

٧ ـ ولابدّ من اختبار المأمونة كراهية التمتّع بالزانيّة.

٨ ـ وعدّتها حيضة أو خمسة وأربعين يوماً.

تدلّ على كلّ من ذلك روايات الباب سنذكرها، والعمدة في المقام البحث في جواز ذلك في البكر أوّلاً، وبلا إذن الأب ثانياً، ومقيّداً بما دون الفرج ثالثاً؛ بمعنى جواز عقد المتعة على البكر من غير إذن الأب بل متستّراً عنه مقيّداً بما دون الفرج وأنّ ذلك القيد لا يكون خلاف مقتضى العقد في المتعة، مع أنّه كذلك في العقد الدائم وقد عرفت أنّ ماهيّة النكاح الدائم الوطيء والدخول وسائر الاستمتاعات ممّا يترتّب عليه خلافاً لما في ماهيّة المتعة، فإنّ الاستمتاع أصلها ويمكن اعتبار ترك الدخول، بل قيد المنع بحسب ظاهر اللغة.

فلابدّ من التوجّه إلى أدلّة الباب، ولنذكر حسب الترتيب أدلّة ما ذكرنا، فيدلّ على أصل المشروعيّة، قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[1]. ورواية أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن المتعة، فقال: «**نزلت في القرآن** ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ الآية[2].

وعن أبي مريم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنّة من رسول الله صلى الله عليه وآله**»[3].

وعن عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال: سمعت أبا حنيفة يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن

١. الآية ٢٤ سورة النساء (٤).

٢. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٣٦، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١، ح ١.

٣. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٣٧، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١، ح ٥.

المتعة، فقال: «عن أيّ المتعتين تسأل؟ [قال: سألتك عن متعة الحجّ، فأنبئني عن متعة النساء، أحقٌّ هي؟ قال:] سبحان الله أما تقرء كتاب الله ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾؟» فقال أبو حنيفة: والله لكأنّها آيةً لم أقرئها قطّ[1].

ويدلّ على ذلك أيضاً ـ يعني أصل المشروعيّة ـ سائر روايات الباب التي تعني جهات الأُخرى فارغاً عن المشروعيّة كما يأتي.

ويدلّ على الثاني ـ يعني أنّها سنّة لا ينبغي تركها ـ روايات عديدة، منها: ما عن زرارة قال: جاء عبد الله بن عمر الليثي إلى أبي جعفر عليه السلام فقال: ما تقول في متعة النساء؟ فقال: «أحلّها الله في كتابه وعلى سنّة نبيّه، فهي حلالٌ إلى يوم القيامة، [فقال: يا أبا جعفر مثلك يقول هذا وقد حرّمها عمر ونهى عنها فقال:] وإن كان فعل، [فقال: فإنّي أُعيذك بالله من ذلك أن تحلّ شيئاً حرّمه عمر، فقال له:] فأنت على قول صاحبك وأنا على قول رسول الله صلى الله عليه وآله فهلمّ ألاعنك أنّ الحقّ ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّ الباطل ما قال صاحبك، [قال: فأقبل عبد الله بن عمير فقال:] يسرّك أن نسائك وبناتك وأخواتك وبنات عمّك يفعلن؟» قال: فأعرض عنه أبو جعفر عليه السلام حين ذكر نسائه وبنات عمّه[2].

فقه الحديث: وأنت ترى أنّ الذين لا يتسلّمون أمر الله تعالى وسنّة نبيّه يتوسّلون في ردّ ذلك إلى مثل ما قال الرجل إنّ نسائكم وبناتكم ترضون أن يفعلن كذا، مع أنّ الحكم راجع إلى مجتمع المسلمين في مطلق ظروفه وحلّ المشكلة الكلّية سيّما للذين لا يجدون نكاحاً متعارفاً حاضراً أو مسافراً، ويوجد كثيراً من الرجال والنساء على وضع إن كان ذلك حلالاً لهم لا يزنون كما تشير إليه روايات الباب على ما سيأتي، وعدم تناسب العمل لشأن جمع من رجال الأشراف الذين يجدون النكاح المتعارف مع الحرّة الصالحة وكراهتها لهم، وكذا عدم توافق شأن كثيرٍ من النساء الأشراف

١. وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٤٣٦، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١، ح ٦.
٢. وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٤٣٦، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١، ح ٤.

المحصنات أو ذوي الاحترام والإكرام لا يرتبط بالحكم الكلّي للمجتمع الإسلامي، ولعلّ مثل هذه التوهّمات كان دليلاً لمن نهى عنها وحرّمها اجتهاداً قبال النصّ وعليه وزره في عمله.

ومنها: ما عن ابن محبوب عن علي السائي قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إنّي كنت أتزوّج المتعة فكرهتها وتشأمت بها فأعطيت الله عهداً بين الركن والمقام وجعلت عَليَّ في ذلك نذراً أو صياماً أن لا أتزوّجها، قال: ثمّ إنّ ذلك شقّ عليَّ وندمت عن يميني ولم يكن بيدي من القوّة ما أتزوّج به في العلانية، قال: فقال لي: **«عاهدت الله أن لا تطيعه؟ والله لئن لم تطعه لتعصينّه»**[1].

فقه الحديث: ظاهر صريح في عدم انعقاد العهد والنذر على ترك أمرٍ مطلوب في الشرع وراجح لديه من أوّل الأمر ولو كان العهد في مكان مقدّس، مثل ما بين الركن والمقام، ولو كان تركه راجحاً لانعقد العهد والنذر، بل لو كان مباحاً وكان في تركه رجحاناً للناذر لانعقد، فتدلّ على أنّها سنّة مؤكّدة راجحة لا ينعقد العهد على تركها، فتوجّه.

ومنها: ما عن جميل بن صالح قال: إنّ بعض أصحابنا قال لأبي عبد الله عليه السلام: إنّه يدخلني من المتعة شيء فقد حلفت أن لا أتزوّج متعة أبداً، فقال أبو عبدالله عليه السلام: **«إنّك إذا لم تطع الله فقد عصيته»**[2].

والتقريب وفقه الحديث التقريب وفقهه السابق.

ومنها: ما في احتجاج الطبرسي عن الحميري أنّه كتب إلى صاحب الزمان عليه السلام يسأله عن الرجل ممّن يقول بالحقّ ويرى المتعة ويقول بالرجعة إلّا أنّ له أهلاً موافقة له في جميع أموره وقد عاهدها أن لا يتزوّج عليها ولا يتمتّع، ولا يتسرّى، وقد فعل هذا منذ تسعة عشر سنة ووفّى بقوله: فربما غاب عن منزله الأشهر ولا يتمتّع ولا يتحرّك نفسه أيضاً لذلك ويرى وقوف من معه من أخٍ وولدٍ وغلام ووكيلٍ وحاشيةٍ

---

١. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٤٥، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٣، ح ١.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٤٥، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٣، ح ٢.

ممّا يُقلّله في أعينهم ويحبّ المقام على ما هو عليه محبّةً لأهله وميلاً إليها وصيانةً لها ولنفسه لا لتحريم المتعة، بل يدين الله بها فهل عليه في ترك ذلك مأثم أم لا ؟

الجواب: «**يستحبّ له أن يطيع الله تعالى بالمتعة ليزول عنه الحلف في المعصية ولو مرّة واحدة**»[۱].

فقه الحديث: أنّ التأمّل فيه يُعطي أنّ نفس الاعتقاد بجواز المتعة وحلّيتها حسنٌ ولكن التعاهد على تركها عهدٌ على المعصية ولابد من الخروج عن العهد فيستحبّ له ولو مرّة.

ومنها: عن المفيد عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**يستحبّ للرجل أن يتزوّج المتعة، وما أحبّ للرجل منكم أن يخرج من الدُّنيا حتّى يتزوّج المتعة ولو مرّة**»[۲].

ومنها: ما عن محمّد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: «**تمتّعت؟ [قلت: لا، قال:] لا تخرج من الدُّنيا حتّى تحيي السنّة**[۳]».

وقريبٌ منها أكثر أحاديث الباب الثاني من الأبواب، مثل ما عن الفضل الشيباني بإسناده إلى الباقر عليه السلام أنّ عبد الله بن عطاء المكّي سأله عن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ﴾ الآية، فقال: «**إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله تزوّج بالحرّة متعةً فأطلع عليه بعض أزواجه فاتّهمته بالفاحشة، [فقال:] إنّه لي حلال، إنّه نكاحٌ بأجل فاكتميه، فأطلعت عليه بعض نسائه**[٤]».

ومن المعلوم ولا أقلّ من الظاهر أنّ ذلك كان قبل نزول الآية الشريفة وإلّا لم يكن وجهٌ لإسراره والأمر بالكتمان. وروايات أُخرى تدلّ على كونها سنّة حسنة مؤكّدة لا يخفى على المتتبّع وأشرنا إلى تلك الأدلّة للآية الشريفة حسب تطبيق الإمام المعصوم عليه السلام.

١. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٤٥، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٣، ح ٣.
٢. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٤٣، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٢، ح ١٠.
٣. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٤٣، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٢، ح ١١.
٤. وسائل الشيعة، ج ١٤: ٤٤٠، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١، ح ٢٢.

استحباب المتعة على الذين لا يجدون نكاحاً

ويدلّ على الثالث أي الاستحباب للذين لا يجدون نكاحاً مثل ما عن ابن مسعود قال: كنّا نغزو مع رسول الله ﷺ ليس معنا نساء، فقلنا: يا رسول الله ألا نستحصن هنا بأجر؟، «**فأمر أن ننكح المرأة بالثوب**»[١].

فقه الحديث: بعد دلالته على الجواز عندما لا يجد الرجل نكاحاً مثل السفر وأيّام الخروج للجهاد والدفاع وفي زماننا للعسكر والذين يبيتون في المعسكرات وفي ميادين الجهاد والدفاع حينما يطول المقام بهم، وغير ذلك.

وكذلك يدلّ على سهولة الأُجرة وجوازها حتّى بثوب كما هو المصرّح به في خبر أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن أدنى مهر المتعة ما هو؟ قال: «**كفٌّ من طعام دقيق أو سويق أو تمر**»[٢]. وفي الآخر: «**أدنى ما تحلّ به المتعة كفّ طعام**».[٣]

وفي الثالث عن أبي عبد الله ﷺ قال: «**جاءت امرأة إلى عمر فقالت: إنّي زنيت فطهّرني، فأمر بها أن تُرجم، فأُخبر بذلك أمير المؤمنين ﷺ فقال: كيف زنيتِ؟ قالت: مررت بالبادية فأصابني عطش شديد فاستقيت أعرابيّاً فأبى أن يسقيني إلّا أن أُمكّنه من نفسي فلمّا أجهدني العطش خفت على نفسي سقاني فأمكنته من نفسي، فقال أمير المؤمنين ﷺ: تزويج وربّ الكعبة**»[٤].

ويؤيّد ذلك أي الرجحان للّذين لا يجدون نكاحاً ما يدلّ على الثالث والرابع من كراهتها على الواجد.

مثل ما عن ابن أبي عمير عن عليّ بن يقطين قال: سألت أبا الحسن ﷺ عن المتعة، فقال: «**ما أنت وذاك قد أغناك الله عنها**، [فقلت: إنّما أردت أن أعلمها، فقال:] **هي في كتاب عليّ ﷺ**، [فقلت: نزيدها ونزداد؟ قال:] **وهل يطيبه إلّا ذاك**[٥].»

---

١. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٤٠، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١، ح ٢٦.
٢. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٧١، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٢١، ح ٥.
٣. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٧١، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٢١، ح ٦.
٤. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٧١، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٢١، ح ٨.
٥. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٤٩، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٥، ح ١.

فقه الحديث: ظهور دلالتها على الكراهة عند الغناء عنها ودلالتها على سهولة التراضي والتزايد أو القطع والعفو بالنسبة إلى باقي المدّة سيّما التعبير الخاصّ من قوله عليه السلام: هل يطيبه إلّا ذاك، بعد سهولة التراضي وبعد التماس لها التراضي في التزايد والتناقص.

ومثل ما عن الفتح بن يزيد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن المتعة، فقال: «**هي حلالٌ مباح مطلق لمن لم يغنه الله بالتزويج فليستعفف بالمتعة فإن استغنى عنها بالتزويج فهي مباحٌ له إذا غاب عنها**[١].»

وصراحة قوله عليه السلام: حلالٌ مباح، مطلق لمن لم يغنيه الله بالتزويج. وقوله: فهي مباح له إذا غاب عنها، تفيد أنّ ذلك مكروه لمن أغناه الله بالتزويج إذا كان حاضراً عند أهله له أن يغدو ويروح إليها .

وأدلّ روايات الباب على ذلك ما عن محمّد بن الحسن بن شمون قال: كتب أبو الحسن عليه السلام إلى بعض مواليه: «**لا تلحّوا على المتعة إنّما عليكم إقامة السنّة فلا تشغلوا بها عن فرشكم وحرائركم فيكفرن ويتبرين ويدعين على الآمر بذلك ويلعنونا**»[٢].

كراهة المتعة والتلحّي بها على الذين أغناهم الله بالزواج والنكاح

ويدلّ على الخامس أي الردّ على مَنْ نهى عنها أو حرّمها روايات، منها: ما عن ابن مسكان عن عبد الله بن سليمان قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«**كان عليٌّ عليه السلام يقول: لولا ما سبقني به ابن الخطاب ما زنا إلّا شقي**[٣].»

ومنها: ما عرفت من رواية عبد الله بن عمر الليثي في سؤاله عن الباقر عليه السلام إلى قوله:

---

١. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٤٩، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٥، ح ٢.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٤٩، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٥، ح ٤.

٣. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٣٦، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١، ح ٢.

«فأنت على قول صاحبك وأنا على قول رسول الله٩ وأنّ الباطل ما قال صاحبك».[١]

وعن الرضاﷺ قال: **«وأحلّ رسول اللهﷺ المتعة ولم يحرّمها حتّى قبض»**[٢]. وكذلك ورد في المقنع[٣].

وعن العيّاشي في تفسيره عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفرﷺ قال: قال جابر بن عبد الله عن رسول اللهﷺ **«أنّهم غزوا معه فأحلّ لهم المتعة ولم يُحرّمها وكان عليّﷺ يقول: لولا ما سبقني به ابن الخطّاب - يعني عمر - ما زنا إلّا شقيّ. وكان ابن عبّاس يقرأ: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ وهؤلاء يكفرون بها، ورسول اللهﷺ أحلّها ولم يحرّمها**[٤].

وبأسانيد كثيرة إلى أبي عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: سألت أبا عبد اللهﷺ: هل نسخَ آية المتعة شيء؟ قال: **«لا، ولولا ما نهى عنه عمر ما زنا إلّا شقيّ**[٥]**»**.

وبإسناد آخر عن عليّﷺ: **«لولا ما سبقني به عمر بن الخطّاب ما زنى مؤمن**[٦]**»**.

وعن أبي نضر عن جابر قال: تمتّعنا مع رسول اللهﷺ وأبي بكر، وقال: **«ما زلنا نتمتّع حتّى نهى عنها عمر**[٧]**»**.

فقه تلك الأحاديث أنّك ترى دلالتها على أنّ المتعة كانت حلالاً تمتّع بها كثير من الأصحاب والتابعين زمن رسول اللهﷺ وأبي بكر وحتّى قسماً من زمن ابن الخطّاب

---

١. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٣٦، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١، ح ٤.
٢. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٣٦، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١، ح ١٢.
٣. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٣٦، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١، ح ١٦.
٤. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٣٦، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١، ح ٢٠.
٥. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٣٦، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١، ح ٢٤.
٦. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٣٦، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١، ح ٢٥.
٧. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٤١، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١، ح ٣١.

حتّى نهى عنها عمر.

إلّا أنّ الكلام أنّ ذلك النهي كان نهي تشريع وتحريم شرعي حتّى يكون اجتهاداً في مقابل النصّ وخلافاً للقواعد والمباني، فإنّه ليس لأحدٍ أن يحرّم حلالاً أو يحلّ حراماً، فإنّ حلال محمّد حلالٌ إلى يوم القيامة وحرامه حرامٌ إلى يوم القيامة، أو كان نهي حكومي في زمنه لمصالح توهّمها هو حفظاً لشأن زملائه وأصحابه؟

وكيف كان، قد فهموا من نهيه الحرمة إلى حدٍّ سمعت عن عبد الله بن عمر الليثي قال لأبي جعفرعليه السلام: أمثلُك يقول هذا وقد حرّمها عمر ونهى عنها!. وجميل بن صالح يقول لأبي عبد اللهعليه السلام: إنّه يدخلني في المتعة شيء قد حلفت أن لا أتزوّج متعة أبداً. وغير ذلك ممّا يفيد أنّهم كانوا يُحرّمونها استناداً إلى نهي عمر، وترى أنّ ذلك صار إلى تعزير المرتكبين في حكومة بني أُميّة وبني العبّاس يُرشدك إلى ذلك ما في كشف الغمّة نقلاً من كتاب الدلائل لعبد الله بن جعفر الحميري عن الحسن بن ظريف قال:

كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام: قد تركت التمتّع ثلاثين سنة ثمّ نشطت لذلك وكان في الحيّ امرأة وصفت لي بالجمال فمالَ قلبي إليها وكانت عاهراً لا تمنع يد لامس فكرهتها ثمّ قلت: قد قال الأئمّةعليهم السلام تمتّع بالفاجرة فإنّك تُخرجها من حرام إلى حلال، فكتبت إلى أبي محمّد عليه السلام أشاوره في المتعة وقلت: أيجوز بعد هذه السنين أن أتمتّع؟ فكتب: «**إنّما تُحيي سنّةً وتُميت بدعةً فلا بأس، وإيّاك وجارتك المعروفة بالعهر وإن حدّثتك نفسك أنّ آبائي قالوا: تمتّع بالفاجرة فإنّك تخرجها من حرام إلى حلال فان هذه امراة معروفة بالهتك وهى جاره وأخاف عليك استفاضة الخبر منها، فتركتها ولم أتمتّع بها وتمتّع بها شاذان بن سعد رجلٌ من اخواننا وجيراننا فاشتهر بها حتّى علا أمره وصار إلى السلطان وغُرم بسببها مالاً نفيساً وأعاذني الله من ذلك ببركة سيّدي**[١]».

وكيف كان، فالمتعة حلالٌ جائز في كتاب الله وسنّة نبيّه ولم يكن لأحدٍ أن يُحرّمها من عند نفسه، والظاهر من أكثر روايات الباب فيما عرفت ما يأتي أنّ الأئمّةعليهم السلام كانوا

١. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥٥، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٩، ح ٤.

بصدد بيان حكم الله وردّ البدعة وتثبيت السنّة مع ملاحظة حدودها وشرائطها.

منها: أنّها لا تنحصر بالأربعة كما في نكاح الدائم، بل مع وجود الأربعة في الدائم يجوز التعدّد في زمن واحد بأكثر من أربعة، تدلّ على ذلك روايات مثل ما عن بكر بن محمّد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن المتعة أهي من الأربع؟ فقال: «لا[١]».

وعن زرارة عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكرت له المتعة أهي من الأربع؟ فقال: «**تزوّج منهنّ ألفاً فإنّهنّ مستأجرات**[٢]».

وكذلك عن ابن رئاب عن زرارة قال: قلت: ما يحلّ من المتعة؟ قال: «**كم شئت**[٣]».

وعن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام «**في المتعة ليست من الأربع لأنّها لا تطلّق ولا ترث وإنّما هي مستأجرة**[٤]».

وكذلك سائر روايات هذا الباب نختم بجامعها، عن عمر بن أُذينة عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المتعة، فقال: «**الق عبد الملك بن جريح فسَلهُ عنها فإنّ عنده منها علماً، فلقيته فأملى عليّ شيئاً كثيراً في استحلالها وكان فيما روى لي فيها ابن جريح أنّه ليس فيها وقت ولا عدد إنّما هي بمنزلة الإماء يتزوّج منهنّ كم شاء، وصاحب الأربع نسوة يتزوّج منهنّ ما شاء بغير وليّ ولا شهود، فإذا انقضى الأجل بانت منه بغير طلاق، ويعطيها الشيء اليسير، وعدّتها حيضتان وإن كانت لا تحيض فخمسة وأربعون يوماً.** [قال: فأتيت بالكتاب أبا عبد الله عليه السلام فقال:] **صدق وأقرّ به**».

قال ابن أُذينة: وكان زرارة يقول هذا ويحلف أنّه الحقّ إلّا أنّه كان يقول: «**إن كانت تحيض فحيضة وإن كانت لا تحيض فشهر ونصف**[٥]».

---

١. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٤٦، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٤، ح ١.
٢. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥٥، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٤، ح ٢.
٣. وسائل الشيعة، ج ١٤: ٤٤٦، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٤، ح٣.
٤. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٤٦، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٤، ح ٤.
٥. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٤٦، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٤، ح ٨

فقه الحديث ظاهر، لكن نشير إلى نكات ثلاث:

الأولى: إنّ إرجاع الإمام عليه السلام إلى عبد الملك بن جريح وعدم الجواب بنفسه الشريفة لعلّه كان لبيان زيادة توضيح ونشر الأمر، ومن المعلوم أنّ المراد من أنّه ليس فيها وقت أنّها لا تقيّد بزمان محدود مقابل العقد الدائم ويكون على التراضي لا انّه لم يكن مقيّداً بأجل، بل لابدّ من ذكر الأجل وذكر الأُجرة في الجملة، كان ما كان.

الثانية: الإشارة إلى ماهيّتها وأنّها لم تكن من نوع النكاح الدائم، بل أمر آخر من جنس الإجارة والاستجارة قبال النكاح والملك، فكأنّ التمتّع لها طرق ثلاث النكاح الدائم، ملكيّة الإماء، المتعة، يفترق كلّ من الآخر، ولذا لا يكون من الأربعة، بل يجوز لمن كان له نسوة أربعة بأيّ عدد شاء من غير وليّ ولا شهود ممّا يلزم في النكاح الدائم، وسيأتي الكلام في عدم اشتراط الوليّ إنّه يشمل البكر في كنف والديها أولا وبيان وجه الجمع في روايات الباب.

الثالثة: الإشارة إلى سهولة الأمر وإمكان التراضي بشيء يسير وأنّ الأُجرة التي أُشير إليها في الآية لابدّ وأن يصدق عليها أُجرة ولو بشيءٍ يسير حتّى بشربةٍ من الماء كما عرفت آنفاً أو قبضة من الدقيق أو السويق أو التمر.

ولا يتوهّم أنّ ذلك مع تلك التسهيلات يشبّه بالفحشاء ولا يساعد الإحصان لما ترى من لزوم رعاية كونها مأمونة خالية عن الموانع الشرعيّة وعليها رعاية العدّة بحيضة أو نصف عدّة خمسة وأربعين يوماً وإن كان لا بأس بالتمتّع من غيرهنّ كما يأتي. فما يدلّ على رعاية كونها مأمونة روايات عديدة نكتفي بذكر بعض. منها: عن أبي سارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عنها ـ يعني المتعة ـ فقال لي: «**حلال فلا تزوّج إلّا عفيفة، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ فلا تضع فرجك حيث لا تأمن على درهمك**[1]».

---

١. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥١، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٦، ح ٢.

وقريب منه ما رواه محمّد بن إسماعيل عن الرضاعليه السلام[١].

وما يدلّ على لزوم رعاية العدّة طيباً للولد ومنعاً من اختلاط المياه إذا تمتّع بالدخول ما عرفت من رواية عمر بن أُذينة أنّ عدّتها إن كانت تحيض حيضة وإن كانت لا تحيض فشهر ونصف، ولابدّ من تصديقها في كونها خلية غير ذات بعل ولا عدّة لها ولا يلزم السؤال والتفتيش.

عن فضالة عن ميسّر قال: قلت لأبي عبد اللهعليه السلام: ألقى المرأة بالفلاة التي ليس فيها أحد فأقول لها: ألكِ زوج؟ فتقول: لا، فأتزوّجها؟ قال: «**نعم، هي مصدّقة على نفسها**[٢]».

وفي حديث عن الرضاعليه السلام، قلت له: المرأة تتزوّج متعةً فينقضي شرطها وتتزوّج رجلاً آخر قبل أن تنقضي عدّتها؟ قال: «**وما عليك إنّما إثم ذلك عليها**[٣]». وقريب منها غيرها.

ويكره التمتّع بالزانية والفاجرة المشهورة، فعن إسحاق بن جرير قال: قلت لأبي عبد اللهعليه السلام أنّ عندنا بالكوفة امرأة معروفة بالفجور أيحلّ أن أتزوّجها متعةً؟ قال: فقال: «**رفعت راية؟** [قلت: لا لو رفعت راية أخذها السلطان، قال:] **نعم تزوّجها متعةً،** [قال:] **ثمّ أصغى إلى بعض مواليه فأسرّ إليه شيئاً فلقيت مولاه.** [فقلت له: ما قال] لك؟ فقال: **إنّما قال لي ولو رفعت راية كان عليه في تزويجها شيء إنّما يخرجها من حرام إلى حلال**[٤]». وقريب منها غيرها.

***

إلى هنا علمنا بأنّ المتعة حلال سنّة جارية كانت في زمن رسول اللهصلى الله عليه وآله والخلفاء إلى أن نهى عنها عمر. والأئمّةعليهم السلام نفوا ذلك الردّ والنهي وأصرّوا على بيان حلّيتها

١. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥١، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٦، ح ٣.
٢. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥١، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١٠، ح ١.
٣. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥١، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١٠، ح ٢.
٤. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥١، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ٩، ح ٣.

وكونها سنّة وبها قد انحلّت مشكلة من مشاكل المجتمع الإسلامي ومُنع عن نشر الفساد والزنا سيّما على الذين لا يجدون نكاحاً حاضرين أو مسافرين وأنّ ذلك سهل دائر مدار تراضيهما بعد لزوم ذكر الأجل والأُجرة وأنّ هيئتها التمتّع كان مع الوطئ والدخول أو بدونه، وليس فيه ولاية ولا شهود ويُصدّق المرأة على نفسها في كونها خلية ويجوز حتّى بالزانية الفاجرة مع الكراهة، فإنّها يخرجها من الحرام إلى الحلال مع حفظ شؤون العائلة ورعاية حال الزوجة الدائمة الحرّة الشريفة، ولا تكون للتلحّي والتلاعب بالنكاح وتضعيف أساس المجتمع العائلي وتشكيل البيت مع حفظ النسل والأُسرة.

ولكن بعد ذلك كلّه هناك مسألة حسّاسة في زمانتا مع كثرة معاشرة الفتاة والشبّان وتلاقيهم في المدرسة والمعهد والمسير والطرق وكثير من مظاهر العيش والحياة مع أنّهم مسلمون مؤمنون بأحكام الله تعالى وحدوده ويلتزمون برعاية الأحكام والشرائع، والسؤال بصراحة هل يجوز التمتّع بالأبكار بدون إذن آبائهنّ، بل على تستّر منهم مع رعاية الفرج ومنع الدخول بل الملامسة والملاعبة وما دون الوطئ بمراتبه أو لا.

ولا إشكال في الثيبات، فإنّهن يملكن أنفسهن ولهن أن يفعلن فيها ما شئن كما في صريح روايات الباب .

أمّا الأبكار، ففيه كلام منشأه أخبار الباب بعد أنّه لا إشكال في الجواز إذا كان بإذن أبيها كما في النكاح الدائم المتّفق عليه النصّ والفتوى وفي المتعة بعض روايات الباب، مثل ما عن أبي نصر البزنطي عن الرضاعليه السلام قال: «**البكر لا تتزوّج متعة إلّا بإذن أبيها**[1]».

وكذلك ما عن أبان عن أبي مريم عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: «**العذراء التي لها أب لا تتزوّج متعةً إلّا بإذن أبيها**[2]».

---

١. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥٨، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١١، ح ٥.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥٨، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١١، ح ١٢.

وعن أبي الحضرمي قال: قال أبو عبد اللهﷺ: «يا أبا بكر إيّاكم والأبكار أن تزوجوهنّ متعةً[١]».

وعن عبد الملك بن عمرو قال: سألت أبا عبد اللهﷺ عن المتعة فقال: «**إنّ أمرها شديد فاتّقوا الأبكار**[٢]».

وعن ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد اللهﷺ: يتزوّج الرجل بالجارية متعةً؟ فقالَ: «**نعم إلّا أن يكون لها أب والجارية يستأمرها كلّ أحد إلّا أبوها**[٣]».

فقه الأحاديث ظواهرها بل صراحتها عدم الجواز إلّا بإذن أبيها فلا متعة في الأبكار بدون إذن الأب بحيث لا يجوز التمتّع إلّا مع إذنه، ومفاد ذلك أنّها حرام بلا إذن الأب، وإذا ارتكبت فكأنّها زنت، وكذلك الرجل مع علمه بأنّ لها أب. وأمّا احتمال دخالة الإذن في الكمال لا في الصحّة وأنّه راجع إلى ولايته، فإن تخلّفا لم تكن حراماً ولا تكون زنا، بل كان تعصياً عن نظر الوليّ فلابدّ من الدقّة بعد ملاحظة سائر روايات الباب، مع أنّ الأمر في الفروج والدماء شديد.

وهناك روايات تدلّ على عدم الاشتراط، مثل رواية زياد بن أبي الحلال قال: سمعت أبا عبد اللهﷺ يقول: «**لا بأس أن يتمتّع البكر ما لم يفض إليها كراهية العيب على أهلها**[٤]».

ومرسلة أبي حمزة عن بعض أصحابه عن أبي عبد اللهﷺ في البكر يتزوّجها الرجل متعةً؟ قال: «**لا بأس ما لم يفتضّها**[٥]».

وعن محمّد بن عذافر عمّن ذكره عن أبي عبد اللهﷺ قال: سألته عن التمتّع بالأبكار فقال: «**هل جعل ذلك إلّا لهنّ فليستترن وليستعففن**[٦]».

---

١. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥٨، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١١، ح ١٣.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥٨، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١١، ح ١٤.

٣. مستدرک الوسائل، كتاب النكاح، حكم التمتع بالبكر بغير اذن ابيها، ح ٣.

٤. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥٨، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١١، ح ١.

٥. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥٨، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١١، ح ٢.

٦. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥٨، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١١، ح ٤.

وعن محمّد بن سنان عن أبي سعيد قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن التمتّع من الأبكار اللّواتي بين الأبوين، فقال: «**لا بأس ولا أقول كما يقول هؤلاء الأقشاب**[١]».

وعن أبي سعيد القمّاط عمّن رواه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جارية بكر بين أبويها تدعوني إلى نفسها تستّراً من أبويها، فأفعل ذلك؟ قال: «**نعم واتّق موضع الفرج**، [قال: قلت: فإن رضيت بذلك؟ قال:] **وإن رضيت فإنّه عارٌ على الأبكار**[٢]».

وعن الحلبي قال: سألته عن التمتّع من البكر إذا كانت بين أبويها بلا إذن أبويها، قال: «**لا بأس ما لم يقتض ما هناك لتعفّ بذلك**[٣]».

وعن الفضل بن كثير المدائني عن المهلب الدلّال أنّه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام: أنّ امرأة كانت معي في الدار، ثمّ إنّها زوّجتني نفسها، وأشهدت الله وملائكته على ذلك، ثمّ إنّ أباها زوّجها من رجل آخر، فما تقول؟ فكتب عليه السلام: «**التزويج الدائم لا يكون إلّا بوليّ وشاهدين، ولا يكون تزويج متعة ببكر، استر على نفسك واكتُم رحمك الله**[٤]».

فقه الأحاديث أيضاً ظاهرٌ بل صريح في خلاف مفاد الأحاديث السابقة، فإنّها تنادي بأنّ المتعة للأبكار بلسان النفي والإثبات هل جعل ذلك إلّا للأبكار تصرّح بأنّ البكر بين يدي أبويها على تسترٍ عنهما تدعو رجلاً للاستمتاع يجوز ذلك على رعاية البكارة ويسئل المتمتّع أنّه إذا رضيت بالدخول أيضاً يُجاب وإن رضيت، إلّا أنّ ذلك يمكن أن يفسّر بالنهي بمعنى أنّه لابدّ من اتّقاء الفرج وإن رضيت كما يدلّ عليه ذيل الحديث، فإنّه عارٌ على الأبكار، ويمكن أن يفسّر بأنّ الرضى لا يستلزم إلّا العار، ورضاها يوجب الجواز كما هو ظاهر الخبر الآخر.

ومحصّل الكلام أنّ التمتّع بالبكر مع الاتّقاء عن الفرج لا بأس به تعفّفاً للعذره

---

١. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥٨، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١١، ح ٦. القشب: رجلٌ لا خيرَ فيه.
٢. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥٨، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١١، ح ٧.
٣. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥٨، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١١، ح ٩.
٤. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥٨، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١١، ح ١١.

وتحرّزاً عن العار في العائلة. ومفاد ذلك أنّه لا بأس بالتمتّع بالبكر مع ملاحظة العذره أي مع التحرّز عن الدخول فكان مهيّة التمتّع عقدٌ ليس مهيّة الوطيّ بل الاستمتاع فيشمل الملاعبة والملامسة وكلّ لذّة غير الدخول وترى أنّ طبيعة هذا التمتّع كثيراً ما ينتهي إلى التراضي بالدخول حتّى مع استلزامه العار أي نفي العذره وصريح الخبر قال: إذا رضيت لا بأس إلّا أنّه عارٌ على بيته بمعنى أنّه غير حرام شرعاً ولا يصدق أنّها زانية، وحينئذٍ صريح روايات القسم الأوّل عدم الجواز إلّا مع إذن الأب في البكر وصريح روايات القسم الثاني الجواز ما لم يفتضّها أي مع حفظ العذرة أي مع التحرّز عن الدخول حتّى إذا دعت البكر الرجل إلى نفسها على خفاء من أبويها مع كونها بينهما يستفاد الجواز مع حفظ العذرة بأيّ وجه فسّرنا قوله ﷺ وإن رضيت أي الأمر بلزوم اتّقاء موضع الفرج وإن رضيت.

بقي هنا ما احتملنا من قبل في خبر أبي نصر البزنطي وخبر أبان من أنّ إذن الأب في ذلك من باب الولاية وشؤون الأبوّة لا بمعنى بطلان التراضي وعدم صحّة عقد التمتّع كما لا يبعد .

الجمع بين روايات الباب

فمحصّل الجمع بين الروايات بأجمعها أنّ التمتّع بالنساء سنّةٌ حسنة ولمن لم يجد النكاح أحسن، بل قد يجب تحرّزاً عن الحرام وفي طرف النساء أنّهنّ يملكن أنفسهن بعد البلوغ ولهن التزويج دائماً وغير دائم وإذا كُنّ أبكاراً بين الوالدين عليهن رعاية إذن الأب وموافقته رعايةً لشأن الولاية وفي الدائم إلى حدّ له دخل في صحّة العقد والتقدّم عند التعارض، ومع ذلك يصحّ نكاحها مع الكفو ورعاية المصالح المتعارفة إذا لم يرض الأب، وفي الموقّت كذلك لا بأس به مع اتّقاء موضع الفرج ورعاية التحرّز عن العار.

ومع ذلك كلّه إذا دعت البكر الرجل إلى نفسها متعةً ولو متستّراً عن والديه لم يمنع

الرجل عن القبول مع اتّقاء موضع الفرج فكأنّ المانع حفظ العذره لما لابدّ لها من التزويج الدائم. فإذا كانت بكراً لها اعتبار وإذا كانت ثيّبة لها اعتبار آخر وإلّا فأصل التمتّع بما هي بعد بلوغها ورشدها في رعاية مصالحها عليها التحرّز عن الحرام وحفظ العذره. فكأنّ التمتّع لا يساوي الوطي والدخول كما في النكاح. فإذا دار أمرها بين أن تصير زانيةً ثيّبة أو تمتّع مع حفظ العذره ورعاية مرحلة الأُخرى في زواجها الدائم فيجوز التمتّع شرعاً إذا لم تفتضّها وإذا اتّقى موضع الفرج وإن انتهى الأمر في العمل إلى الدخول مع رضاها فلا بأس. فإنّه ليس بالزنا الحرام الذي له حدّ.

وأمّا الثيّبات فيملكن أنفسهن يفعلن فيها ما شئن من النكاح الدائم أو التمتّع الموقّت.

***

إلى هنا ما يستظهر من روايات الباب والجمع المتعارف البدوي بينها. ولكن لابدّ في المقام من ملاحظة أُمور:

الأوّل: أنّك ترى في تلك الروايات الصحاح والموثّقات والضعاف والمرسلات في أصل جواز المتعة وشرائطها وبالأخصّ في المسألة المبحوث عنها أي التمتّع بالأبكار إلّا أنّ مضامينها كأنّها المتواترات بالمعنى وإن لم يكن كذلك بلفظ خاصّ فاللآتي تدلّ على عدم الجواز إلّا بإذن الأب كذلك واللآتي تدلّ على الجواز حتّى على خفاء من الأبوين مقيّداً باتّقاء موضع الفرج ولذلك لابدّ من ملاحظة فتاوى الأصحاب المتقدّمين منهم، نشير إلى بعضها:

١ ـ الأوّل في فقه الرضا المنسوب إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: والوجه الثاني نكاح بغير شهود ولا ميراث وهو نكاح المتعة بشروطها[1]. إلى آخر ما ذكر ولم يتعرّض لما نحن بصدده من نكاح المتعة في البكر، فراجع.

٢ ـ وقال الصدوق رحمه الله في المقنع: اعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أحلَّ المتعة ولم يُحرّمها حتّى

١. سلسلة الينابيع الفقهية، ج ١٨، ص ٣.

قبض... إلى قوله: ولا تتمتّع بذوات الآباء من الأبكار إلّا بإذن آبائهنّ[١]. وقال في الهداية: وأمّا المتعة فإنّ رسول الله ﷺ أحلّها ولم يحرّمها حتّى قبض إلى آخرها، قال: من غير تعرّض لما نحن بصدده[٢].

٣ ـ وقال المفيد في المقنعة: والنكاح على ثلاثة أضرب؛ فضربٌ منه يسمّى نكاح الغبطة وهو نكاح المؤجّل المنعقد بالأجور المذكورة على التعيين لها والاشتراط[٣].

وفي مقام التفصيل قال: ومن أراد أن يعقد المتعة فليستسرّ به إن شاء ويشرط فيه أجلاً محدوداً وأجراً معيّناً إلى آخر ما ذكر من الشرائط والآثار من غير تعرّض لما نحن بصدده من متعة الأبكار. ولعلّ الاستتار كان لشرائط زمانه والتقيّة من شرّ السلطان.

٤ ـ وقال السيّد المرتضى في الانتصار: مسألة وممّا شنّع به على الإماميّة وادّعى تفرّدها به وليس الأمر على ذلك نكاح المتعة، ثمّ عرّفها وذكر في ردّ القول بانفراد الإماميّة على حليّتها بأنّ عليّاً ﷺ وعبد الله بن عبّاس وعبد الله بن مسعود ومجاهد وعطاء كانوا قائلين بإباحتها وأنّ جابر بن عبد الله الأنصاري وسلمة بن الأكوع وأبي سعيد الخدري والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير وابن جريح أنّهم كانوا يفتون بها ثمّ استدام البحث بتفصيل جامع فيما قيل بين الشيعة والسنّة ومع ذلك لم يتعرّض لما نحن بصدده، فراجع واغتنم[٤]. فإنّ البحث دقيق حقيق بملاحظة ما ذكره ﷺ. وكذلك قال في الناصريّات من غير تعرّض لما نحن بصدده.

٥ ـ وقال أبو الصلاح الحلبي في الكافي: وأمّا نكاح المتعة فمن شرط صحّته أمران تعيين الأجر والأجل... إلى قوله: ولا يجوز التمتّع بالبكر إلّا بإذن أبيها ويجوز بالثيب من غير إذنه ويجوز الجمع في هذا النكاح بين أكثر من أربع.. إلى آخر ما ذكر[٥].

---

١. سلسلة الينابيع الفقهية، ج ١٨، ص ٢٢.

٢. سلسلة الينابيع الفقهية، ج ١٨، ص ٢٧.

٣. سلسلة الينابيع الفقهية، ج ١٨.

٤. سلسلة الينابيع الفقهية، ج ١٨.

٥. سلسلة الينابيع الفقهية، ج ١٨.

٦ ـ والأدقّ الأقرب إلى الحقّ ما ذكره شيخ الطائفة الطوسي ﷺ في النهاية بعدما ذكر أقسام النكاح ومنها المتعة قال: لا بأس أن يتزوّج الرجل متعةً بكراً ليس لها أب من غير وليّ ويدخل بها، فإن كانت البكر بين أبويها وكانت دون البالغ لم يجز له العقد عليها إلّا بإذن أبيها وإن كانت بالغاً وقد بلغت حدّ البلوغ وهو تسع سنين إلى عشر جاز له العقد عليها من غير إذن أبيها إلّا أنّه لا يجوز له أن يفضي إليها والأفضل أن لا يتزوّجها إلّا بإذن أبيها على كلّ حال[١].

ولعلّ ما ذكره ﷺ هو مقتضى الجمع بين روايات الباب ومقتضى الاحتياط فإن كانت بالغة ودعت إلى نفسها بغير إذن أبيها متعةً على ما دون الفرج كانت صحيحةً مشروعة ولا يجوز له أن يفضي إليها وإن رضيت، ومقتضى الاحتياط رعاية إذن أبيها.

٧ ـ وقال سلّار في المراسم: نكاح المتعة هو المؤجّل المفتقر إلى تعيين الأجر والأجل.. إلى آخر ما ذكر من غير إشارة إلى ما نحن بصدده[٢].

٨ ـ وقال ابن برّاج في المهذّب بعد تعريف نكاح المتعة وشرائطها: ويجوز العقد على المرأة البكر والدخول بها إذا لم يكن لها أب، فإن كان لها أب جاز العقد عليها بإذنه والأحوط أن لا يعقد عليها إذا لم يأذن في ذلك، ثمّ ذكر فروعاً كثيرة، فراجع[٣].

٩ ـ وقد تعرّض الراوندي في فقه القرآن البحث حول نكاح المتعة بتفصيل في إثبات الحلّية والاستدلال عليها والجواب عمّا ذكره المخالفون ولم يتعرّض لما نحن بصدده من التمتّع بالأبكار بلا إذن أبيهنّ[٤].

١٠ ـ وكذلك ابن زهرة في كتابه غنية النزوع تعرّض لهذا النكاح والبحث عنه بتفصيل ولم يتعرّض لما نحن بصدده[٥].

---

١. سلسلة الينابيع الفقهية، ج ١٨، ص ١١٩.
٢. سلسلة الينابيع الفقهية، ج ١٨، ص ١٣٦.
٣. سلسلة الينابيع الفقهية، ج ١٨، ص ١٩٤.
٤. سلسلة الينابيع الفقهية، ج ١٨.
٥. غنية النزوع، ص ٢٨٢.

١١ ـ وقال ابن حمزة الطوسي في الوسيلة: ... فالبكر البالغة إذا كانت بين الأبوين وكانت رشيدة يجوز عقد المتعة عليها بغير إذن أبيها ولا يجوز له الإفضاء إليها وإن رضيت وإن عقد بإذن أبيها وشرط أن لا يفتضّها فكذلك وإن أطلق جاز ذلك وإن كانت غير رشيدة أو طفلاً لم يجز العقد عليها إلّا بإذن أبيها[١].

١٢ ـ وقال الصهرشتي في إصباح الشيعة بعد توضيح المتعة وبيان أحكامها: ولا بأس أن يتمتّع ببكر لا أب لها من غير وليّ ويدخل بها إذا كانت بالغاً، فإن لم تبلغ ولها أب لم يجز العقد عليها إلّا بإذن أبيها وإن كانت بالغاً، وهي التي لها تسع سنين جاز أن يعقد عليها بلا إذن أبيها إلّا أنّه لا يحلّ له أن يفضي إليها[٢].

١٣ ـ وقد تعرّض ابن إدريس في السرائر للمتعة عند بيان أحكام النكاح وأقسامه ولم يتعرّض لما نحن بصدده[٣].

١٤ ـ وقال المحقّق في الشرائع: ويكره أن يتمتّع ببكرٍ ليس لها أب، فإن فعل فلا يفتضّها وليس بمحرّم[٤]. وكذلك في المختصر النافع قال: ويكره بالزانية وليس شرطاً وأن يستمتع ببكرٍ ليس لها أب، فإن فعل فلا يفتضّها وليس محرماً ولاحصر في عددهن[٥].

١٥ ـ وقال العلّامة ﷺ في القواعد: ويكره الزانية فيمنعها لو فعل وليس شرطاً وعدم استئذان الأب في البكر والتمتّع ببكرٍ ليس لها أب فلا يفتضّ، لو فعل وليس محرّماً[٦].

١٦ ـ وقال صاحب الجامع للشرائع يحيى بن سعيد الهذلي: ويجوز متعة البكر

---

١. الوسيلة، ص ٣٠٦.
٢. الوسيله، ص ٣٣٧.
٣. سلسلة الينابيع الفقهيه، ج ١٩، ص ٣٨٠.
٤. سلسلة الينابيع الفقهيه، ج ١٩، ص ٤٩٠.
٥. سلسلة الينابيع الفقهيه، ج ١٩، ص ٥٣٧.
٦. سلسلة الينابيع الفقهيه، ج ١٩، ص ٦٢١.

البالغ ولا يفضي إليها إن كانت بين أبويها وإن أذنت وإن لم تكن بين أبويها جاز إلّا أن يشترط أن لا يُفضيها إلّا أن تأذن له وإن كانت دون البالغ لم يصحّ التمتّع بها إلّا من وليّها وله حينئذٍ الإفضاء إليها إلّا أن تشترط عليه وإنّما يكون للشرط أثر إذا ذكر في العقد ولا يلحقه ما ذكر قبله(١).

١٧ ـ وقد تعرّض الشهيد‪‬ في اللمعة أصل المسألة ولم يتعرّض لما نحن بصدده(٢).

محصّل البحث

ومحصّل البحث، أنّك ترى أنّ فتاوى الأصحاب الذين تعرّضوا للمسألة المبحوث عنها متّخذة من روايات الباب مع اختلاف خبرتهم على الإفتاء ولم يتعرّض لها كثيرٌ منهم، فالذين تعرّضوا لها مثل الصدوق في المقنع، والحلبي في الكافي والشيخ في النهاية وابن البرّاج في المهذّب وابن حمزة في الوسيلة والصهرشتي في إصباح الشيعة والمحقّق في الشرائع والمختصر والعلّامة في القواعد وسعيد الهذلي في الجامع للشرائع. ومحصّل عباراتهم التي عرفت يجمعها جواز التمتّع بالبكر البالغ التي بين أبويها بلا إذن أبيها ولكن لا يفضيها وإن رضيت والأحوط الإذن ولا بأس إذا لم يكن لها أب، وإن كانت دون البالغة لم يصحّ التمتّع بها إلّا من وليّها وله حينئذٍ الإفضاء إليها إلّا أن تشترط عليه وإن ذهب إلى الكراهة المحقّق ‪‬ كما عرفت ولم يتعرّض للبحث كثير منهم، مثل الصدوق في الهداية والمفيد في المقنعة والمرتضى في الانتصار والناصريات وسلّار في المراسم والراوندي في فقه القرآن وابن زهرة وابن إدريس والشهيد في اللمعة بعد أنّهم تعرّضوا لأصل البحث من حلّية المتعة وشرائطها واختلافهم مع العامّة وردّ استدلالاتهم، فراجع.

---

١. سلسلة الينابيع الفقهيه، ج ١٩، ص ٥٦٨.
٢. اللمعة الدمشقيّة، ص ٦٨٣.

ومحصّل ذلك أنّ تجويز المتعة حتّى بالبكر حتّى بلا إذن أبيها مع الاتّقاء من موضع الفرج كان محلّ مشكلة النكاح والزواج في المجتمع وظاهر الحكم وأدلّتها لا يختصّ بزمانٍ دون زمان، فإنّ حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة ولا يجوز لأحدٍ تحريم الحلال ولا تحليل الحرام وتشريع الحكم لا يكون لزمانٍ إلّا إذا أحرز النسخ وما قد يؤيّد من اختيارات الحاكم الوليّ لا يرتبط بأصل الحكم بل له المنع في زمانٍ خاص لمصلحة أقوى موقّتاً أو لأشخاصٍ معيّنين كذلك كما عرفت في نهي الإمام عليه السلام أحداً من شيعته احترازاً من اطّلاع السلطان وجريمته ثمّ مجازاته.

فما نهى عنه عمر بن الخطّاب لو كان من هذا القبيل لكان له وجه، لكن لسان كلامه لسان التحريم التشريعي، فإنّه قال: متعتان كانتا محلّلتان وأنا أحرّمهما متعة الحجّ ومتعة النساء، ولكن أكثر فقهاء العامّة تسلّموا ذلك مع أنّه لم يكن له حقّ التشريع ولم يكن له، ولو بعنوان الحاكم المتصرّف في شؤون الأُمّة ومع ذلك لم يقبل منه بعض الصحابة العظام كما عرفت، مثل ابن عبّاس وعليّ عليه السلام وغيرهما، ونشير إلى كلمات بعض فقهائهم المتقدّمين.

١ ـ قال أحمد بن محمّد القدوري البغدادي المتوفّى ٤٢٨ هـ. ق في كتابه المختصر... ونكاح المتعة والنكاح الموقّت باطل[1].

٢ ـ وقال أبو بكر بن مسعود القاساني الحنفي ملك العلماء المتوفى ٥٨٧هـ.ق في كتابه بدائع الصنائع عند الكلام في ألفاظ عقد النكاح: ولا ينعقد النكاح بلفظ الإجارة عند عامّة مشايخنا إلى قوله: لأنّ المتعة عقد منسوخ.

وقال في فصل التأبيد: فلا يجوز النكاح الموقّت وهو نكاح المتعة وأنّه نوعان أحدهما: أن يلفظ التمتّع، والثاني: أن يكون بلفظ النكاح والتزويج وما يقوم مقامهما. أمّا الأوّل فهو أن يقول: أعطيتك كذا على أن أتمتّع منك يوماً أو شهراً أو سنةً أو نحو ذلك وأنّه باطل عند عامّة العلماء. وقال بعض الناس: هو جائز واحتجّوا بظاهر قوله

---

١. المصادر الفقهيّة، ج ٢٩، ص ٨.

تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ والاستدلال بها من ثلاثة جهات أحدها: أنّه ذكر الاستمتاع ولم يذكر النكاح والاستمتاع والتمتّع واحد. والثاني: أنّه تعالى أمر بإيتاء الأُجرة حقيقته الاجارة والمتعة عقد الإجارة على منفعة البضع. والثالث: أنّه تعالى أمر بإتياء الأجر بعد الاستمتاع وذلك يكون في عقد الإجارة والمتعة، فأمّا المهر فإنّما يجب في النكاح بنفس العقد، ويؤخذ الزوج بالمهر أوّلاً ثمّ يمكن الاستمتاع، فدلّت الآية الكريمة على جواز عقد المتعة[1].

ثمّ أجاب عن ذلك بأمور واهية استظهاراً من الكتاب والسنّة والإجماع من غير تعرّض لنهي ابن الخطّاب بعد وجودها في زمن رسول اللهﷺ وعدم فسخه وحتى في زمن أبي بكر، وقسم من زمن نفسه، فراجع.[2]

٣ ـ وقال علي بن أبي بكر عبد الجليل الرغباني في كتابه الهداية: قال الشافعي: نكاح المتعة باطل وهو أن يقول: لامرأة أتمتّع بكذا مدّة بكذا من المال، وقال مالك: هو جائز لأنّه كان مباحاً يبقى إلى أن يظهر ناسخه، وأجاب بأنّه ثبت نسخه بإجماع الصحابة رضي الله عنهم[3].

وقد عرفت أنّه لا إجماع بين الصحابة لا أقلّ من ابن عبّاس وعلى و غيرهما.

وقريب من ذلك ما ذكره غيرهم من صفة ميلهم في المنع والإشارة إلى الجواز عند البعض وكثير منهم لم يشيروا إلى نهي عمر إلّا بعضاً منهم فراجع ما قاله القدامه في الكافي من عدم جواز نكاح الشغار والمتعة والنهارية وبيّن معانيها ووجه بطلانها[4].

٤ ـ ومحمد بن أحمد بن رشد في بداية المجتهد ذكر اختلاف الأصحاب في يوم تحريمها أنّه كان يوم خيبر أو يوم الفتح أو غزوة تبوك أو حجّة الوداع أو عام أوطاس وذلك صريحٌ في قبول أنّها كانت جائزة أوّلاً إلّا أنّها حرّمها رسول اللهﷺ في أحد

---

١. المصادر الفقهية، ج ٢٩، ص ١٠٨ إلى ١١٠.
٢. المصادر الفقهية، ج ٢٩، ص ١٠٨ الى ١١٠.
٣. المصادر الفقهية، ج ٣٠، ص ٣٥٣.
٤. المصادر الفقهية، ج ٣٠، ص ٦٥٩.

الأيّام، والتحريم في تلك الأيّام لو ثبت كان لمقتضيات فيها دون نسخ الحكم إلى الأبد، وبعد ذكر التحريم عند أكثر الأصحاب وجميع الفقهاء صرّح بأنّ ابن عبّاس ومن تبعه من أهل مكّة وأهل اليمن اشتهر عنهم حلّيتها ونقل استدلالهم بالآية الشريفة ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ﴾، وإشارة إلى قراءة إلى أجلٍ مسمّى ونقل رواية عنه أنّه قال: ما كانت المتعة إلّا رحمةً من الله عزّ وجلّ رحم بها أمّة محمّد ولولا نهي عمر عنها ما اضطرّ إلى الزنا إلّا شقيّ.. إلى قوله:

وهذا الذي روي عن ابن عبّاس رواه عنه ابن جريج وعمر بن دينار وعن عطاء قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: تمتّعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر ونصفاً من خلافة عمر ثمّ نهى عنها عمر الناس[1].

٥ ـ وقال محمّد بن أحمد بن جزي في (القوانين الفقهيّة): وأمّا المتعة فهو النكاح إلى أجل وهو حرام بعد أن كان حلالاً نسخ يوم خيبر خلافاً لابن عبّاس[2]. وقريب من ذلك ما عن محمّد بن إدريس الشافعي في كتابه الأمّ[3].

وقال المتأخّرين، منهم مثل السيّد سابق في كتابه فقه السنّة بعد تعريفه لنكاح المتعة: هو زواج متّفقٌ على تحريمه بين أئمّة المذاهب، وأشار إلى أدلّتهم إلى قوله: وذهبت الشيعة الإماميّة إلى جوازه ثمّ ذكر أركانها وفروعاً في المقام، فراجع[4].

الثاني: من الأمور التي لابدّ من ملاحظتها في البحث العناية إلى شرائط الزمان القرن الحاضر في البلاد الإسلاميّة وسيّما في بلدنا الجمهورية الإسلاميّة الراقية السامية تحت قيادة الولي الفقيه آية الله الخامنئي (دام ظلّه) من الزيادة في النموّ البشري باضطراد وخصوصاً الفئات الشابّة بحمد الله القادرة على تأسيس وإدارة المدارس

١. المصادر الفقهية، ج ٣٠، ص ٧٢٥.
٢. المصادر الفقهية، ج ٣٠، ص ٧٧٢.
٣. الأمّ، المصادر الفقهية، ص ٩٥٤.
٤. فقه السنّة، ج ٢، ص ٤١ إلى ٤٤.

والمعاهد والحوزات العلميّة للرجال والنساء، ناهيك عن حضور العنصر النسوي وبفعّاليّة في إدارة شؤون المجتمع بكلّ نواحيه خصوصاً بعد انتصار الثورة الإسلاميّة إلى حدّ تقاربت نسبة المتعلّمين من النساء والرجال في المعاهد والكلّيات الأكاديميّة والحوزات العلميّة، وحضورهنّ في مؤسّسات الدولة المهمّة كالقوّة التنفيذيّة والتشريعيّة والقضائيّة ناهيك عن دورهن الفعّال في الجانب الصحّي وفروعه ومنظّماته، أضف إلى ذلك التغيّرات في بناء المدن والمجمّعات السكنيّة الفرديّة والجماعيّة ووسائط النقل الحديثة... بل كلّ مفردة من مفردات الحاضر لا تُقاس بالماضي.. فكلّ شؤون الحياة الاقتصاديّة والسياسيّة والثقافية والأمنيّة والعسكريّة أصبحت أكثر فعّاليّة وتطوّراً كما لا يخفى.

***

هذا ومحصّل البحث أنّ ماهيّة عقد التمتّع غير عقد النكاح، فإنّ النكاح يساوق الوطي والدخول ولا يجوز الشرط على خلاف مقتضى العقد من ترك الدخول ويكون مؤبّداً وبالدخول يلزم المهر وبينهما الإرث والولد والأحكام العديدة في النشوز والتسليم والولد والرضى وغيرها ممّا ذكر بتفصيل في محلّه. وأمّا المتعة فماهيّتها و مقتضى طبعها التمتّع والاستمتاع مطلقاً ويعمّ الدخول وعدمه، فلا يكون الالتزام بترك الدخول خلاف مقتضى العقد بل وقع التصريح بجوازه كما عرفت في حديث أبي سعيد القمّاط سأل عن جارية بكر بين أبويها تدعوني إلى نفسها مستتراً عن أبويها فأفعل ذلك؟ قال: «**نعم، واتّق موضع الفرج**، [قال: قلت: وإن رضيت بذلك؟ قال:] **وإن رضيت فإنّه عارٌ على الأبكار**»[١].

وعندئذ فالاستمتاع من باب الإجارة والأُجرة قبال البضع ويتوقّف صحّته على ذكر الأجل ومبلغ الأُجرة ولا توارث ولا ولد، وإن كانت صحيحةً ملحقة بالأب ويصحّ شرط عدم التمتّع بالدخول ولابد أن تكون خليةً وعليها بعد الدخول العدّة

---

١. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٥٨، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١١، ح ٧.

بحيضة أو شهر ونصف ومع عدم الدخول لا عدّة لها.

ولا فرق في البكر وغيرها إلّا أنّ في البكر لابدّ أوّلاً من إذن أبيها إذا كان لها أب احتياطاً وليس بحرام بدون إذنه مع اتّقاء موضع الفرج احترازاً عن العارفي العذره عند نكاح الدائم سيّما إذا كانت من بيوت الشرف، وإن رضيت حين الاستمتاع لغلبة الشهوة.. ذلك هو الذي تراه متعارفاً بين المتديّنين في بلادنا هذه عند إرادة التزويج الدائم من الموافقة على صيغة المؤجّل يعبّر عنها بالمحرميّة وهي هذه المتعة في البكر بزمان معيّن ومبلغ معيّن حتّى يخلوا ليتحدّثا ويتعارفا وربما معاشرة محدودة تعميقاً لأواصر المحبّة بينهما دون التمتّع بالفرج بل قد يكون كذلك عندهم في عقد الزواج الدائم من المعاشرة أكثر من الاستمتاع، امّا من دون الفرج يقيّد ذلك بليلة الزفاف وذهاب العروس في بيت الزوج والصهر رسماً ولكن هذا لا ينافي أحكام الشرع ولذلك قد تصبح الزوجة حاملة في هذه الحالة ولا بأس في ذلك .

وكيف كان، عقد التمتّع على نحو ما عرفت جائزٌ شرعاً وفي البكر كذلك مع إذن أبيها ودون إذنه خلاف الاحتياط وحكمته إحترازاً عن العار في العذره. هذه هي حكم الله المستنبط من الأدلّة الشرعيّة في الكتاب والسنّة. ولكن مع ذلك كلّه لابدّ من ملاحظة شرائط الزمان وعرف العامّة في العمل لا في حكم الشرع والتحرّز عنها لبعض دون بعض، سيّما على الذين يراقبونهم الناس في أعمالهم كلّياً وجزئيّاً ولا سيّما من المسؤولين.

ولقد سمعت عن قائد الأمّة الإسلاميّة الخامنئي (أدام الله ظلّه الشريف) أنّ زواج الثانية في شرائطها الخاصّة للمسؤولين في نظام الحكومة الإسلاميّة غير جائز بعنوان ثانوي، وليس بحرام شرعاً بدوياً من أنّ ضرره على الإسلام والمسلمين أكثر من نفع الفرد. وأمّا كثيراً من عباد الله المتعارفين لا يكونون أُسوة ومقتدى للناس، فلا بأس لهم لا في تعدّد الزوجات ولا في المتعة وتكثّرها، بل هي سنّةٌ من أحياها فقد أحيى سنّة رسول الله ﷺ.

ولكنّك تعرف أنّا سمعنا عن أُستاذنا الأعظم الإمام الخميني‌ﷺ أنّه قال: من عوامل الاجتهاد بل من عناصره الأصليّة الزمان والمكان، وقد فسّر ذلك بوجوه وتعابير مختلفة، وعرفت منّا سابقاً أنّ المراد تأثّر عرفان الزمان والمكان في المستفاد والمستنبط من روايات الباب وأدلّة الأحكام كتاباً وسنّةً، ولكن نزيد هنا أنّ منها رعاية بيان الفتوى وجواب الاستفتاء مع ملاحظة العنصرين الزمان والمكان سيّما في قسم من أحكام الله تعالى من المستحبّات أو المباحات ولا سيما في بعضها الأخصّ الذي لابدّ من ملاحظة غرض السائل والمستفتي أو تعامل الناس مع تلك الفتوى حسب شرائط مستوىٰ ثقافتهم، ولاسيّما في مثل شرائط زماننا المعروف بثورة الإعلام وكثرة أجهزة المعلومات والوسائل المتنوّعة من الأصدقاء والأعداء، ولا سيّما المخالفين منهم لاستقرار النظام الحاكم الرشيد القويّ العزيز الذي يرقى ويعلو يوماً بعد يوم في ميادين الشعوب في أرجاء المعمورة ألا وهو نظام الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، ولذلك يتربّص به الأعداء من الغربيّين وغيرهم.

وسمعنا أنّه سئل عن فقيه عالي الشأن كان بمعرض المرجعيّة العامّة أنّ الشهادة بولاية عليّ‌ﷺ من الأذان أو لا؟ فأجاب الحكم الشرعي فاتّهموه بأنّه من السنّة وكذا وكذا وأبعدوه عن مقامه، وكذلك بعض الأسئلة المتعلّقة بتعزية سيّد الشهداء‌ﷺ مع اشتماله الحرام من لبس الرجال لباس النساء وبعض آلات اللّهو واستعمال السفه وغيره، وبعد انتصار الثورة الإسلاميّة وحاكميّة الإسلام وزعامة المؤسّس الإمام الخميني‌ﷺ وقيادة القائد العظيم المدبّر قد تغيّر بعض الشرائط وأُجيب عن بعض الأسئلة بصراحة وبقي بعضها بحالها، ولقد سمعنا نقلاً عن الإمام الخميني‌ﷺ أنّه قال: لولا ملاحظة بعض الأُمور الحاكمة في الحوزات وغيرها لقلنا بعض ما عندنا، مع أنّه‌ﷺ كما هو المعروف من أتقى الفقهاء العظام في زمانه ومن أشدّ المناوئين في فتاواه في مسألة البلاد الكبيرة ولم يكن التعبير في روايات الباب.

وكيف كان، بعد اللّتيا والّتي وبعدما عرفت حكم الله تعالى في المتعة ومقتضى

روايات الباب وجمعها وفتاوى الأصحاب وحتى مع ملاحظة فتاوى العامّة لا خفاء في نظر أئمّتنا المعصومين عليهم السلام وفتاواهم سيّما قوله عليه السلام: **«فانت على قول صاحبك وأنا على قول رسول الله صلى الله عليه وآله»**[1].

وأمّا هل لنا إعلان هذه الفتوى في شرائط عرفت من الزمان والمكـان في بـلدنا وبلاد الإسلام وروابط الفتيات والشبّان في المجتمع وفي جميع شؤون الحياة من السوق والطرقات والشوارع والمساكـن، إضـافةً إلى المـدارس والمـعاهد والحـوزات وكـلّ الإدارات، وأنت ترى أنّ ما يترتّب على إعلان هذه الفتوى من العوارض المـتشتّتة المختلفة في الأُسر والمجتمعات وغيرها لا يترتّب عليه إحياء السنّة التي أمـاتها مـن أمات، والأئمّة عليهم السلام كانوا بصدد إحيائها فلا ينتج الأمر المطلوب لا نريد تغيير حكم الله وتطبيق ذلك على الزمان ولو كان الأمر كذلك لم يبق من الإسلام إلّا اسمه بل نريد أنّ بيان ذلك الحكم مع أنّه من السنن دون الواجبات لا يساعده الزمان والمكان ولكن في مقام التحقيق واكتشاف الحقّ واستنباط حكم الله تعالى الأمر ظاهر، ونرجو من الله تعالى أن يساعد الزمان والمكان للعمل بجميع أحكام الإسلام حتّى السنن والآداب إن شاء الله. والحمد لله أوّلاً وآخراً على إتمام الرسالة في تلك العطلة الشهريّة من شهر شعبان المعظّم.

***

---

۱. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤٣٧، كتاب النكاح، ابواب المتعة، باب ١، ح ٤.

صلة الرحم

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إشكال في أنّ صلة الرحم من الأحكام المؤكّدة استحباباً تدلّ عليه روايات كثيرة، بل الآيات مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ... إلى قوله تعالى: وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[1].

ومثل رواية ابن صدقة عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: **«أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ المعروف يمنع مصارع السوء وأنّ الصدقة تُطفئ غضب الربّ، وصلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر..»** الحديث[2]. وغيرها من الآيات والروايات.

إنّما الكلام في موضوع الحكم وأنّ الرحم في المقام هو الرحم في باب الإرث أي المختصّ بالنسب على التفصيل المذكور في بابه بمراتبه الثلاثة من الآباء والأُمّهات والأبناء، أو يعمّ السبب ويشمل السبب من المصاهرة، فعلى الصهر أن يصل أبا زوجته وأُمّها بل وإخوانها وأخواتها وسائر المنتسبين بالسبب وبالعكس، وكذلك زوجة الابن «العروس» عليها أن تصل أبا زوجها وأُمّه وسائر المنتسبين به.

فإن قلنا بالأوّل ليس على الصهر استحباب صلة أقرباء زوجته وليس على

---

1. الآيات ٢١ ـ ٢٥ سورة الرعد (٢٥).
2. بحارالأنوار، ج ٧١، ص ٨٨، ح ٢.

الزوجة استحباب صلة أقرباء زوجها كلّ منهما يصلون الأقرباء المنسوبين بالنسب منفرداً ولا بأس بترك الزوجة كلّ أقرباء زوجها، وكذلك لا بأس بترك الزوج كلّ أقرباء زوجته.

وهل هذا يساعد الحكمة في حكم صلة الرحم؟

قال العلّامة المجلسي؆ في البحار بعد نقل روايات الباب:

واعلم أنّ العلماء اختلفوا في الرحم التي يلزم صلتها فقيل: الرّحم والقرابة نسبةٌ واتّصال بين المنتسبين يجمعها رحم واحد.

وقيل: الرحم عبارة عن قرابة الرجل وجهة طرفيه: آبائه وإن علوا وأولاده وإن سفلوا وما يتّصل بالطرفين من الإخوان والأخوات وأولادهم والأعمام والعمّات.

وقيل: الرحم التي تجب صلتها كلّ رحم بين اثنين، لو كان ذكراً لم يتناكحا، فلا يدخل فيهم أولاد الأعمام والأخوال.

وقيل: هي عام في كلّ ذي رحم من ذوي الأرحام المعروفين بالنسب محرّمات أو غير محرّمات وإن بعدوا.

وهذا هو الأقرب إلى الصواب بشرط أن يكونوا في العرف من الأقارب وإلّا فجميع الناس يجمعهم آدم وحوّاء.

وأمّا القبائل العظيمة كبني هاشم في هذا الزمان هل يعدّون أرحاماً؟ فيه إشكال ويدلّ على دخولهم فيها ما رواه علي بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[1] أنّها نزلت في بني أميّة وما صدر منهم بالنسبة إلى أهل البيت؈ .

قال ابن الأثير في النهاية: فيه من أراد أن يطول عمره فليصِل رحمه وقد تكرّر في الحديث ذكر صلة الرّحم وهي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والتعطّف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا أو

١. الآية ٢٢ سورة محمّد (٤٧).

أساؤوا. وقطع الرحم ضدّ ذلك كلّه. يُقال: وصل رحمه يصلها وصلاً وصلةً. والهاء عوض من الواو المحذوفة فكأنّه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر، انتهى.

وقال الشهيد الثاني ﷺ: اختلف الأصحاب في أنّ القرابة مَن هم؟ لعدم النصّ الوارد في تحقيقه فالأكثر أحالوه على العرف وهم المعروفون بنسبه عادة سواء في ذلك الوارث وغيره.

وللشيخ قولٌ بانصرافه إلى من يتقرّب إليه إلى آخر أب وأُمّ في الإسلام ولا يرتقي إلى آباء الشرك وإن عرفوا بقرابته عرفاً لقولهﷺ: قطع الإسلام أرحام الجاهليّة، وقوله تعالى لنوح عن ابنه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[1].

قال ابن الجنيد: من جعل وصيّته لقرابته وذو رحمه غير مُسمّين كانت لمن تقرّب إليه من جهة ولده أو والديه ولا اختار أن يتجاوز بالتفرقة ولا الأب الرابع لأنّ رسول اللهﷺ لم يتجاوز ذلك في تفرقة سهم ذوي القربى من الخمس، ثمّ على أيّ معنى حمل يدخل فيه الذكر والأُنثى والقريب والبعيد والوارث وغيره ولا فرق بين ذوي القربى وذوي الرحم. انتهى.

انتهى كلام صاحب البحار في بحث الموضوع وقد عرفت أنّ مختاره أنّ الرحم عامّ في كلّ ذي رحم من ذوي الأرحام المعروفين بالنسب محرّمات أو غير محرّمات وإن بعدوا.

وذلك هو القول الأوّل الاختصاص بالنسب إلّا أنّ فيه يعمّ كلّ ذي رحم فلا يشمل المصاهرة.

وقد يؤيّد ذلك بأنّ المتيقّن من الموضوع ذلك أي الرحم في الإرث وعند الشكّ في شمول الحكم غيرهم الأصل العدم.

وفيه: أنّ موضوع كلّ حكم بحسبه ولا قياس في الموضوع كما لا قياس في الحكم

---

١. الآية ٤٦ سورة هود (١١).

والقاعدة عندما لم يكن هناك حقيقة شرعيّة أي لم يوجد من الشارع بيان في تعيين حدود الموضوع فهو محوّل إلى العرف كما في كثير من الموضوعات للأحكام الشرعيّة، مثل الماء طاهر ومطهّر، الدم نجس، فإنّ تعيين حدود الماء والدم راجع إلى العرف بلا كلام والأمر في المقام كذلك.

فإذا قال الشارع صلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر من غير ذكرٍ لحدود الرحم فهو محول إلى العرف كما صرّح بذلك الشهيد الثاني ﷺ كما عرفت في قوله فالأكثر أحالوه على العرف، إلّا أنّه ﷺ ذكر نظيره العرفي في قوله: وهم المعروفون بنسبة عادة سواء في ذلك الوارث وغيره. ولكن عرفت من ابن أثير أنّه قال: وهي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار وكرّر ذلك في آخر كلامه في قوله: من علاقة القرابة والصهر.

وأمّا العرف المتشرّعة طيلة الزمان إلى زماننا هذا أنّ الزوجين معاً كانا يزوران والديهما مع أولادهما إذا كان لهما ولد دون أنّ الزوج يزور والديه منفرداً أو الزوجة كذلك، ويستدلّون بروايات الباب مثل قولهم ﷺ: **«الآباء ثلاثة أبٌ ولدك وأبٌ علّمك وأبٌ زوّجك**. وبآيات الحرمة من أزواج الأبناء من الأصلاب ومن ذلك لا تستر عن ابن زوجه ولا تستر أُمّ زوجته، فإنّهنّ محارم فلا تغفل[1].

وأمّا الكلام في الحكم وأنّ درجة منه واجب والأُخرى مستحبٌ لما يستفاد من الأدلّة أنّ قطيعة الرحم معصية وحرام كما ذكره الشهيد في القواعد على المحكي في البحار قال:

الرابع: هل الصلة واجبة أو مستحبّة؟ والجواب أنّها تنقسم إلى الواجب وهو ما يخرج به عن القطيعة، فإنّ قطيعة الرحم معصية بل هي من الكبائر، والمستحبّ ما زاد

---

١. ولا يرتبط البحث بمسألة الإحسان للوالدين الذي يدلّ عليه آيات الباب، فإنّه غير مسألة صلة الرحم حكماً وموضوعاً كما لا يخفى.

على ذلك[١].

فقد عرفت منّا مراراً في فقه القرآن أنّ الوجوب والحرمة الشرعيّة دائر مدار اعتبار الشرع حسب المصالح والمفاسد ولا يصحّ أن يُقال: إنّ ترك كلّ واجب حرامٌ شرعاً وترك كلّ حرام واجب شرعاً بحيث أن يكون في موضوع كلّ منهما حكمان الوجوب والحرمة، لا بل كلّ واجب واجب وكلّ حرام حرام، وما يقال في مقابله انتزاع عقلي لا حكم مجعول شرعي، وفي المقام صلة الرحم يزيد في العمر ويستحبّ، وقطيعة الرحم حرام. وأمّا إذا أراد ترك القطيعة وتوصله إلى إحسان وصلةٍ فلا يقال إنّه واجب شرعاً حيث يتحقّق به ترك الحرام، بل صلة الرحم مستحبّ شرعاً وبالعمل بذلك المستحبّ يترك القطيعة وينعدم الحرام، فلا يتمّ تقسيم الحكم إلى الواجب والمستحبّ، فتوجّه.

وتجد في كلامه ﷺ ما ذكرنا من أنّ المرجع هو العرف حيث قال الثاني ما الصلة التي يخرج بها عن القطيعة؟ والجواب المرجع في ذلك إلى العرف لأنّه ليس له حقيقة شرعيّة ولا لغويّة وهو يختلف باختلاف العادات وبُعد المنازل وقربها، انتهى[٢].

وفي المقام كلام في علم الكلام من تبيين وجه تأثير صلة الرحم في زيادة العمر إلى حدٍّ ورد في بعض روايات الباب، مثل ما عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

إنّ المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره إلّا ثلاث سنين فيمدّها إلى ثلاث وثلاثين سنة، وإنّ المرء ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فيقصرها الله إلى ثلاث سنين أو أدنى، قال الحسين: وكان جعفر يتلو هذه الآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٣].

---

١. بحارالأنوار، ج ٧١، ص ١١١.
٢. بحارالأنوار، ج ٧١، ص ١١١.
٣. الآية ٣٩ سورة الرعد(١٣).

والأمر ظاهر لا كلام فيه، فتوجّه.

ويؤيّد ما ذكرنا من القول الثاني وأنّه يعمّ النسب والمصاهرة ما ورد في الحديث النبوي (الرحم شجنة من الله عزّ وجلّ) يعني قـرابـة مشـتبكة كـاشتباك العـروق. وكذلك إطلاق العشيرة على الرحم، إطلاق القرابة وذي القربى على الصهر و إطلاق الأهل عليهم.

مصافحة النساء الأجنبيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهمَّ اهدني لما اختُلف فيه من الحقّ بإذنك

قد نقل في منشور اليومي من جماعة المدرّسين (رصد) عمّن هو يرى نفسه ممّن يعرف الإسلام والدّين (أحمد قابل) أنّه قال: لا بأس بالمصافحة مع النساء الأجنبيّات فيما إذا كان تركه إهانة كما في بلاد الغرب ومنشأ عدم الجواز في بلادنا هو العرف الإسلامي وليس في المقام إلّا خبر واحد ولا يُعتمد على خبر الواحد في مثل الأمور[1].

أقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، كيف يتصوّر الذي يرى نفسه العالم الديني والطالب الروحاني المتلبّس بلباس الدّين أن يتفوّه بمثل هذه الكلمات من المخالفة الصريحة مع ضروريّات الإسلام؟!

وليته قد رأى روايات الباب في كتاب الوسائل ج ١٤ أبواب مقدّمات النكاح باب ١٠٥ و ١٠٦، وبعض الأبواب الراجعة إلى تلك المباحث ولا أقلّ قد كان رأى الخبرين، ففي حديث المناهي خلال نواهي عديدة قال صلى الله عليه وآله: «و مَن صافح امرأة تُحرم عليه فقد باءَ بسخطٍ من الله عزّ وجلّ»[2]. وفي آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من

---

١. الرصد، لجامعة مدرّسين، مورخ ١٣٨٧/١٢/٥، رقم ١٦٤.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ١٤٢، كتاب النكاح، ابواب مقدماته و آدابه، باب ١٠٥، ح ١.

صافح امرأة حراماً جاء يوم القيامة مغلولاً ثمّ يُؤمَر به إلى النار»[١].

فإنّ صراحة الرواية بالحرمة الشديدة، بحيث لا يحتمل الحمل على الكراهة وغير ذلك. ولا يخفى على من لاحظ روايات تلك الأبواب حتّى في تعليم القرآن للنساء ومزاح المعلّم وتوبيخ الإمام عليه السلام إيّاه، فكيف اللّمس والتماس وما يقرب من ذلك؟

ولو كان العرف ملاك التشريع ورأينا تغيير العرف من خلال الزمان وقلنا بتغيير الأحكام الشرعيّة بذلك، فلم يبق حينئذٍ من الإسلام إلّا الرسم ومن القرآن إلّا الاسم.

اللّهُمَّ احفظ دينك وشريعتك، آمين يا ربّ العالمين.

١. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ١٤٣، كتاب النكاح، ابواب مقدماته و آدابه، باب ١٠٦، ح ٤.

علاقة مجلس الخبراء والقائد

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة فقهيّة، علميّة و سياسيّة!

ما هي العلاقة بين القائد ومجلس الخبراء ؟

ما هي العلاقة الأصيلة العريقة بين القيادة العليا في نظام حكم الجمهورية الإسلاميّة في إيران ومجلس خبراء القائد، سيّما بعدما تعيّن أحد الفقهاء العظام الجامعين لشرائط الإفتاء والقيادة حسب الترتيب المذكور في الأصل السابع والمائة من الدستور، وهل لهم النظارة والتصرّف والتدخّل في غير ما ذكر في الأصل الأحد عشر والمائة من النظارة على استمرار الشرائط المذكورة في الأُصول الخامس والتاسع والمائة، من العدالة والتقوى وعرفان الزمان والشجاعة والتدبير والإدارة ومعرفة السياسة وشرائط الاجتماعيّة وقدرة القيادة بعد صلاحيّة الإفتاء والفقاهة في مثل كيفيّة إدارة البلد وتصميمات القائد، سيّما في العزل والنصب ولا سيّما في الأُمور الراجعة إلى القوى المسلّحة وما شابه ذلك. وبعبارة أُخرى، هل لهم التصرّف في الأُمور الراجعة إلى القائد في إدارة الملك والملّة والشعب والبلد وافق نظره أو خالف، وهل لهم تصويب قرار في نظام الداخليّة الراجعة إلى مجلس الخبراء وإجلاسهم بمقتضى أصل الثامن والمائة المصرّح، بأنّ لهم تجديد النظر وتصويب القرارات الراجعة إليهم بأنفسهم، ولو كان خلاف نظر القائد أو لا ؟

أو الأمر بعكس ذلك وأنّ للقائد بعدما تعيّن وتشخّص النظارة بل الإمارة على

أُمور الخبراء ومجلسهم والأمر والنهي الولائي كما في سائر القوى الحاكمة ومسؤوليّاتهم، فإنّه هو القائد الموظّف لحفظ صلاح العامّة في أركان النظام الحاكم، وذلك مقتضى إطلاق ولايته بعدما هو المصرّح في الدستور أيضاً في الأصل الخامس. وبعدما هو الناظم والمهيمن على القوى الحاكمة وله الأمر والنهي الإيجابي والتحريمي الحكومي في الأُمور والنظام الحاكم ومن قطعات النظام مجلس الخبراء الموظّف بتعيين القائد لدى الاحتياج والمراقبة على استمرار شرائط القائد المتعيّن الأصيلة من الفقاهة والسلامة والقدرة وسائر المذكورات.

وعليه فللقائد أن يأمرهم بشيء في أُمورهم الداخليّة وينهاهم عن شيء، مثلاً التحذير عن التبرّز والتجمّل في أُمورهم الإداريّة ومحل الإجلاس وأبنية اللّازمة وتجهيزاتهم من السيّارات وغيرها والأمر إلى العيش البسيط ومعاشرة الناس على سنّة الرسول ﷺ والأئمّة المعصومين عليهم السلام بما هم أعضاء مجلس الخبراء والمجلس شطرٌ من النظام والقائد (دام ظلّه) قائد النظام من غير استثناء قسمٌ منه عن غيره.[١]

والحقّ عندنا هو الثاني حسب المبنى الشرعي الثابت المتفرّع عليه كثيرٌ من تلك المسائل، وهو أنّ حق الحاكميّة ومشروعيّة الحكم لا يكون إلّا لله تعالى ولم يؤت ذلك إلّا لرسوله وبعده للأئمّة عليهم السلام إلى الإمام الحاضر الغائب (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) وهم لم يأمروا إلّا الفقهاء الجامعين للشرائط في زمن الغيبة، وإذا تصدّى أحدهم المقام بتعيينٍ أو بتعيّن فليس لغيره التدخّل في الأُمور الراجعة إلى الحكم والحاكميّة إلّا بإذنه، كما صرّحوا بذلك في القضاء، وهو غصنٌ من شجرة الولاية وله تفويض بعض الأُمور إلى الآخرين وتقسيم مشاغل النظام ومناصبه، بل تعيين نظام خاصّ لتصدّي الأُمور وإشغال الأشخاص المناصب كما في زماننا هذا من تنفيذ الإمام الراحل المؤسّس لنظام الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران مرتبطاً بتصويت الناس وآراء

---

١. و قد عزم جمع على اخراج احد من جمعهم لاتخاذه مواضع السيئة فى الامور السياسية و الاجتماعية فنهاهم القائد فاطاعوه.

الشعب و كذلك اصواتهم و آرائهم بالنسبة الى ونوّاب مجلس الشورى الإسلامي واعتمادهم بوزراء رئيس الدولة المنتخب بعد تنفيذ حكمه من قبل وليّ الأمر ونصبه الفقهاء الستّة للعضويّة في شورى المحافظ للدستور وكذلك نصبه رئيس السلطة القضائيّة إلى آخر أجزاء النظام وأقسام المرتبطة من المنظّمات واللّجان والدوائر التابعة.

وله حسب ذلك المبنى تغيير هذا النظام وحتى له إدارة البلد على نظام الخلافة أو الأنظمة الأُخرى حسب إطلاق الولاية.

فما قد يتوهّم في شعاع قدرة مجلس الخبراء وسيّما هيئته الرئيسيّة ولا سيّما رئيس المجلس من التدخّل في أُمور القائد أو الاستقلال في إيجاد المنظّمات الخاصّة وافق نظر القائد أو خالفه لا يخلو من الإشكال شرعاً بعد الغمض عن جهات السياسيّة والاجتماعيّة، بل لا يتمّ.

والحاصل أنّ التأمّل والدقّة في المبنى يعطي الحقّ، وهو أنّ العلاقة العريقة والرابطة الدقيقة الشرعيّة يكون من ناحية القائد المتعيّن ولو بوساطة مجلس الخبراء على ذلك المجلس وأعضائه وأنّه هو الوليّ والوالي لكلّ النظام ومنه مجلس الخبراء وليس له ولهم التخطّي عن أوامره الولائي ونواهيه كما هو الظاهر الثابت في محلّه. ولا يرتبط ذلك بما بينه وبين الأعضاء بما هم فقهاء مجتهدون العلماء العدول لهم تبادل وجهات النظر وتعارض الآراء في كلّ الأُمور الفقهيّة والثقافيّة والاجتماعيّة وحتى السياسيّة والعسكريّة بما أنّهم أصحاب نظر ورأي وهم اخوة مسلمون يتناصحون.

فإنّ أمر النظام الحاكم والحكم والحكومة غير الأُمور المتعارفة العاديّة ولكلٍّ وقعٌ ومقام، فتوجّه.

موقع فقهاء شورى المحافظ للدستور في ايران

بسم الله الرحمن الرحيم

ما ورد في الاصل السادس و التسعين من دستور الجمهورية الاسلامية في ايران: من ان تشخيص عدم مغايرة المصوبات المجلس الشورى الاسلامي مع احكام الاسلام على عهدة اكثرية الفقهاء المنصوبين في الشورى المحافظ للدستور الخ.

فهل هم ينظرون في المصوب و يبحثون في مقتضاه و تخالفه مع حكم من احكام الاسلام على فتوى انفسهم بما هم فقهاء، كما يشير اليه عنوان الفقهاء اولاً و كلمة الاكثرية ثانياً و سياق الاصل ثالثاً او على فتوى المشهور من الفقهاء الماضين و الحاضرين من المراجع و غيرهم اوعلى فتوى القائد بالفعل «دام‌ظله» وافق الآخرين او لم يوافق؟ لان فتواه هو الحجة في مقام الحكم و الحكومة و ادارة الشعب و الامة.

الاقرب الاصح عندنا هو الاول و يدل عليه اولاً نفس العنوان المذكور في الاصل المؤسس للشورى؛ الاصل الاحد و التسعين، لدى بيان الاعضاء ستة شخص من الفقهاء العدول المطلع على مقتضيات الزمان و مسائل عصرهم و يومهم و هم منتخبون من ناحية ولي الأمر القائد للنظام.

فان ذكر الانتخاب من بين الفقها، مع تلك الاوصاف يدل على تأثير فقاهتهم، ثم عدالتهم، ثم اطلاعهم على مسائل عصرهم و يومهم الذي يعيشون فيه في تشخيصهم، هذا بما هم كذلك و لكل من تلك المفاهيم دخل في ذلك التشخيص و لو كان عليهم التبعية عن فتوى غيرهم المشهور، او خصوص فتوى القائد من غير دخل لفقاهتهم

لكان يكفي ان يكونوا علماء يعرفون الفتاوى و يعلنون التطابق او التخالف معها او عدم المخالفة.

فان فتاوى الاعلام و كذا القائد المعظم، اذا كان ذافتوى فى المسألة، ظاهر معلوم مُعلَنٌ لايحتاج الى البحث و التحقيق.

و يدل على ما ذكرنا ثانياً كلمة الاكثرية، فان التصريح بان الملاک و الاعتبار على نظر اكثرية الفقهاء المنصوبين و ذلک لا يتحقق الا اذا كانوا يعلنون فتاواهم و نظراتهم بانفسهم بماهم فقهاء يختلفون كثيراً فى الانظار فيُعَبَّر الاكثرية كماكان كذلک سيرة الشورى المحافظ للدستور طيلة حاكمية الجمهورية الاسلامية فى ايران، و لو كان عليهم التبعية لفتوى الآخرين لما يتصور الاختلاف بينهم كما قلنا لأن فتواهم ظاهر معلوم و معلن.

كذلک الأمر فى معرفتهم مسائل العصر و يومهم، فان ذلک يؤثر فى تطبيقهم و تشخيصهم المصوبات مع مستنبطاتهم الأجتهادية بانفسهم و لو كان عليهم التبعية عن فتوى الآخرين لكان ذلک القيد لغواً لا يترتب عليه الأثر.

و ظاهر السياق و العمل السابق معلوم، بل حكمه ما ذكر فى تتميم دستور السابق من حضور خمسة من الفقهاء العظام فى المجلس السابق ايضاًكان على ملاک نظرهم بما هم فقهاء دون تطبيقهم مع فتاوى المشهور فى زمانهم او مع الأعلم منهم.

بقى ما يقال فى ملاک حجية نظرهم الأكثرى، بل الوفاق و الناس مقلدون لغيرهم من القائد للنظام او غيره.

فنقول اولاً، فرق بين الحكم و الفتوى، فانّ حكم الفقيه القائد نافذ فى شراشر حيوة المجتمع يجب اطاعته و اتباعه و لا يجوز التخلف عنه. فانّ ولىّ الأمر و صاحبه و هو حبل المتين و الركن الوثيق، حافظ لنظام الحاكم و قد ثبت ذلک فى محله، حتى على كل واحد واحد من الشعب و الأمّة على اختلاف مذاهبهم.

و اما الفتوى فهو حجة على صاحب الفتوى، الجامع لشرائط الافتاء و لمقلديه و

لا بأس لتقليد من ثبت جواز تقليده حسب موازين الشرع كائنا من كان؛ قلنا بوجوب تقليد الأعلم او لم نقل و اختلاف الفتوى و تعدد المفتى و المرجع للتقليد كان من سنن السالفة الى الآن طول زمن الغيبة الكبرى فيخالف كل الآخر فى الفتوى و مقلديهم فى التقليد و لا يضر بشىء؛ الّا ان فقيه القائد الأعظم بعد ما تصدى الأمر حسب ضوابط الشرع و نظام الحكم المُتّبَع من الشرع، كان له ان ينفذ نظاماً خاصاً للحكومة ساعد النظامات المشهورة او لم يساعد كماله ان ينقض بعض ما انفذ من قبل حسب تبدّل الشرائط و تغيّر المصالح فى كيفية اجرائات الحكومة بعض النظام، بل كله، فانه الولى الفقيه المدبر للامور.

فاذا انفذ نوعاً خاصاً من الحكومة، مثل نظام خاص انفذه الامام الراحل﵀ المؤسس للجمهورية الاسلامية فى ايران من تشكيل القوة المقننة و الاجرائية و القضائية على ضوابطها الخاصة، فيصير ذلک النظام مشروعاً متبعاً بامره و تنفيذه و لا يلزم التصريح فى كل جزء جزء من ذلک النظام؛ كما اذا انفذ حكم رئاسة الجمهورية على الاطلاق او على قيود خاصة؛ فيكون ولايته فى الاجراء مشروعاً متبعاً حسب ضوابطه و قوانينه و لا يلزم تنفيذ كل واحد واحد من المنظمات و الوزارات و الادارات و احكام الوزراء و الولات و الروساء و المديران و كلّها تتاثر من تنفيذ رئيس القوة المجرية، و كذلک الأمر فى سائر القوى المقننة و القضائية و بعض المؤسسات التابعة؛ فاذا انفذ الفقيه الولى، نظام الجمهورية المشتملة على تلک القوى و مجلسه مرتبط مع منظمة اخرى ناظرة عليه، بعنوان شورى المحافظ للدستور؛ فقد انفذ عمليات النواب فى انتخابهم الوزراء و فى تصويبهم القوانين و قد انفذ نظام عمليات الشورى المحافظ ايضاً فى قسم الفقهاء من بحثهم و نظرهم فى القوانين بما هم فقهاء، كما انفذ نظر الحقوقيون فى نظرهم بالنسبة الى الدستور و عدم تخالف المصوبات معه او تخالفها، فالحجة على الشعب و الناس فى المصوّت و المصوب من المجلس و الشورى المحافظ هى تنفيذ الولى الفقيه القائد العظيم النظام الحاكم، دون كل جزء

جزء من النظام کما لا یخفی؛ و المسألة لا یرتبط بالتقلید و المرجعیة و حجیة فتوی مرجع التقلید لمقلدیه و لنفسه بل النظام مقبول لولیّ الفقیه و منفذ من ناحیة فقیه الولیّ القائد بالفعل المسؤول للحکم و الحکومة و فقهاء الشوری المنتخبین من ناحیته موظفون لذلک بفقاهتهم ماداموا فی الشوری حسب زمن المقرر فی القانون المنفذ ایضاً.

و من ذلک نقول: بعد ما اعلنو رأیهم الاکثری او الوفاق بان المصوب یخالف الشرع و ارسلوا ذلک الی المجلس الشوری الاسلامی، فان صححّوا ذلک وفق نظر الشوری المحافظ فبها و ان اصرّوا علی نظرهم فالمرجع هو مجمع تشخیص المصلحة و لیس لهم البحث حول ذلک النظر من جهة الوفاق او الخلاف للشرع و ان کان بین الاعضاء فقیه قد یکون افقه من فقیه عضو الشوری المحافظ و لیس لهم الا تبین ان ارتکاب ذلک الخلاف للشرع فی المورد فی زمان معین یجوز لغلبة المصلحة و الضرورة و بعبارة اخری، بعد قبولهم ان مصوب المجلس الشوری الاسلامی یخالف مع الشرع، لکن المصلحة الملزمة یوجب الحکم بجواز ذلک مادام المصلحة؛ بعنوان الاحکام الثانویة الشرعیة، سیّما علی مبنی الامام الراحل(ره) من ان المرتکب فی المقام معذور لا اثم علیه لا انه حلال کما فصّل فی محله. قال الله تعالی: ﴿... فمن اضطر غیر باغ و لا عاد فلا اثم علیه...﴾[1] و معنی ذلک، ان مرجع تعیین عدم تخالف القوانین مع الشرع هم فقهاء الشوری ماداموا اعضاء الشوری فلو تحول سمتهم و جاء بعضهم من الشوری الی المجمع لیس له فی المجمع النظر فی کون ذلک مخالف للشرع او لا، بل له تبیین المصلحة فی ارتکاب ما هو خلاف للشرع علی الفرض و فارغاً عنه کما هو کذلک فی ناحیة مسألة الوفاق او الخلاف للدستور. فان رأی اکثریة اعضاء الشوری المحافظ من الفقهاء و الحقوقیون معتبر و ملاک قانوناً و لیس لاعضاء المجمع النظر الحقوقی و بیان انه لا یکون مخالفاً للدستور بل لهم تبیین غَلَبَةِ المصلحة الملزمة

---

١. الآیة ١٧٣ سورة البقرة (٢).

المقتضية لنقض القانون فى المورد مادام المصلحة و ذلك واضح لا كلام فيه، فمن اعلن نظره فى المجمع على تأييد المصوب فى المجلس المردود من شورى المحافظ و فقهائهم بما انه لا يخالف الشرع حسب نظره مع عدم ثبوت المصلحة لديه؛ فقد تخلف عن الشرع و القانون فى المقام و ان كان فتواه شخصياً انه لا يخالف الشرع، لأن المقام ليس مقام الافتاء و التقليد. فتوجه.

محمد اليزدى ـ ١٣٨٧/١١/٢١

الإفتاء بغير علم

بسم الله الرحمن الرحيم

-قال الفاضل العالم المعروف بالملّا إسماعيل الخاجوي الإصفهاني المتوفّى ١١٧٣هـ ق في نهاية رسالته في جواز قراءة ملك يوم الدّين بعد نقل روايتين؛ الأُولى صحيحة أبي عبد الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام: **«مَن أفتى الناس بغير علم ولا هدى لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه»**[١].

الثانية: النبويّة، **«مَن أفتى الناس بغير علم وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك»**[٢].

قال: غرضنا في هذا المقام هو الإشارة إلى أنّ دهرنا هذا لا يراعون شرائط الإفتاء والاستفتاء ولا يخافون من مؤاخذة جبّار الأرض والسماء فيستفتون وهم ضالّون ويفتون وهم ظالمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون.

ويوجد ذلك في عصرنا هذا أيضاً بعنوان الفقه والحياة.

ومن المعلوم أنّه لا إشكال على مبناه رحمه الله لو قرء المصلّي في ركعة مالك يوم الدّين وفي الأُخرى ملك.

وعندنا لا يخلوا عن إشكال، فإنّ أحدهما هو القرآن النازل على رسول الله صلى الله عليه وآله الخارج من شفتيه لكتّاب الوحي دون كليهما.

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٢.

٢. الكافي، ج ١، ص ٤٣.

إلّا أن يُقال: بنزول الآية أو السورة مرّتين ودون إثبات ذلك خرط القتاد فإنّ تعدّد نزول القرآن في الليلة المباركة والقدر مع نزولها طيلة زمن البعثة تدريجاً أمرٌ آخر قد فصّل في محلّه، فتوجّه.

قال أبو الصلاح الحلبي «ومن السنّة زيارة أهل الايمان أحياءً وأمواتاً ومَن زار أخاه فلينزل على حكمه ولا يحتشمه ولا يكلّفه، ومن زاره أخوه فليستقبله ويصافحه ويعتنقه ويقبّل كلّ واحد منهما موضع سجود الآخر وليكرم كلّ واحدٍ منهما صاحبه ويخفى له، وعلى المزور الاعتراف بحقّ زائره وليتحفه بما يحضره من طعامٍ وشراب وفاكهة وطيب أو ما تيسّر من ذلك وأدناه شرب الماء أو التوضّي وصلاة ركعتين عنده والتأنيس بالحديث والتشييع له عند الانصراف.»[١]

عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«قال أمير المؤمنين عليه السلام: كانت الفقهاء والعلماء إذا كتب بعضهم إلى بعض كتبوا بثلاث ليس معهنّ رابعة.**

مَن كانت همّته آخرته كفاه الله همّه من الدُّنيا.

ومَن أصلح سريرته أصلح الله علانيّته.

ومَن أصلح ما بينه وبين الله أصلح لله ما بينه وبين الناس»[٢].

قال أبو جعفر عليه السلام:

«إيّاك أن تطمع بصرك إلى من هو فوقك فكفى بما قال الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾ وقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فإن دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّما كان قُوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف إذا وجده»[٣].

قال عليّ عليه السلام: **«مَن أخذ دينه من أفواه الرجال أزالته الرجال، ومن أخذ دينه**

---

١. الكافي في الفقه، ص ٢٢٤.

٢. من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٩٦، ح ٥٨٤٥.

٣. الكافي، ج ٢، ص ١٣٧ و ١٣٨.

من الكتاب والسنّة زالت الجبال ولم يزل»[١].

وقال عليه السلام في حديثٍ طويل: «سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ستكون فتن، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل وليس بالهزل هو الذي لا يزيغ به الأهواء ولا تشبع منه العلماء، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله وهو حبل الله المتين وهو الصراط المستقيم»[٢].

١. وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٩٥، كتاب القاضي، أبواب صفات القاضي، باب ١٠، ح ٢١.

٢. المقدّمة السادسة، مجمع البيان، روايات في فضل القرآن.

القسم الثالث

(قسم الفلسفي)

توحيد الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۝ اللهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

صدق الله العليّ العظيم

السورة المباركة سورة التوحيد، سورة بيان أنّ الله تبارك وتعالى أحدٌ، ونفس الوحدة، ولا الواحد المتعارف المقول في الأعداد والوحدة الحقّة الحقيقيّة ولا يوصف بالوحدة نوع توصيف الأشياء بأنّه شيء له الوحدة أي لا ثاني له وتبيّن أحديّته. فبيّن بما عرفت من أنّه نور السماوات والأرضين، من أنّه نورٌ ظاهرٌ بذاته، مظهرٌ لغيره، موجودٌ بنفس ذات الوجود وموجدٌ لغيره بإفاضته الوجود.

فلا سبيل إليه للكثرة والتعدّد وإن كان له الأسماء الحسنى والأوصاف العديدة العُليا، من أنّه عالم، خالق، بارء، مصوّر، قادرٌ، مريدٌ، حيٌّ، قيّوم، ولكن كلّ ذلك بلحاظ المتعلّق المعلوم والمخلوق والمصوّر والمقدور وهكذا، وإلّا ففي مرحلة الذات ونفس حقيقته العيني الخارجي ليس إلّا نفسه وحقيقة الحقّ الوجود المطلق الذي لا يدرك ولا يوصف ولا يُسمع ولا يُرى إلّا آياته وآثاره وفيضه ومخلوقاته وموجوداته بإيجاده وإفاضة الوجود والحياة والقدرة والعلم وكل كمال يرى فهو في ذاته ليس إلّا ذاته وفي حقيقته ليس إلّا الحقّ الوجود بذاته المتعالية عن كلّ ضعف ونقص وحدٍّ ووصف، فهو الله لا إله إلّا هو وحده وحده.

ومع ذلك هو القيّوم لكلّ موجود وبه قوام كلّ قائم، وبحياته حيّ كلّ ذي حياة

بأيّ مرتبة من مراتب الحياة، وبقدرته قادرٌ على كلّ مقتدر في أيّ مرتبة من القدرة، وكذلك بإرادته يريد كلّ مريد ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾، وبه قامت السماوات والأرضون، وبوحدته ووحدانيّته أوجد الكثرات من أنواع الخلائق والموجودات في عالم الملك والملكوت ومن أصناف الخلائق وأقسام المخلوقات من كلّ دابةٍ في الأرض وكلّ طائرٍ يطير بجناحيه ومن كلّ شيء يعلم أن يُطلق عليه شيء وموجود في أيّ مرتبة من الوجود.

ومن ذلك بدت السؤال عن رابطة الوحدة والكثرة، فإنّه لا إشكال في أحديّة الخالق المتعال كما لا إشكال في كثرة المخلوقات والموجودات.

فما هو الرابطة والمتناسب مع أنّ الواحد لا يصدر عنه إلّا الواحد، والواحد لا يصدر إلّا عن الواحد حفظاً لقاعدة العلّية وتناسب العلل والمعلولات، فإنّ كلّ شيء لا يكون علّة لكلّ شيء وكلّ شيء لا يمكن أن يكون معلولاً لكلّ شيء، بل لابدّ من السنخيّة والتناسب بين العلّة والمعلول، ومن ذلك كلّه يبقى السؤال عن هذه الرابطة بين الوحدة والكثرة.

والمسألة هذه أيضاً من المسائل الهامّة المهمّة لابدّ فيها من التأمّل والدقّة، لئلّا يضلّ الإنسان عن سبيل الحقّ ويزلق عن جادّة الخير. والله هو الهادي إلى سبيل الرّشاد.

فنقول بعون الله الواحد القهّار شطراً من المسألة المعروفة من أصالة الوجود والماهيّة، وإن لم يكن هناك محلّ البحث لها إنّا إذا قلنا زيدٌ عالم، عمرٌ و عالم وبكرٌ وخالد عالم، بأن كان الموضوع متعدّد والمحمول واحد مع صحّة الحمل عقلاً. نفهم أنّ هناك حقيقة واحدة موجودة في الموضوعات العديدة تسمّى بالعلم، وحيث إنّ العلم يوجد في كلّ من زيد وعمرو وبكر وخالد يصحّ الحمل. وكذلك إذا قلنا زيدٌ شجاع وعمرو شجاع وكذا وكذا شجاع مع صحّة الحمل. نفهم أنّ هناك وصفٌ واحد يسمّى بالشجاعة وذلك الوصف موجودٌ في كلّ واحدٍ ممّن يصحّ الحمل عليه ولا يصحّ حمل زيد على الغير أو العكس لتغاير الموضوعات وتعدّدها.

فكذلك إذا قلنا: السماء موجود والأرض موجود والشمس والقمر موجودان وأنا وأنت موجودان وكلّ ما يصحّ أن يحمل عليه أنّه موجود، نفهم أنّ هناك حقيقة واحدة وهي الوجود ولا يصحّ حمل الموضوعات بعضها على الآخر، فلا يصحّ أن يُقال: الأرض سماء أو السماء أرض أو الشمس قمر أو العكس لتغاير كلّ منها عن الآخر.

وحينئذٍ معنى قولنا السماء موجودةٌ والأرض موجودة، أنّ الوجود موجود في السماء وفي الأرض وفي الشمس والقمر وهكذا.

إلّا أنّ هناك فرقٌ عميق بين المثالين؛ أنّ العلم والشجاعة موجودان في زيد وعمرو، وهناك وصف وموصوفٌ كلّ منهما غير الآخر، فإنّ زيداً وعمراً وبكراً وخالداً أشخاصٌ متباين وجودهم في الخارج عرضهم العلم أو الشجاعة بالتحصيل والتجربة، وكلّ منهما غير الآخر، فإنّ زيداً كان موجوداً ولم يكن عالماً أو شجاعاً، ثمّ صار عالماً أو شجاعاً وكذلك جميع الأوصاف للأشياء والأشخاص، وهذا غير قولنا: السماء موجود والأرض موجود، وهكذا لم يكن السماء سماءً قبل كونه موجوداً وكذلك لم يكن الأرض موجوداً قبل كونها موجودة، وكذلك كلّ الموجودات لم يكن موجوداً قبل الوجود، بل بالوجود صار كلّ شيء شيئاً والوجود هو الذي أعطاه الشيئيّة الكذائيّة، فلا يتصوّر تعدّد الوجود والماهيّة في العين والخارج عن الذهن، إلّا أنّ الإنسان حيث يرى الأشياء موجودة ويرى صحّة حمل موجود على كلّ شيء موجود، فيخيّل في ذهنه الشيء والوجود ويحمل عليه ويقول السماء موجود والأرض موجود والشمس والقمر موجودان وعالم الوجود موجود.

ففي القضايا التي يكون الوجود محمولاً وإن كان ظاهر الحمل بعد الموضوع والمحمول في الذهن والنفس ولكن في العين ليس إلّا وجود السماء ووجود الأرض ووجود الشمس والقمر وهكذا.

ومن هنا يصحّ أن يُقال: الوجود موجودٌ وما نراه ونفهم من وجود هذا الموجود،

الوجود في السماء والأرض والشمس والقمر والحجر والمدر والشجر والبرّ والبحر وكلّ شيء يصحّ أن يُحمل عليه الوجود ويقال هذا موجود. وقد علمنا أنّ الأشياء لم تكن موجودة قبل الوجود، ليكون الوجود عارضاً عليها كما في العلم والشجاعة والإنسان، بل صاروا بالوجود موجوداً. وعلمنا أنّ تعدّد الشيء ووجوده ذهني نفسي وإلّا ففي العين لم يكن إلّا السماء الموجود والأرض الموجود والشمس والقمر وكلّ شيء موجود.

ولذلك يصحّ أن يُقال: الوجود موجودٌ بنفس ذاته، فإنّ حقيقته الوجود وحقيقة الوجود في العين والخارج لا يحتاج إلى شيء حتّى يكون موجوداً فإنّ ذاته الوجود، ولذلك فهو أزليّ وأبديّ لا يعرضه العدم ويقال له واجب الوجود أي لا ينفك عن ذاته الوجود، فإنّ الذات لا يُعلّل ولا يتغيّر. وذلك دون الأشياء الموجودة في الخارج فإنّها بالوجود موجود في العين، فالسماء والأرض والشمس والقمر وكلّ شيء ليست إلّا وجود السماء ووجود الأرض ووجود الشمس والقمر وهكذا لا السماء العارض عليه الوجود والأرض العارض عليها الوجود وهكذا وتعدّد الماهيّة والوجود أي تعدّد الأشياء مع الوجود تصوير وتحليل في الذهن وصورة الذهني غير الموجود في العين؛ ففي العين ليس إلّا الإنسان الموجود والحيوان الموجود وهكذا أي وجود الإنسان ووجود الحيوان فإنّهما بالوجود صار الإنسان إنساناً والحيوان حيواناً.

وعندئذٍ يُقال الوجود وحقيقته هو نورٌ ظاهر في نفسه ومظهرٌ لغيره. فإنّه أوجد كلّ شيء وهو المشيّئ للأشياء وهو المصوّر في الأحكام. وذلك النور له درجات ومراتب أشدّ المراتب وأكملها الوجود الذي لم يوجد فيه نقص وضعف، بل كلّه كمال وكمالٌ كلّه. فهو الذي لا إله إلّا هو ذو الجلال والإكرام، خالق كلّ شيء، يُدبّر الأمر بين السماء إلى الأرض، مُحيي الموتى ومُميت الأحياء ومبدء كلّ خيرٍ ومخزنه ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[1].

---

١. الآية ٢١ سورة الحجر(١٥).

وبعد ذلك، الذات ونفس الحقيقة الواجب الدائم الأزلي الأبدي فيضه ولطفه ورحمته، الوجود المنبسط على الأشياء كلّها دائم وبنوره أشرقت السماوات والأرضون، وهذا الوجود المنبسط على الماهيّات التي صاروا به أشياء هو فيضه ورحمته الشامل الكامل لا ينفك عنه، فإنّه مقتضى ذاته وحبّ نفسه الإفاضة على الأشياء، وهو الفيّاض بذاته.

وهذا الفيض الدائم المستمرّ من الأزل إلى الأبد مشتملٌ على كلّ شيء يوجد وينعدم حسب استعداد الشيء والماهيّة وكل من الماهيّة والشيء، وهذا الفيض ممكن غير الواجب، صادر عن الواجب بإرادته.

ومن المعلوم أنّ معنى الإمكان في الأشياء والماهيّات هو التساوي بين الوجود والعدم في اقتضاء ذاتها أي لا يوجد في الأشياء والماهيّات في ذواتها ما يوجب ويقتضي وجودها أو عدمها، فإذا وجد قد تحقّق علل وجودها وإذا انعدم انعدم تلك العلل، وإذا لم يكن اقتضاء للوجود فليس بموجود لا انّ العدم كان له علل وإطلاق العلّة على عدم وجود علل الموجود تسامح وتصوّر في الذهن وإلّا فـي الخارج لا يوجد إلّا الوجود وعلل الوجود فيوجد الأشياء والماهيّات بشمول الفيض الشامل والوجود المنبسط على تلك الأشياء.

وأمّا الإمكان في ذلك الوجود المنبسط والفيض الشامل معناه عدم الاقتضاء في نفس ذاته وأنّه يوجد بإيجاد الواجب ويتحقّق بإرادته، وهذا الوجود الممكن الصادر من الواجب الشامل لكلّ شيء هو الرحمة الموصولة والفيض الشامل لكلّ مستفيض، وهذا هو الذي إذا أراد قبضه ينعدم كثيرٌ من الأشياء، وإذا أراد بسطه يوجد كثيرٌ من الأشياء في كلّ العالم حسب مقتضياتها. ففي المجرّدات إذا أراد شيئاً أن يقول له كُن فيكون، وفي المادّيات إذا أراد شيئاً هيّأ أسبابه، فإنّ الله تعالى أبىٰ أن يجري الأُمور إلّا بأسبابها إلّا فيما إذا اقتضت مصلحة أقوى كما عرفت في قصّة إبراهيم وموسىٰ عليهما السلام.

فإذا كانت الماهيّات بالوجود موجودة ولم تكن قبل الوجود شيء يعرضه الوجود

في العين لا يكون إلّا الأشياء الموجودة السماء والأرض والشمس والقمر والحجر والمدر والشجر. فليس في العين إلّا وجود الأشياء وتحقّقها والشيئيّة ظلّ الوجود والماهيّة تبع الوجود.

وإن شئت قلت: إنّ الأشياء والماهيّات ظهرت وتشخّصت في ظلّ نور الوجود فلا يرى حقيقةً إلّا الوجود الظلّي المنبسط على الأشياء فكل ما يُرى من الأشياء وتفاعلاتها وتحرّكاتها وحياتها وقدرتها وجمالها وكمالها لا يكون إلّا بوجودها وتحقّقها، فإذا ارتفع الظلّ لم يبق شيء إلّا الوجود وكلّ شيء هالك إلّا وجهه. فإنّ الأشياء بذاتها ليست لها أصالة، بل بالوجود موجودة وبنور المفاض على الأشياء من الفيّاض المطلق بالذات صارت الأشياء أشياء والفيض شعاع المفيض والإفاضة مقتضى ذاته.

فالصادر هذا الفيض الوجود المنبسط الظلّي التبعي الشُّعاعي.

والمصدر الوجود البحت المطلق وهو واحد.

والفيض الصادر هو أيضاً واحد في ذاته فلم يصدر من الواحد إلّا واحد، ولم يصدر الواحد إلّا عن الواحد.

ورابطة الكثرة مع الوحدة هي هذا الفيض الصادر الواحد لتحقّق الماهيّات ووجود الأشياء، فإنّ وجودها هو الأصل المتحقّق وشيئيّتها التبع للأصل، فتدقّق.

ومن المعلوم أنّ تلك الأبحاث لابدّ من التهيئة لها بمقدّمات ولا يناسب لمن لم يكن لها بأهل، فلا يناسب الحال. والله هو الهادي إلى الحقّ.

***

علم الله بكل شيء

بسم الله الرحمن الرحيم

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[١].

وقد سألني بعض الأبناء المؤمنين عن كيفيّة علمه وشموله لكلّ شيء بحيث لا يعزُب عن علمه مثقال ذرّةٍ، وكيف نفهم معنى علمه بسقوط كلّ ورقة من شجرة طيلة الأزمنة وميدان الجبال وساحة الآجام والجبال في كلّ زمنٍ وسنة وسيّما بالنسبة إلى كلّ حبّةٍ في ظلمات الأرض قبل أن تنبت وفي كلامٍ واحد أي كتاب هو الكتاب الذي لا رطب ولا يابس إلّا فيه ؟

فنقول: العلم علمان: علمٌ حصولي وعلمٌ حضوري. والأوّل هو حصول صورة المعلوم لدى العالم؛ بمعنى أنّ نفس المعلوم لا يمكن تحصّله لدى العالم، فإذا علمنا أنّ زيداً هو العالم، الفلاني رئيس الكلّية بحوزة قم المقدّسة مثلاً أو المرجع للتقليد المقيم بها فليس عندنا إلّا تصوّر ذلك العالم والمرجع الذي رأيناه حضوراً أو في التلفزيون أو في الجرائد أو سمعنا كلامه ومطالبه في خطابٍ بُثَّ عن الإذاعات المختلفة وذلك هو مبلغ علمنا بزيد الرئيس أو المرجع أو الطبيب أو غير ذلك، حتّى العلم بالأب والابن

---

١. الآية ٥٩ سورة الأنعام(٦).

وأعضاء العائلة، إلى العلم بالأشياء وكلّ ما هو خارج عن أنفسنا. فإنّها موجودات مستقلّة متحقّقة بعللها الموجدة وعواملها المبقيّة المستمرّة، وكذلك العلم بمفاهيم المختلفة التي ليس لها ما بحذاء العينيّة، مثل السخاء والبخل والشجاعة والجبن أو القضايا العلميّة المتعدّدة، مثل أنّ الكلّ أعظم من الجزء، والمعلول مساغ لعلّته، وهكذا.

وهذا هو العلم المتعارف لنا ولعامّة الناس الذي ذكر في فضله فضائل وأحاديث ولعالمه الفضل والكمال والدرجة والمقام.

وهذا هو العلم الذي قد يخطأ عن معلومه ولا ينطبق على الخارج، كما هو. فإنّه المرآة التي يُرى فيها الأشياء المحاذية والمقابلة ولا تقدر على انعكاس أزيد من ظواهره وأطرافه المحاذية دون عمقها وبواطنها، وقد فصّل ذلك في محلّه سيّما في حقيقة وجوده وتحقّقه القائم بالنفس وكيفيّة حصوله فيها وبقائه وحفظه ولزوم المراقبة والتكرّر والبحث والمذاكرة، حتّى نحفظ وتنموا وإلّا يُنسى وينعدم وتبدّل النفس بحالتها قبل العلم، فيقول الإنسان كنت قد علمته ولكن نسيت ولا أعلم، قال تعالى: ﴿وَمِنكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾[1].

هذا هو العلم الحصولي الذي لا إشكال في تطوّره والعلم به كما عرفت.

والثاني وهو حضور نفس المعلوم لدى العالم دون صورته وتصويره، فإنّ الإنسان يعلم أنّ نفسه حيٌّ موجودٌ ولا يشكّ في تحقّق نفسه ووجوده وإذا سُئِلَ عن نفسه أنّه مَن هو؟ وما هو؟ فهل يحسّ عند نفسه غير نفسه من صورة أو تصوير أو يجد نَفْسَه بنفسِهِ ويعترف بأنّه هو هو؟ والإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره، فإنّ إلقاء المعاذير لدى الغير يصوّره بصورة الملقاة إليه لا بالسيرة التي هي عليها، فإنّ حضورنا لدى الغير حضور الصورة والتصوير، دون عينه كما عرفت، ولذلك يُقال: إنّ الكلمات المتبادلة بين الأشخاص لدى المكالمات والمشافهات ولدى إلقاء الخطابات من الخطباء على المستمعين ليس إلّا تبادل المفاهيم التي يأخذ المستمع عن المتكلّم حسب قدر

١. الآية ٧٠ سورة النحل(١٦).

علمه على الفهم وقدرته على درك المقصود. ومن ذلك يختلف فهم الأشخاص من خطبة واحدة من خطيبٍ واحد في خطابة واحدة إذا أرادوا تبيين مطلبه وتشريح مقصده. كلّ ذلك مع الغفلة عن وساطة الألفاظ.

ولكن الإنسان بالنسبة إلى نفسه وهويّة عينه لا يدرك إلّا حضور نفسه لديها من غير وساطة تصوير وتصديق وذلك مثال لتقريب الذهن للعلم الحضوري الذي هو حضور نفس المعلوم لدى العالم من غير تصوير.

إذا عرفت ذلك فلا إشكال أنّ علم الله تعالى ـ المتعلّق بمعلوماته التي لا يعزُب عنه مثقال ذرّة ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ـ ليس هو العلم الحصولي الذي شرحنا لك، فإنّه تعالى ليس محلّ حصول شيء وزواله وليس المقام مقام توليد وتولّد وتحصيل وتحصّل؛ لم يلد ولم يولد.

بل علمه بالأشياء بمعنى حضور الأشياء بأنفسها لديه حضوراً عينيّاً لا يمكن غيابها عنه ولا يتصوّر ستارٌ بينه وبين الأشياء، فإنّ كلّ شيء ليس بشيء إلّا بوجوده، وكلّ موجود لا تحقّق له إلّا إذا صار موجوداً. وبالوجود، كلّ شيء موجود لا بغيره كما حقّق ذلك في بحث أصالة الوجود واعتباريّة الماهيّات والأشياء. فإنّ غير الوجود ليس بموجود إلّا بالوجود وغير حقيقة الوجود من الموجودات المجرّدات والمادّيات من الملك والملكوت في السماوات والأرضين في البرّ والبحر. لا يمكن أن يتحقّق موجوداً إلّا بالوجود، والوجود هو الحقيقة التي بها كلّ موجود موجود، وبدونها لا يمكن له التحقق و الوجود ولذلك يُقال: إنّ أحقّ الحقائق هو الوجود؛ لأنّ الوجود هو الذي به تتحقّق كلّ حقيقة من الأرض والسماء والشمس والقمر أو الجنّ والملك إلى الشجر والمدر، وحقيقة الوجود حقيقة واحدة بسيطة غير مركّبة من شيء وشيء. فإنّ كلّ شيء ليس بشيء إلّا بالوجود وبِساطة الوجود عندنا من البداية الأوّليّة يلازم تصوّرها التصديق بها، وهذه الحقيقة الواضحة البديهيّة ذات مراتب وتشكيك بذاته ومن ذاته بالشدّة والضعف ونفس ذاته الشريفة المقدّسة مطلق، حتى عن الإطلاق

والكلّية ولا يتصوّر له الأفراد والمصاديق حتّى يطلق عليها الإطلاق والكلّية، بل حقيقة واحدة بوحدة حقّة حقيقيّة دون وحدة العدديّة، حتّى يكون له الثاني والثالث، ولا سائر الوحدات المفهوميّة بأيّ قسمٍ منها. فإنّ ما يتصوّر من النفس ليس إلّا تصوّر الوجود لا حقيقة الوجود، كما أشار إليه الإمام الباقر في كلامه: «كلّ ما تصوّر تموه فهو مخلوق لكم مردود إليكم». وتلك الحقيقة الحقّة لا يدرك فإنّ عين الخارجي غير تصوّر الذهني النفسي ولا يوصف، فإنّ كلّ وصف هو غير الموصوف والوصف عارض على الموصوف ولابد من وجودهما ولو مثل وجود الجوهر والعرض ونفس الوجود ليس بجوهر ولا عرض. فإنّ الجواهر والأعراض من المقولات الموجودة بالوجود، فلا يكون الشيء شيئاً إلّا بالوجود من الجواهر والأعراض بأنواعها وأقسامها وأحكامها.

فالوجود هو النور الذي به يضاء كلّ شيء ويخرج عن عمق ظلمات العدم ويظهر في مظاهر العالم، والنور هو الذي ظاهر بنفسه ومظهر لغيره، دليل ذلك، معنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فإنّ بإيجاده ظهرت السماوات والأرض وخرجت من العدم إلى الوجود وصار منوّراً.

ومن ذلك يُقال: الوجود المنبسط على الأشياء الموجبة لظهورها وتحقّقها بإيجاد الوجود وخلق الله تعالى عالم الخلق والأمر، فما يحتاج إلى مادّة وهذه هو المخلوق وما لا يحتاج إليها هو؛ هو من عالم الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كُن فيكون. فأينما وجد شيء يوجد هنالك مرتبة من الوجود المناسب لتحقّق الموجود، فكما أنّ وجود الأشياء بالوجود، فدوام وجودها واستمرار تحقّقها إلى آخر مرحلة وجودها، قائم بالوجود الفيض الدائم على العالم وهو الفيّاض المطلق الرحمٰن.

فإذا قلنا: إنّ نفس الموجود حاضرٌ لدى الخالق المتعال دون تصوّره، معناه أنّه بالوجود موجود وبدوام فيض الوجود يكون الموجود موجوداً، فلا يمكن غيبة الموجود عن مُوجده ولا يمكن ستار بين المُوجِد والموجود. فالموجود الذي بالوجود

هو موجود حاضر لدى الوجود بنفسه ووجوده وتحقّقه لا بصورته وتصويره، فكلّما صدق على شيء أنّه موجود وصدق عليه الشيء فهو ما طرء لدى منشئه وموجده؛ كان ورقة من الشجر أو حبّاً من النبات تحت الأرض أو فوقها، فهو تعالى عالم بكلّ العالم ولا يعزب عن علمه شيء ولو ذرّة، ولا يخفى عليه خائنة الأعين وما تُخفي الصدور.

ومن ذلك نعتقد أنّ علمه تعالى حضوري لا حصولي وأنّه عالم بذاته لذاته، وأنّ العلم من صفات الذات، مثل الحياة والقدرة والإرادة ومع ذلك ليس إلّا واحد وإطلاق أنّه عالم بلحاظ المعلوم وقادر بلحاظ المقدور الذي وجد بقدرته والمُريد بلحاظ إرادته التي لا يوجد شيء إلّا بإرادته حتّى أنّ الإنسان، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾؛ ومعنى ذلك مذكور في بحث الطلب والإرادة في أُصول المعارف، وقد يبحث عنها قليلاً في أُصول الفقه عند البحث في الأوامر والنواهي.

وبما ذكرنا إجمالاً يتّضح الجواب عن شمول علمه بجميع العالم من الذرّة والدرّة من ما في الأرض والسماء وممّا في أنفسهم .

والكتاب المبين هو ذلك الموجود المنبسط على الأشياء ضلّ الوجود القائم به قيام الفيض بالمفيض و الضل بذى ضل و التحقق المكتوب وتحقّق كلّ الموجودات، ومعنى الكتاب المكتوب ليس إلّا الإيجاد والوجود وإفاضة التحقّق والعينيّة لكلّ شيء، والأشياء مكتوبات في كتاب التكوين والعين.

وما هو البيان الظاهر المُبيِّن أبين من بيان التحقّق والوجود. وقد فصّل كلّ ذلك في محلّه، فراجع.

***

عدم نفاد كلمات الرب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[١].

سؤالٌ الآية مثال أو تمثيل ؟

من المعلوم أنّ الفرق بين المثال والتمثيل أنّ الأوّل عبارة عن ذكر فرد من أفراد العنوان الكلّي ومصداق من مصاديقه كما يُقال الإنسان هو أشرف أنواع المخلوقات وهو خليفة الله في أرضه، مثل الأنبياء العظام والأئمّة الكرام.

والثاني هو التشبيه بين شيئين في وجه الشبه الواضح لتقريب الذهن سيّما في العلوم والمعارف وتشبيه المعقول بالمحسوس، فيقال: فلان بحر العلوم وخريط الفن فإنّ تشبيه ذهن الإنسان بالبحر لتبيين سعة علومه وكثرة معلوماته مع أنّ البحر جسمٌ مادّي محسوس والعلم حقيقة معنويّة مجرّد غير محسوس.

إذا عرفت ذلك فهل المراد من الآية الشريفة بيان مصداق واقعي خارجي حقيقي بمعنى أنّه لو كان هناك صفحات وأوراق وأردنا أن نكتب عليها كلمات الربّ تعالى وجعلنا ماء البحر مداداً لهذا الكتاب لنفد المداد ويتمّ المُركّب ويجفّ القلم قبل أن يتمّ كلمات الربّ حتّى لو جئنا به ببحر آخر مدداً للمداد، مثل هذا البحر الموجود في

---

١. الآية ١٠٩ سورة الكهف (١٨).

الأرض التي يشغل قسماً واسعاً من سطح الكرة الأرضيّة.

وبذلك البيان شرح كثرة الكلمات على حدّ لا يتصوّر عادةً ولا يعدّ ولا يُحصى وليس هناك مبالغة وتشبيه وتنظير، بل مثال واقعي ومصداق عيني للكثرة.

أو المراد التشبيه والتنظير وتصوير الكثرة؛ بأنّ مداد الكتابة لا يصرف كثيراً في استنساخ كتاب قطور كثير الصفحات والكلمات فقد يكتب سطور بقطرة من المداد، فإذا تصوّرنا أنّ البحر مع سعته مداداً للكتابة نتمكّن من تصوير كثرة الكلمات. فإذا قيل لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات الربّ ولو جئنا بمثله مدداً، فلا تدلّ إلّا على الكثرة المتصوّرة من ذلك البيان دون البيان الواقع ونفس الأمر بحيث لو تحقّقت هذه الكتابة لتحقّق هذا النفاد؟

***

وفي مقام الجواب والانتخاب لابدّ لنا أوّلاً من بيان المراد من الكلمات حتّى يتبيّن لنا أنّ كتابتها يحتاج إلى أيّ مقدار من المداد، فإنّا إذا أردنا استنساخ كتاب ذات صفحات كثيرة حدود الألف أو الآلاف نتمكّن من الحدس لبيان مقدار المداد وتعداد القلم والكاتب وسائر لوازم التحرير. وعندئذٍ نسأل عن المراد من الكلمات وتعدادها حتّى نقدر على بيان مقدار المداد وأنّ البحر كافٍ أو لا .

فنقول: قد يُقال: بأنّ المراد من الكلمات الآيات النازلة على الأنبياء والرسل في التوراة والإنجيل والقرآن التي تكلّم بها الربّ المُنزِل لها على أنبيائه عليهم السلام.

فالجواب ظاهر؛ لأنّ ذلك الأمر تمثيل وليس بمثال، لما نرى أنّا لا نحتاج إلى كثيرٍ من المداد لكتابة الآيات جميعاً وكراراً، فكيف إلى مقدار البحر وامداده بمثله.

وأمّا إذا كان المراد من الكلمات الموجودة في العوالم الكثيرة المخلوقة من ربّ العالمين مجرّدها ومادّيها عاليها وسافلها ملكها وملكوتها، وتصوّرنا سعة الوجود ورحمته الواسعة الشاملة لكلّ موجود في أيّ مرحلة من مراحل شعاع الوجود المنبسط على عالم الوجود، ثمّ رجعنا إلى الموجودات البرّية من دوابّها أهليّها

ووحشيّها وطائرها؛ صغيرها وكبيرها حيّتها وميّتها حتّى الذرّات الحيّة فيا نتمكّن من مشاهدتهم من النحل والنمل وما لا نتمكّن من رؤيتها إلّا بالأجهزة المكبّرة، وكذلك البحريّة منها من أنواعها وأشكالها، فإنّ فيها عجائبه تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾(١). وقد شبّه الإمام عليه السلام هذه الأرض تعداد حضور آدم وحوّاء على كرة الأرض كما في روايات الباب في برّها وبحرها بأشجارها ونباتاتها ومع جميع الموجودات فيها بكفٍّ من صغار التراب والأحجار المرمي في صحراء واسعة وقد فصّل العلم ببعض هذه الموجودات وأشكالها في كرة الأرض الصغير في منظومة الشمس التي نراها.

أضف إلى ذلك الأجرام السماويّة التي يقال إنّ الفصل بيننا وبينها آلاف أو ملايين السنين نوريّة، وجميع هذه شيء يسير من عالم المادّة، فكيف عالم المعنى والمجرّدات والملائكة بدرجاتهم وشؤونهم على ما فصّل في محلّه.

فإن كان المراد من الكلمات الموجودات مستشهداً بقوله تعالى: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾(٢) وحينئذٍ كتاب الوجود وصفحات الخلقة وسطور التكوين وكلمات الله لا تعدّ ولا تحصى، وقد أشير إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾(٣). وحينئذٍ كلّ فرد من أفراد الإنسان طيلة الزمان من بدو خلقة آدم إلى زماننا هذا، بل إلى ختام نظام الخلقة المادّية كلمة من كلمات الله تعالى، وكذلك كلّ فرد فرد من أفراد أنواع الحيوانات والحشرات والطيور، بل والأشجار والأحجار وكلّ ما تلبّس بالوجود ومن يتلبّس بالوجود.

وهل يمكن تعداد تلك الكلمات؟ بل هل تكون معدوداً محدوداً أو غير محدود وغير معدود، لأنّ الوجود لا نهاية له وفيض الفيّاض المطلق مطلق لا ينفكّ عنه والمبدء الفيّاض غير متناه لا نهاية له ولا أمد ولا عدد ولا حدّ، فكذلك فيضه وما استفاض

١. الآية ٣٨ سورة الأنعام (٦).

٢. الآية ٤٥ سورة آل عمران (٣).

٣. الآية ٣٤ سورة إبراهيم (١٤).

من ذلك الفيض الرحمة الواسعة الوجود المنبسط على كلّ موجود من كلّ العوالم الملَكي والمُلكي، هذا تصوير كلّي لكثرة الظلمات وأنّها لا نهاية لها، فإذا أردنا كتابتها واستنساخها بمداد على صفحة نحتاج إلى مداد لا نهاية له وإلى بحرٍ لا نهاية له ولو جئنا بمثله مدداً، فإنّ كتابة ما لا نهاية له بما لا نهاية له واضح أنّه تنفد المداد الذي له نهاية مثل أن لا تنفد ما ليس له نهاية، هذا أوّلاً.

ولكن عندنا نكتة أُخرى لعلّها هي أمر نفاد المداد قبل نفاد الكلمات وهي أنّا لو فرضنا كتابة الكلمات وشرعنا بمدّ القلم على الصفحة بمدادٍ قد وجد كلمة بذلك الامتداد ولابد من كتابة ذلك المكتوب في عداد الكلمات وبكتابته ثانياً قد وجد أيضاً كلمةٌ أُخرى تعدّ في عداد الكلمات لابدّ من كتابتها وهكذا إلى ما لا نهاية له. فالبحر لا يكفي لكتابة الكلمات التي تكتب بها وتتحقّق وتوجد بنفس ذلك الكتابة. فكيف بكتابة سائر الكلمات، ومن ذلك ظهر نفاد البحر قبل نفاد الكلمات ولو جئنا بمثله مدداً. والله تعالى أعلم بعمق المعنى وحقيقة المراد.

والبحث جاري كما عرفت في الآية الشريفة الأُخرى، قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾[1].

إلّا أنّ في الآية الأُولى كان بيان كثرة الوسيلة للكتابة المداد، وفي الآية الثانية القلم وأن لو كان جميع الأشجار الموجودة في الأرض قلماً والبحر مداداً يمدّه سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله، فإنّ الأشجار محدود ولو تبدّل كلّها بقلم والبحر محدود ولو يمدّه سبعة أبحر عدداً دون إرادة البحار الغير المشاهدة حفظاً لظاهر اللّفظ كما ذكرنا مراراً من عدم جواز تبديل لفظ من ظاهره الأوّلي إلى معنى آخر إلّا بقرينة قطعيّة ومع ذلك ما نفدت كلمات الله أي لنفد البحر وسبعة أبحر مداداً ولنفد جميع الأقلام للكتابة قبل أن تنفد كلمات الربّ، وعندنا كلّ من الآيتين مثال وذكر مصداق لا تمثيل و تشبيه لما عرفت من أنّ كلمات الله ومخلوقاته وظلّ وجود المطلق مطلق غير متناهي ولا يكتب

١. الآية ٢٧ سورة لقمان (٣١).

بالمتناهي المداد والقلم، فافهم.

وإن شئت قلت: إنّ الآيتان تقريبٌ لبيان الكثرة والسعة وبيان لعدم نهاية الفيض والرحمة بلسان الإيجاد وحساب الموجود من خلال الكلمات، والله أعلم.

حضور الحاضر في المحضر وقداسته

بسم الله الرحمن الرحيم

المحضر بحضور الحاضر ولولاه لما كان حضوراً ومحضراً.

ولقد عرفت ممّا ذكرنا في مسألة الوحدة والكثرة والرابطة بينهما من أنّ الكثرات ليست إلّا الماهيّات، والأشياء لا تكون شيئاً إلّا بالوجود ولا أصالة لها، والأصالة للوجود وأنّه الحقّ الواحد الذي هو موجود بنفس ذاته، قيّومٌ في ذاته بذاته، والوحدة الحقّة الحقيقيّة القائمة بذاته فيّاضٌ في ذاته معطي الوجود ومفيضه، وعطائه وفيضه هو الرحمة الواسعة الوجود المنبسط على الأشياء كلّها وهي درجة من الوجود مرتبة بين الكمال والخير ظلّ على الماهيّات ونورٌ استضاءت به الأشياء، وذلك الفيض والرحمة المفاض على الماهيّات واحدٌ صدرَ من الواحد لا يختلف مع مصدره إلّا بالصدور والتبعيّة كتبعيّة الظلّ لذي الظلّ بدواً واستدامةً، فالأشياء متحقّقات وموجودات ما دام ذلك الظلّ عليها ومعدومات إذا قبض عنها الرحمة الواسعة لما عرفت أنّ الأشياء بالوجود موجودة والماهيّات أعدام في ذواتها، وهذه الرحمة الواسعة والنور الساطع نور السماوات والأرض وما بينهما.

وعندئذٍ إذا لاحظنا شيئاً وسمعنا صوتاً وأحسسنا حركةً حياةً وقدرةً وعلماً في موجود من الأرض والسماء من البرّ والبحر من الجماد والنبات والحيوان ومن كلّ شيء فقد لاحظنا الرحمة الواسعة والوجود المنبسط على تلك الأشياء وسمعنا صوت الحياة وحركة الوجود وتقليب الأشياء واختلاف الليل والنهار وتطوّر الأشياء، ومن

كلّ ذلك رأينا الوجود المنبسط و النور الساطع و الفيض المستفاض و آية الفيّاض وعلامة المفيض وداوم الإفاضة واستمرار الرحمة وحضور الفيّاض بإفاضته وظهور الراحم برحمته.

فالعالم الموجود وموجودات العالم محضر للحاضر ومجلّى للمتجلّي ومظهرٌ للمُظهر، فيصحّ أن يقال: إنّ العالم محضرٌ للحاضر والحاضر هو المظهر لهذا المحضر فهو حاضرٌ في المحضر وظاهر في اختفائه ومختفي في ظهوره؛ يا من هو اختفى لفرط نوره، الظاهر الباطن في ظهوره.

فالله تعالى ظاهر حاضرٌ ناظرٌ لا يُرى وهو يَرى، والعالم محضرٌ للحاضر تختفي لفرط الظهور وإذا رأى الإنسان العالم والموجودات بعين البصيرة لا يرى إلّا آيات الله وظهوره لا يرى إلّا مظاهره ومجلاه، بل مع الدقّة لا يرى إلّا المفيض و لا يُرى إلّا الراحم. وإذا تغافل يرى الفيض والرحمة والأشياء والماهيّات دون الفيّاض والراحم.

اللّهمّ أرنا الأشياء كما هي حتّى لا نرى إلّا خالقها وموجدها ومُعطي وجودها فإنّ كلّها موجودٌ بالوجود، حيٌّ بالحياة وهكذا. ومن ذلك نقول بقداسة المحضر وعظمة العالم لحضور القدّوس العزيز الحكيم، فتوجّه.

وقد عرفت ممّا ذكر من قبل في مسألة الوحدة والكثرة والرابطة بينهما أنّ الكثرات هي الماهيّات والأشياء التي لا تكون شيئاً إلّا بالوجود ولاأصالة لها إلّا به، والوجود حقيقة واحدة ذات مراتب، والوحدة الحقّة الحقيقيّة القائمة بذاتها، نور ظاهر في نفسه ومظهر لغيره، فيّاض بذاته ومعطي الوجود ومفيضه وعطائه وفيضه هو الرحمة الواسعة الوجود، المنبسط على كلّ الأشياء، والماهيّات حسب اقتضاءاتها وقابليّاتها، استفاضت من هذه الرحمة والنور الذي أضاء كلّ شيء والله نور السماوات والأرض.

فإذا لاحظنا شيئاً أو سمعنا صوتاً أو أحسسنا بحركة أو رأينا موجوداً جماداً أو نباتاً، حيواناً أو إنساناً، وعرفنا أنّها بالوجود موجود، فقد رأينا وجوداً وهذا الوجود

الذي به الموجود موجود. وهذا الموجود والصوت والحركة آية لأصل الوجود، المتّكئ بذاته وخالق الأصوات والحركات والكمال، فإنّ الله هو الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنى .

والإنسان حيثما كان في أيّ زمانٍ ومكان قد اشتمل عليه الوجودات من الموجودات من الذرّات والصغائر إلى الكرات والكبائر وإحاطة الأشياء من الأرض والسماء وما بينهما، وتلك الأشياء والفضاء هي المحضر لحضور الوجود الحاضر في كلّ موجود وهو غير الموجود، فتحقّق الرحمة الواسعة ووجود المنبسط على كلّ الأشياء وهي غير الأشياء الحاكي عن خالق الوجود ومفيض ذلك الفيض الذي أوجد تلك الموجودات الذي لا ينفك عن مبدئه استدامة وعليه يتّكل تحقّق الأشياء.

فالعالم محضر والوجود حاضر فيه لا كحضور شيء في شيء، بل كارتباط تحقّق الشيء بالشيء وظلّ الشيء للشيء، لا بل للحقّ متحقّق مع الأشياء لا بالمقارنة غير كلّ الأشياء لا بالمغايرة والمباينة. فإنّ الأشياء لا يكون أشياء إلّا به، فكان الحاضر هو المحضر لا بعينه وغيره لا بغيره.

فلولا حضور الحاضر لما كان للمحضر حضور، ولولا المحضر القائم به لما عرف الحاضر، ولولا ظهور الخالق المتعال بخلقه وفيضه وعنايته إلى الأشياء لما كان المحضر والعالم موجوداً ولما ظهر هذا الكنز الخفيّ ولما ظهر حقيقة الوجود، فإنّ نور الوجود ظاهرٌ لظهور الأشياء بالوجود ونفس الوجود مختفي من ظهور الأشياء فلا يُرى وهو يَرى كلّ الأشياء؛ ما يخفى عليه شيء لا في الأرض ولا في السماء ولا فيما بينهما، ولا يمكن أن يُرى لكلّيته وبساطته وإطلاقه وشدّة نوره وظهوره فهو الباطن في ظهور الأشياء وظاهر في بطون الظواهر، وهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيءٍ عليم. فالحاضر الظاهر، الظاهر بظهوره في الأشياء، لا يغيب عن المحضر ولا يخفى عن الحضور ولا يتوهّم وحدة الحاضر والمحضر، فإنّ المحضر من نور الحاضر

وفيضه ودوام فيضه ودوام حضور فيضه يورث دوام المحضر وحضور المحضر.

اللَّهُمَّ علّمنا معرفتك، واهدنا لمعرفة معارفك، أرنا الأشياء كما هي، ولا تجعل بيننا وبينك حجاب الأشياء العالم. واجعل قلوبنا متيماً لك يا خالق الوجود ومُعطي الحياة يا ربّ العالمين.

***

ترتيب التسبيحات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله والله أكبر

إنّك تعلم أنّه يطلق على هذا الذكر التسبيحات الأربعة تغليباً لكلمة سبحان الله، مع أنّ هناك تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير. ولكلّ منها حقيقة غير الآخر، مع ذلك بينها رابطة عميقة ولطفٌ عريق على حدّ يعود إلى أمر واحد بعد أن يترتّب كلّ على الآخر لابدّ من ملاحظتها.

فنقول: التسبيح هو التنزيه وبيان أنّ الله تعالى منزّه عن كلّ نقصٍ وضعف وعيب ولا يوجد لديه تعالى أيّ نقص وعدم وأيّ ضعف وفقدان، فهو الكمال كلّ الكمال وهو الوجود كلّ الوجود، وإذا لم يوجد لديه العدم فهو بحت الوجود ومحضه وصرف الوجود وعينه تعالى عن أيّ عدمٍ ونقص، وإذا كان لديه كلّ الكمال والوجود، بل كان نفس كلّ الوجود والكمال فالحمدُ والتعريف وذكر الكمال وتوصيفه يختصّ به، فكلّما وجد كمال وخير يرجع إليه ويرتبط به ويكون هو مبدئه ومنشأه وموجده ومفيضه ومنتهاه، فإذا ذكرنا خير شيء وعرّفناه بأنّه ذو فضل وكمال أو حسن وجمال وحيث لا يكون من نفسه فهو من مبدء الفضل والكمال ومنشأ الخير والجمال فيرجع التحميد إليه تعالى، ومن ذلك يُقال الحمد لله كلّه ويختصّ به ولا يشترك فيه غيره بالذات والأصالة وكلّما وجد الحمد وذكر الخير يرجع إليه تعالى بعد نفي أيّ ضعف ونقص فيصحّ سبحان الله والحمد لله.

فإذا كان الكمال كلّ الكمال والخير كلّ الخير والوجود كلّ الوجود منزّهةً عن كلّ ضعف ونقص ومُبعّد عن أيّ شرٍّ وعدم فهو الإله الذي يستحقّ أن يُعبد، وحيث لا يمكن التعدّد في مثل ذلك، فإنّ التعدّد يستلزم النقص والضعف، وحيث إنّ بحت الوجود وصرف الخير لا يتعدّد ولا يتطرّق إليه التكثّر والتعدّد وحقيقته الوحدة والوحدة حقيقته وهو الواحد الحقيقي وحقيقته الوحدة. فإنّ صرف الشيء لا يتكرّر

فلا يستحقّ غيره أن يُعبد، وعندئذٍ يتمّ القول بأنّه لا إله إلّا الله فإنّ الإله هو الذي يتحيّر فيه العقول و المتألّه في الشيء عابد له. فإلى هنا يتمّ ويصحّ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله.

فهذا الوجود وتلك الحقيقة الذي هو مبعّد عن كلّ شرّ ومنزّه عن كلّ نقص وكان مبدء كلّ خيرٍ وكمال ومفيض كلّ كمالٍ وجمال وذلك مساوق للوحدة، بل نفسه الوحدة الحقّة الحقيقيّة ونفس الخير والحقّ والوجود والكمال محمودٌ يُحمد، بل كلّ الحمد يرجع إليه وذلك هو المعبود وذلك بنفسه هو الأكبر لا أكبر من كلّ كبير بل نفسه الكبرياء والعظمة فإنّ الخير والوجود وكلّه ونفسه ذلك الخير فيصحّ القول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر. فتوجّه.

وذلك الترتيب ينعكس في تسبيح الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام كما في روايات الباب. فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أهدى إلى ابنته سيّدة نساء العالمين هديّة كانت لها خيرٌ من كلّ هديّة وخدمة. ويستحبّ ذلك بعد كلّ صلاة وعند النوم في كلّ ليلة، ولعلّ السرّ في ذلك أنّ الانسان إذا أراد النوم في الليل يحتاج إلى العناية والراحة ولا أمن ولا راحة إلّا بالله تعالى، فإنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله فيتذكّر قبل كلّ شيء خالق كلّ شيء ويتبرّك باسم الله تعالى ويقول الله أكبر لينام في عنايته ورعايته تعالى، وبعد ذكره لله تعالى يتوجّه إلى أنّه هو الكمال المطلق والخير والحقّ المطلق حتّى عن قيد الإطلاق فيتوجّه إلى أنّ كلّ الحمد يرجع إلى ذلك ويتبع عنه فيقول والحمد لله وبعده يتذكّر أنّ الكمال الكامل والخير المطلق والوجود البحت منزّه عن كلّ نقص وضعف وشرّ، فيقول سبحان الله.

وما ذكر من الاختلاف في روايات الباب من تقدّم التسبيح على التحميد بعد التكبير أو تأخّره عنه في ذلك التسبيح يرجع إلى تذكير الإنسان حال الذكر، وهذا غير ترتّب الطبيعي الذي ذكرناه في التسبيحات الأربعة الواجبة في الصلاة كما لا يخفى. فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر.

وآخر دعوانا ان الحمدلله رب العالمين

الخامسة من شهر محرم الحرام ١٤٢٨
المطابق لـ ٥ / ١١ / ١٣٨٥
محمد اليزدي